رواية

بطن البلد

obeikandl.com

بطن البلد
تأليف : عبد المنعم هلال
الإخراج الداخلي : إسلام الحماقي
اللوحة: إسراء محمد جمال
تصميم الغلاف : ضياء إبراهيم
مراجعة لغوية: محمد سلامة
مدير النشر: أحمد خطاب
رقم الإيداع: 23419 - 2017
الترقيم الدولى: 978-977-6598-25-6
إشراف عام : أحمد عبد الجواد

مؤسسة عابر للنشر والتوزيع

01007677910 - 01111883712
3aberorg@gmail.com
www.3aber.org
عابر 3aber

جميع الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

obeikandl.com

رواية

بطن البلد

عبد المنعم هلال

obeikandl.com

obeikandl.com

(بطن البلد)

– هل تعرف ما هي الحقيقة؟؟.. هل رأيت من قبل الجانب المظلم من الحياة؟؟... هل فقدت روحك؟؟... هل كفرت بالله وبكل النواميس والأديان من قبل؟؟... هل اختبرت إحساس أن تكون على قيد الحياة اسما فقط أو أن تكون شبح إنسان؟؟... هل وصلت لأعلى درجات النشوة والجنون؟؟... هل وصلت لأدنى درجات الإنسانية والقسوة؟؟... هل تعي جيدًا معنى كلمات كاليأس والوحدة والضياع وانعدام الأمل؟؟.. هل رأيت بخيالك ما يفوق الخيال المألوف؟؟.. هل جربت أن تموت من قبل ثم توهب لك الحياة من جديد؟؟... هل تعرف من هو الله؟؟... هل تعرف حقًّا معنى النفس الأمارة بالسوء وما هو بالفعل جهاد النفس؟؟... هل أنت متأكد من إجاباتك عن الأسئلة السابقة؟؟...

– معظم شخصيات الرواية من واقع الحياة... منهم من توفي ومنهم من هو ما زال على قيد الحياة وقد قمت فقط بتغيير الأسماء الحقيقية وإضافة بعض التفاصيل والأحداث الخيالية للمعالجة الروائية وكي لا أسبب أي إحراج للأشخاص الحقيقيين وللحفاظ على قدسية أرواح من مات منهم... قد يشعر القارئ أن الأحداث مرت أمام عينيه أو في ذهنه من قبل وهذا الشعور حقيقي تماما فالحياة ليست إلا سيناريوهات تتكرر برتابة مملة وبإصرار قبيح وما زال البشر يقومون بنفس ردود الفعل المثيرة للخيبة والحزن.

obeikandl.com

– الرواية إهداء إلى كل الشخصيات الحقيقية سواء كانوا فوق الأرض أو تحت الأرض.... وإهداء خاص لشخصية لينا الحقيقية فهي أجمل وأكثر هشاشة بكثير من الخيال.... وإلى كل من يهمه الأمر....

يوجد علي الساوند كلاود مقطوعتين موسيقيتين من تأليفي وعزفي علي الكمان الأولي بعنوان (مرايات معكوسة) وهي تتر البداية للرواية والثانية بعنوان (حلم السجين) وهي تتر النهاية للرواية...شكر خاص للأساتذة الذين اشتركوا معي في العزف والتأليف الأستاذ مينا ماهر علي البيانو والاستاذ عادل عبيد علي الجيتار الكلاسيك والأستاذ مصطفي فتحي علي الجيتار الإليكتريك ....عناوين المقطوعتين علي الساوند كلاود كالتالي:

https://soundcloud.com/abdelmonem-helal/obup9jk4avcd

https://soundcloud.com/abdelmonem-helal/eg1lov45x5kc

عبد المنعم هلال

obeikandl.com

أخذت تعدو في الشوارع وهي تغطي رأسها بمعطفها ليقيها المطر ولمحت تاكسي قادمًا من بعيد فأشارت له بيدها الأخرى التي تحمل الكمان فتوقف التاكسي وفتحت النافذة من ناحيتها نصف فتحة فاقتربت برأسها منها قائلة:

- الزمالك؟

أشار لها السائق بيده أن تركب... جلست في المقعد الخلفي ووضعت الكمان بجوارها وبدأت تمسح قطرات المياه عن وجهها من أثر المطر وتعدل من ماكياجها في مرآة صغيرة أخرجتها من حقيبة الكمان ثم توقفت يدها فجأة وظلت تنظر لملامحها في المرآة ولعينيها وما تحتهما من سواد خفيف ووجهها النحيف وقسماته البسيطة الجميلة والحادة في نفس الوقت وانخفضت يدها بالمرآة للأسفل ببطء وتحول نظرها خارج التاكسي وتابعت تحركات الناس عكس تجاه السيارة وكأنهم يسيرون للوراء... الشوارع المبللة وقطرات الماء وهي تتساقط على الزجاج بجانبها فتجعل الرؤية مهزوزة أمام عينيها... كان مذياع السيارة تخرج منه أغنية لأحمد عدوية (يانجمة يا أخت القمر قوليلي مال بختي)... شردت قليلًا وتذكرت عندما كانت طفلة صغيرة.. تتذكر جيدًا المشاهد وكأنها كانت بالأمس... والدتها كانت أصغر سنًّا وجميلة... لطالما كانت تري أمها أجمل امرأة علي وجه الأرض بشعرها الأسود المموج الطويل وعينيها المائلتين للخضار... كانت تعمل كمطربة في الملاهي الليلية يوميًّا لساعات متأخرة من الليل... لم تكن تهتم بأمورها كثيرا ولا تتذكر أنها مشطت لها شعرها يوما أو ربطت لها حتى رباط الحذاء وهي ذاهبة في الصباح للمدرسة مثلما تفعل الأمهات مع أقرانها... لم تلتفت يوما لها لتسألها

obeikandl.com

ما الذي يشغل بالها أو يجعلها حائرة في تلك السن المبكرة؟؟.... كانت تتابع أمها جيدا وهي تقف أمام المرآة لتضع ماكياجها وتعدل من ملابسها وشعرها بعناية وتستعد للذهاب إلى العمل... كثيرا ما كانت تقلدها في الخفاء وتقف أمام المرآة لتصعد بجسدها الصغير على الكرسي وتقوم بنفس حركاتها... لم تستطع أن تفسر ولو مرة مشاعرها من ناحيتها... عندما تأتي إلى عقلها تلك الذكريات البعيدة تشعر بحنين لها غير مفهوم ولكنه سرعان ما يتلاشى فورًا لحظة حضور المشاهد العنيفة عندما كانت تصرخ في وجهها لأتفه الأسباب وتعايرها بأنها ليست مفعمة بالأنوثة مثلها وليست في جمال جسدها... تحكمها الشديد في أفكارها وأسلوبها... شكوكها الدائمة فيها لدرجة الجنون فقد انفعلت عليها وانهالت عليها ضربا وقامت بجرحها في رقبتها بمبرد الأظافر... عادت من ذكرياتها وهي تتحسس ندبة ملحوظة في رقبتها لتضع بعضًا من كريم الأساس عليها وتخفيها عن العيان... التفتت فجأة لتجد عيون سائق التاكسي تتابعها في المرآة فأطالت النظر في عينيه بحدة وتحدٍّ فأدار السائق عينيه للأمام مرة أخرى... اعتادت ذلك واعتادت المواجهات لتتجنب عيون الناس التي تتناول جسدها يوميا خلال ذهابها وإيابها لأي مكان... فالرجال في بلادنا جائعون لأجساد النساء... اعتادت التوتر الذي ينتابها نتيجة ذلك وأصبحت محترفة في إخفائه وإظهار القوة لتحمي نفسها فليس هناك من يحميها وقد اعتمدت على نفسها في ذلك منذ أن قررت العمل... وصلت إلى مكان عملها وترجلت من التاكسي وانطلقت مسرعة إلى ذلك البار التابع للفندق ذي السبعة نجوم المشهور تتابعها أنظار سائقي التاكسي المنتظرين للزبائن أمام البار وصاحب الكشك المجاور وموظفي الأمن بنظراتهم الشهوانية المكررة... دخلت إلى البار سريعا فقد تأخرت على موعدها كعادتها

obeikandi.com

وما زالت تحتاج لبعض الوقت كي تبدل ملابسها وترتدي ملابس العمل... رأت في وجهها مدير المكان فقال:

- حمد لله ع السلامة يا أستاذة.. بسرعة شوية المفروض تبتدي من نص ساعة....

نظرت له بنصف ابتسامة ولم تجبه وتوجهت نحو الحمام لتقابل في طريقها (محمود) النادل العجوز الذي يبدو من ابتسامته الحنونة أنه طيب القلب يتخلل البياض شعره وتحمل ملامحه بعضا من الحزن... رفعت يدها بابتسامتها الجميلة التي قلما تظهر واضحة وهي تقول:

- مساء الفل يا عم محمود

- مساء الهنا يا (لينا)

مرت خمس عشرة دقيقة تقريبًا أو أكثر من الترنح داخل الحمام وسقوطها ووقوفها أكثر من مرة وهي تبدل بحذائها الرياضي آخر ذا كعب طويل وتنظر نظرة نهائية سريعة في المرآة الكبيرة ثم تخرج من الحمام لتتوجه نحو مقدمة البار مخرجة كمانها من حقيبته وتعدل من أدوات الصوت والمايك ووقفتها وهي تنظر لبعض الحاضرين بابتسامة رسمية مصطنعة وتلقي بالتحية على بعضهم وتابعت عيونهم المنبهرة بجمال فستانها وحضورها الذي تعرف جيدا أنه ملفت للأنظار ينتظرون أن تبدأ في إخراج تلك النغمات الساحرة من كمانها لتضيف سحرا على سحرها وكانت تعزف مقطوعة جميلة اسمها (Oblivion) وأغمضت عينيها لتنعكس على وجهها الإضاءة الملونة الخافتة للمكان....

كان البار قد امتلأ وتعالت الضحكات الصاخبة وتلك المنضدة الجانبية

obeikandl.com

كان يجلس عليها شابان وفتاتان يبدو عليهم أثر الخمر إلا أن أحدهم كان حزينا إلى حد ما وشارد الذهن ومالت عليه أحد الفتاتين تسأله:

- مالك يا (نادر)؟؟

ابتسم نادر ابتسامة خفيفة وأجابها

- ما فيش حاجة سرحان مع المزيكا وبعدين ما انتي عارفة ما ليش في قعدة البارات يا (رشا)

- متأكد إن هو ده الموضوع بس؟!

- أيوه هيكون فيه إيه تاني يعني

ابتسمت رشا ثم وضعت يدها في حقيبتها قائلة له وهي مبتسمة:

- طب خد الحصواية دي أنا كنت مخبياها علشان أعمل لك مفاجأة إحنا ما ضربناش من ساعة الاصطباحة.. معاك سرنجة؟

مدت رشا يدها من تحت المنضدة دون أن يلحظها أحد ووضعت الورقة التي تحتوي على قطعة الهيروين في يد نادر وتلقفها هو ووضعها في جيبه سريعا وابتسم لرشا قائلا:

- يا بنت اللذينة كمرتيها ازاي دي الصبح من غير ما اخد بالي!!

ضحكت رشا وقالت:

- عيب عليك يا معلم يلا روح بسرعة

نهض نادر ومر من أمام لينا فابتسم تحية لها وبادلته هي الابتسامة بدورها وهي تعزف لترد التحية واتجه إلى السلالم المؤدية للحمام ودخل ثم أغلق الباب عليه جيدا وأخرج الورقة ليقوم بطحنها على الحائط لتتحول الحصواية بداخلها إلى بودرة

obeikandl.com

ثم أخرج السرنجة من جيبه وأفرغ كل ما في الورقة بداخلها ثم خلطها ببعض الماء ورجها لتذوب وخلع حزامه سريعا وشمر عن ذراعه ليجلس على المرحاض ويربط الحزام حول ذراعه فتظهر العروق بقوة ويختبر أحدها بإصبعه ثم أدخل سن السرنجة فيه وسحب الدماء لتختلط بالهيروين ثم ضغط على المكبس مدخلًا السائل في وريده بأكمله مرة واحدة ثم قام بسحب المكبس والدماء مرة أخرى ليضغط المكبس ويحقنهم داخل الوريد مرة أخرى وكرر كل ذلك للمرة الثالثة وكأنه يزيد من سرعة جريان الدماء في عروقه وجسده... شعر بالأنوار تخفت قليلًا في عينيه وبالهدوء الشديد يسري في أعصابه وفي كل ثنايا جسده وعقله ثم أخرج السرنجة من ذراعه ليمتص الدماء مكان الحقن بلسانه ويضع عليها قطعة صغيرة من المناديل ويخبئ مكانها بملابسه ووضع السرنجة المستخدمة داخل كثير من المناديل وألقى بها في الزبالة كي لا يلحظها أحد وخرج عائدًا إلى المنضدة وابتسمت له رشا قائلة

- إيه؟

- تمام

عاد نادر برأسه للوراء وكانت لينا بالنغمات التي تخرج من أناملها على الكمان تذهب بنادر وعقله بعيدًا فأغمض عينيه مما جعل الشاب الآخر يميل على أذن رشا ويسألها:

- هو صاحبك ماله؟!

- ما فيش تعبان شوية

- تحبي نمشي ما تقلقيش أنا ما عنديش مشكلة إنتي فاهمة ممكن نروحه ونكمل إحنا السهرة في مكان تاني؟

obeikandl.com

- لأ خالص إحنا مبسوطين هو بيحب المزيكا بس وبيسرح معاها إنما مش تعبان للدرجادي..

كان نادر في مكان بعيد بأفكاره.. بعيد عن المكان والزمان... كانت الموسيقى التي تعزفها لينا تأخذه لبعد آخر وكون مختلف وحياة أخرى غير التي يعيشها... لينا حب عمره الصامت الذي لا يعرف به أحد ولا حتى لينا نفسها... هو جارها منذ طفولتهم... يعرفها جيدا ويعرف حتى لماذا تخبئ تلك المنطقة الصغيرة في رقبتها بالماكياج... يتذكر كيف كان يقف في نافذة غرفة نومه المطلة على غرفتها في البناية المجاورة ويملؤه الحزن وهو يرى ذلك الشجار العنيف بينها وبين أمها وكيف تطور الأمر فجأة لأن ترفع تلك الأخيرة شيئا يشبه السكين الصغير لتجرحها به في رقبتها وهي تهددها ونظرات عيني لينا المفزوعة وهي تتحسس مكان الجرح والدماء ونظرات أمها الحائرة غير مدركة كيف تطور غضبها لهذا الحد وهي تتراجع للوراء وتخرج من غرفتها.. سقوطها على سريرها وهي تبكي وتمسح الدماء بمنشفة تحاول إيقاف الدماء... كان يتمنى لو يستطيع الذهاب إلى بيتها والوقوف أمام أمها ليمنعها أو أن يأخذها في حضنه ويمسح دموعها بيده ولكنهم لا يعرفونه وكان خائفًا كعادته... منذ طفولته يخاف من كل شيء... كائن متوحد منعزل لا يختلط بسهولة بالناس فقط يعشق الرسم... الرسم هو الشيء الوحيد الذي يشعر فيه بالراحة والألفة والأمان... ريشته وألوانه والورق الأبيض.. لطالما تابع لينا من بعيد دون أن تلحظه في كل تطورات مراحلها العمرية وهي ذاهبة للمدرسة وهي عائدة منها مع صديقاتها وهي ذاهبة للجامعة التي لم تكملها لظروفها الأسرية واضطرارها لأن تعمل مبكرا... غياب الأب... كانت تشبهه في كثير من الظروف تماماً ولكنها أقوى منه فقد تعلمت الجلد مع الوقت وتعلمت أن تمنع أمها في

obeikandi.com

نوبات هياجها من الاقتراب منها أو من كمانها... لم يستطع هو أن يفعل ذلك.... لم يتمكن من منع أبيه من أن يكسر له ريشاته وألوانه ويمزق له لوحاته أكثر من مرة.... لم يتمكن من صده عن إهانته المستمرة له وتوبيخه الدائم ومنعه من الرسم وسخريته منه أمام أقربائهم وأمام أصدقائه وما زال يسمع صوته في رأسه:

– رسم!! رسم إيه يلا اللي إنت بترسمه ده؟!!!... دي شخبطة إنت مصدق نفسك!! عامل لي فيها فنان يا اهبل!! سايب مذاكرتك وعمال تشخبط في ورق هتنفعنا بإيه شخبطتك دي لما تسقط وتتنيل على عينك!!

كان دائم النظر لصورة أمه التي توفت وتركته مع هذا الشخص المتوحش... كان يكلم صورتها ليلا ويبكي ويسألها لماذا رحلت؟!! ولماذا تركته وحيدًا؟!!... يفتقدها بشدة لقد سرقها منه القدر... كانت الوحيدة التي تحنو عليه وتحب رسوماته وتشتري له ريشات وأدوات جديدة وتعطيها له في السر بدلا من التي يحطمها أبوه... كان موتها صدمة له جعلته يترك كل شيء... يترك الرسم والأب والدنيا وحتى براءته.... ترك كل ذلك وراءه عندما وافق على عرض من صاحب له أن يتعاطى تلك اللعنة معه... الهيروين... ذلك المخدر الذي جعله شخصًا آخر بمرور السنين... جعله يواجه أباه ويرد له الإهانة ويسرقه وأصبح الوضع معكوسا.... أصبح أبوه هو الذي يخاف منه وليس أبوه فقط بل كل المنطقة التي يعيش بها... الجميع يخاف منه ويتجنبه دون حتى أن يفعل لهم شيئا مجرد اقترابه من أي أحد منهم يجعله يسرع من مشيه ليتخطاه سريعا أو يغير اتجاهه... الإنسانة الوحيدة التي لم يستطع مواجهتها حتى بالهيروين هي لينا... ما زال أجبن من أن يقترب منها... الآن السبب أدعى فهو قد أصبح قذرا

obeikandi.com

واقترابه منها قد يدنسها... يلوث تلك الزهرة البيضاء الجميلة وهي الشيء الوحيد الباقي بداخله ليذكره أنه ما زال إنسانا كسائر البشر...

- نادر...

اختطفه نداء رشا من ذكرياته لينظر لها فتقول:

- إيه يا بني يلا بينا إحنا ماشيين...

ضحكت وهي تميل على أذنه قائلة:

- إنت بقالك نص ساعة مش معانا كأنك بتحلم... الظاهر الحاجة اللي اديتهالك كانت جامدة يا بختك يا عم يا ريتني ضربتها أنا يا أخي!!

ضحك نادر وقال لها هامسا:

- ظبطتي الكلام بس ولا إيه؟ خدتي المصلحة منه؟

- عيب يا عم انت بتشك في قدراتي ولا إيه؟!!

قالتها وهي تشير إلى رزمة من الأموال بداخل حقيبة يدها دون أن يلحظها أحد... نهضوا من مجلسهم ونظر نادر نظرة أخيرة نحو لينا من بعيد قبل أن ينصرفوا خارجين من البار...

* * *

دقات قلبه كانت عالية جدا لدرجة أنه يسمعها في أذنه وهو يعدو في الشوارع الجانبية فيتوقف ليلتقط أنفاسه قليلا مستندا إلى جدار وينصت للأصوات القادمة من بعيد حاضنا نصف آلي... يبدو أنه استطاع الهروب منهم ولكن ذلك لن يدوم لساعات فسرعان ما سيجدونه فالحي صغير وقد تاه عن باقي زملائه...

obeikandl.com

فليفكر جيدا وأغمض عينيه مستجمعا أفكاره وحاول تنظيم أنفاسه وفتح عينيه مرة أخرى وأدار نظره حوله... لاحظ ذلك البيت القريب هناك والضوء الخافت القادم من الداخل... لا يوجد حل آخر... أسرع ناحية نافذة صغيرة للبيت وحطمها سريعا بكعب بندقيته وقفز إلى الداخل... ظل ثابتا مكانه للحظات ينصت بانتباه... لا توجد أصوات في الخارج ولم يلحظه أحد ولكن لا توجد أصوات أيضا في داخل البيت... يبدو أن السكان قد هجروا البيت خوفا من الحرب الدائرة في الشوارع كمعظم أهل الحي... تحرك بحذر من مكانه ملتصقا بالحائط ونظر بنصف وجهه خارج الغرفة هناك طرقة خالية تماما هي التي تنبعث منها الإضاءة الخافتة التي لاحظها من الخارج... تحرك ببطء خارج الغرفة ليستكشف المكان ووضع بندقيته وراء ظهره فهو لا يريد أن يستخدمها كي لا يلفت انتباه الجنود المطاردين له.... اقترب من غرفة أخرى على يمينه بابها مفتوح نصف فتحة ومظلمة كباقي المنزل فأزاح الباب ودخل ومد يده في جيبه ليبحث عن الكبريت ليضيء أمامه وما أن وجده وكاد أن يشعله حتى فوجئ بقبضة تمسك به من كتفه وتضربه بشيء قوي على رأسه فسقط أرضًا وهجم عليه ذلك الشخص ولم يستطع أن يميز ملامحه في الظلام ولكنه ميز لمعة نصل سكين في يده انعكست عليه إضاءة الردهة الخافتة فانطلقت يده في سرعة لتمسك بيد الشخص الحاملة للسكين بشدة فألقى الشخص بنفسه فوقه وانهال عليه ضربا يحاول إرغامه على إفلات يده ولكنه تلقى تدريبات كثيرة جدا جعلته سريع الاستجابة إضافة إلى قوته البدنية التي جعلته يتحمل الضربات وأحاط رقبة الشخص بذراعه زاد من الضغط بيده الأخرى على اليد الحاملة للسكين واعتصرها بقبضته حتى ترك الشخص السكين تحت قوة الضغط ودار بجسده ليجعل الشخص تحته ويخنقه بيده بقوة ويقول له في أذنه:

obeikandl.com

- هقتلك... استسلم أحسن لك...

استجاب الشخص مع شعوره بالاختناق وتوقف عن المقاومة فأعاد عليه السؤال

- خلاص؟؟

أجابه الشخص برأسه أن نعم فخف الضغط على رقبته وسأله

- معاك حد تاني هنا؟

فأجابه الشخص برأسه أن نعم فسأله

- هما فين؟؟

فقال الشخص بلهجة أقرب للشوام

- بالأوضة التانية متخبيين

عندما سمع صوته لأول مرة شعر بأنه صبي صغير وأكمل الصبي قائلاَ:

- هادول أهلي بربك ما تقتلهم

- أنا هسيبك بس ما تعملش أي حركات مفاجئة علشان ما اقتلكش...

تركه وأمسكه من ملابسه بقوة وأخذ بندقيته وصوبها لظهر الصبي ووكزه بها أن يأخذه إلى باقي أفراد أسرته.. تحركا في اتجاه غرفة أخرى مقابلة بابها مغلق ففتحها الصبي وقال له:

- هولع الشمعة

تركه ليشعل الشمعة بجوار الباب محذرا إياه بالبندقية أن لا يقوم بأي تصرفات غير محمود عقباها... أشعل الصبي الشمعة وظهر مع النور رجل كبير

obeikandi.com

في السن يجلس على كرسي والتقت عيناهما فظل ينظر إلى الرجل وهو مصوب بندقيته ومندهش وتوجه الصبي بحذر نحو دولاب وطرقه طرقتين فخرج من الدولاب أخته وأمه... نظروا إليه جميعا بترقب وظلوا يتبادلون معه النظرات وظل ينظر هو للأب طويلا ويتأمل في ملامحه ونهض الأب ببطء وقال له:

لو حتقتلنا يا ابنى اقتلنا بسرعة مرة واحدة... خلي الموتة سريعة... لو كنت تسمح لي بالطلب ده..

كان هو زائغ العينين وما زال ممسكا ببندقيته مصوبا إليهم يحاول استيعاب الموقف... قلقه لا يقل عن قلقهم رغم السلاح في يده... ذهب تجاه نافذة الغرفة وأزاح الستائر قليلًا ونظر للخارج بحذر... ليس هناك أحد ويبدو من الصمت أن الجنود قد ابتعدوا... عاد مرة أخرى للنظر إلى الأسرة ثم للأب وقال له:

– ليه ما مشيتوش من هنا زي كل السكان؟؟ اللي أعرفه إن ما فيش مدنيين عايشين هنا لسه!!

قال الأب:

– إحنا مش هنسيب بيتنا إلا واحنا ميتين..

لاحظ نظرات تمتلئ قوة في عيني الأب وإصرارا عجيبا وفي عيني الصبي الصغير أيضا رغم موقفهم الضعيف فأنزل بندقيته وقال للأب:

– ما تخافش مش هقتلكم

شعر الأب ببعض الاستغراب والارتياح وجلس الشاب أرضًا وساد الصمت حتى كسره الأب قائلًا:

– ملامحك شبهنا والعربي اللي بتتكلمه شبه المصري

obeikandi.com

- أنا مصري
- أقدر أسألك سؤال تاني؟

أشار للأب برأسه أن اسأل:

- ليه ما قتلتناش؟

صمت قليلًا وتردد في الإجابة ثم حسم قراره قائلا:

- علشان أول ما شوفتك افتكرتك أبويا الله يرحمه... إنت شبهه بالظبط ما اعرفش ازاي!!...

اندهش الأب وابتسم نصف ابتسامة دافئة ثم قال له:

- إنت متعور في راسك.. اسمح لي أنا ممكن أبص ع الجرح؟

وكأنه لاحظ فجأة الدماء تسيل من رأسه وأغرقت ظهره يبدو أن الجرح من أثر الضربة التي تلقاها من الصبي ولكنه لم يشعر بها... اقترب منه الأب ببطء وفحص الجرح وقال:

- لازم يتحط عليه مطهر علشان ما يتلوثش ويلتهب... ما تقلقش أنا دكتور جراح.. هجيب شنطتي من الدولاب...

ذهب وأتى بحقيبة صغيرة وسط نظرات استنكار من باقي أفراد الأسرة وفتحها وقام بإخراج بعض الأدوات وطهر الجرح وضمده وأغمض هو عينيه وذهب في النوم رغمًا عنه من الإرهاق والألم وعندما فتح عينيه كان مذعورا وبحث عن بندقيته سريعا فوجدها بجواره فأمسك بها بعصبية ونظر حوله ليجد نفسه ممدا على السرير والأب جالس بجانبه ينظر له في هدوء والصبي والصبية والأم يجلسون في آخر الغرفة... وضع سلاحه بجانبه مرة أخرى واعتدل في جلسته متحسسا الضمادة حول رأسه ثم نظر للأب وسأله:

obeikandl.com

- ليه ما قتلتنيش وأنا مغمى عليا أو سلمتني لجنود النظام؟؟...

ابتسم الأب ابتسامة هادئة وهو يقول:

- إنت ما هاجمتنيش وما عملتليش حاجة علشان أقتلك أو أسلمك وبعدين هو مش انت قلت لي إني شبه أبوك.. فيه أب بيإذي ابنه؟..

شعر بالحيرة بداخله ونظر في عيون كل أفراد الأسرة وأعاد النظر للأب ثم قال:

- أنا دماغي وجعاني

- وريني مكان الجرح

- لأ... دماغي وجعاني من جوه.. حاسس إني تايه..

- ليه؟

- إنتوا ناس طيبين... أنا بعمل إيه هنا؟!!..

- مش عارف يا ابني.. متهيألي إجابة السؤال ده عندك انت بس...

- إنتوا ليه مش مسلمين؟

- وانت ليه مسلم؟

- يعني إيه ليه؟!! علشان الإسلام هو دين الله الحق... إنتم ناس فطرتكم طيبة وجواكم رحمة ناقصكم الإسلام بس علشان تبقوا كويسين...

- طب هو المسلم بس اللي كويس؟..

صمت الأب لحظات ثم أكمل كلامه:

- كان لينا جيران في البيت اللي قصادنا وكانوا ناس شبهنا بالظبط يعني لو انت شايفنا طيبين يبقى ممكن يكونوا هما كانوا أطيب مننا بكتير...

obeikandl.com

كانوا أب وأم وبنتهم... اتنين من زمايلك دخلوا عليهم موتوا الأب والأم واغتصبوا البنت ولما جنود النظام هجموا دارت بينهم معركة وهربوا والبنت موتت نفسها من كتر إحساسها بالكسرة والقهر والحزن..

فغر فاه مذهولا وقال

- إنت أكيد بتكدب ده مش حقيقي... هيغتصبوها ليه وهيعملوا كده ليه؟!!... إحنا ما بنعتديش على النساء أبدًا...

نظر له الأب نظرة تحمل اندهاشا وعطفا وشفقة في نفس الوقت... لا يعرف لماذا يشعر تجاهه بتلك المشاعر العجيبة... أغلب الظن نظرات عينيه الصادقة والتي تختلف عن الآخرين ممن رآهم من زملائه لا تحمل فيها الشر... قاطع أفكاره صوت ابنه فجأة يقول ثائرا:

- بكفى كل هالكلام الكذب وهالمناقشة الفارغة... ماني قادر أفهم بابا ليه ما تسلمه للجيش وعم بتتناقش معه... هو بيكدب زيهم كلهم... كلهم سفاحين...

قاطعه الأب بنظرة صارمة فسكت الابن كاظما غيظه ودار الأب برأسه للشاب مرة أخرى وصمت قليلا ثم قال له:

- إنت ازاي مش مصدق ومش فاهم اللي أنا بقوله؟؟ إنت بقالك قد إيه هنا؟؟

- بقالي سنة... دي أول مرة أنزل الشوارع في اشتباك كل الفترة اللي فاتت كنت تحت التدريب في معسكراتنا وقبليها كنت بحارب في بلاد تانية..

- وزمايلك فين؟ معقول نزلت لوحدك؟

obeikandl.com

– هجم علينا جنود النظام واتفرقنا وتهنا من بعض وعرفت أهرب لحد ما دخلت أستخبى هنا

ابتسم الأب ابتسامة هادئة وهو ينظر إلى عينيه وهو يتكلم ثم عاد برأسه للوراء وقال له:

– إنت ما بتكدبش حاجة غريبة فعلا!!... أعتقد إنك محتاج تسأل عندك في اللي أنا حكيتهولك وتتأكد بنفسك...

ساد الصمت وكانت أفكار الشاب تشبه ساحة القتال تتعارك مع بعضها البعض... نظرات الأسرة من حوله وطباعهم الطيبة ونبرة الرجل الدافئة الصادقة... هناك شيء لا يستطيع فهمه... قد يكون ما حكاه الأب هو تصرف فردي من أحد الإخوة قد تلاعب بهم شيطانهم وتغلب عليهم فانساقوا وراء شهواتهم... بالتأكيد هو تصرف فردي

– أنا لازم أمشي

قالها الشاب وهو يقوم من مكانه فقال له الأب

– إنت ممكن تستنى للصبح لو تحب وترتاح علشان الجرح

– لأ أنا لازم أمشي دلوقت

– على راحتك

– إنما انت كل ده بتتكلم معايا بالمصري!! إزاي عارف تتكلم مصري كويس كده؟؟

obeikandi.com

– أنا عشت في مصر خمس سنين زمان.. كان ليا أصدقاء هناك مصريين كنت قاعد عندهم قبل ما اتجوز... دكاترة زملا ليا... أنا بعشق بلدكم وعمري ما نسيتها...

أطال الشاب النظر له.... كم يفتقد مصر... له عشر سنين خارجها ما بين أفغانستان وروسيا وأخيرا شمال العراق...

استأذن الأب قائلا:

– ممكن أدخل الحمام قبل ما أمشي

أشار له الأب في اتجاه الحمام وهو يقول:

– طبعا بس انت ما قولتليش.. اسمك إيه؟

– عمر.. اسمي عمر...

دخل عمر إلى الحمام ووضع الماء على وجهه ثم نظر في المرآة إلى ملامحه وتحسس ذقنه الطويلة وملابسه العسكرية

– تشرب حاجة تاني يا أستاذ؟

قطع أفكار عمر صوت القهوجي فانتبه فجأة وقال:

– لأ متشكر.. حسابك كام؟

– اتنين جنيه بس..

أعطاه عمر حسابه ونهض من مجلسه في ذلك المقهى في السيدة زينب وصوت أم كلثوم يشدو (أنا وانت ظلمنا الحب بإدينا) وتحسس وجهه مكان ذقنه التي لم تعد موجودة ونظر حوله سريعا ثم وضع يديه في جيوب بنطاله

obeikandl.com

وتحرك وعلى مسافة منه قام شخص آخر من على القهوة وأشار للقهوجي ليعطيه حسابه وتحرك وراء عمر من بعيد وأمسك هاتفه ليطلب رقما ما وقال:

- ألو... أيوه يا سامح باشا.. عمر في السيدة وأنا متابعه سعادتك....

* * *

تقترب الساعة من الثانية والنصف صباحًا ويبدو أن معظم الناس نيام والمحلات مغلقة في تلك المنطقة الشعبية... تمشي (ريم) بخطا ثابتة تتنافى تمامًا مع سيرها في ذلك المكان وتلك الساعة المتأخرة وشعرها القصير المائل للأحمر والبنطال الجينز الضيق والتيشيرت الخفيف الذي يظهر كل تلك الوشوم على ذراعيها ورقبتها والحلق الصغير في أنفها وجمالها الملفت... لاحظت أربعة فتيان يجلسون على جانب الطريق يظهر من جلستهم والسيجارة التي يتبادلونها والرائحة المنبعثة منهم أنهم يدخنون الحشيش... ما أن لمحوها حتى اندهشوا لمعت أعينهم وبدأوا ينظرون لسيجارة الحشيش باستغراب يشكون أن هذا المشهد ليس حقيقيا وأنه قد يكون من تأثير المخدر ولكنهم بدأوا في توجيه كلامهم لبعضهم البعض:

- إلحق يلا!! إيه ده!!

جمالها بملابسها مستفزا لهم خصوصا أن وجود فتاة مثلها في ذلك المكان وفي هذا الوقت شيء غير اعتيادي تمامًا وقد يكون مستحيلًا... نهض اثنان منهم وسارا وراءها قائلين:

- إيه يا عسل رايحة فين كده؟

- طب انتي واد ولا بت؟!!

obeikandi.com

- إيه يا بطل إحنا مش ماليين عينك ولا إيه؟

لم تعرهم ريم أي انتباه وظلت تسير بنفس الثبات مما زاد من استفزازهم فتقدم أحدهم ومد يده ليجذبها من ملابسها فتوقفت فجأة ودارت ببطء لتنظر لهم في عيونهم بكل هدوء وكان الاثنان الآخران قد قاما لينضما لهما وقام أحدهم بالاقتراب منها قائلًا:

- إيه بس يا أسد مش تقولنا طيب رايح على فين كده وماشي ولا كإننا واقفين!!

قالت ريم له:

- وانت مين يلا!! إنت هتصاحبني بروح أمك؟!

ذهلوا جميعاَ ورفع الأخير يده يهم بضربها وهو يقول لها:

- روح امي!! روح ام مين يا بنت ال..

لم يكمل جملته فقد كان رد فعل ريم مخالفا لكل توقعاتهم فقد سحبت من فمها شفرة موس بحركة سريعة جدًّا تدل على تمرسها وقامت بخدشه في رقبته فبهت ووضع يده على مكان الجرح ونظر للدماء في يده وقبل أن يقبل الآخرون كانت ريم قد قفزت على سطح السيارة المجاورة لها بخفة ورشاقة وهي تقول بأعلى صوتها:

- جرى إيه يا ولاد المرة!! مين فيكم تاني يحب يتعلم عليه؟!!

قبل أن يستوعبوا ما تفعله تلك الفتاة العجيبة كانت معظم نوافذ البيوت حولهم قد فتحت وخرج منها السكان على صوتها العالي وصفارات

obeikandl.com

الإنذار الصادرة من السيارة التي تقف عليها وامتلأ الشارع في لحظات.. ارتبك الفتية من تجمع السكان ورمى أحدهم سيجارة الحشيش من يده بعيدا دون أن يلحظه أحد واستغرب الناس المشهد فالفتيان يحيطون بالسيارة وريم فوقها وبدأوا يتساءلون عما يحدث فقالت هي بأعلى صوتها:

– العيال دي قطعت عليا الطريق وأنا ساكنة في البيت ده.

وأشارت إلى عمارة أمامهم التي خرج منها رجل كبير في السن بجلباب النوم ودخل سريعاً في وسط الناس ليزيحهم من طريقه حتى وصل عند السيارة قائلًا:

– فيه إيه يا بنتي؟ حصل إيه؟؟

– العيال دي يا عم حمدي حاولوا يتهجموا عليا

أدار حمدي رأسه فوجدهم يحاولون الهرب ببطء فأمسك بهم الناس وكان منهم اثنان يعرفونهم فهم يسكنون هنا ويعملون في ورشة لتصليح السيارات نهارا وكسائقين للتكاتك ليلًا والآخران من خارج المنطقة فقال الذي جرح في رقبته محاولا الدفاع عن نفسه أمام الناس:

– يرضيك يا عم حمدي أتعور في رقبتي كده!!

نظرت إليه ريم بعد أن نزلت من على سطح السيارة وقالت وهي مبتسمة بسخرية:

– ده جرح صغير ما تخافش مش هيحصلك حاجة حط عليه شوية ميكروكروم هتبقى كويس يا حبيبي

أدار الشاب نظره نحو حمدي مرة أخرى وقال له وهو يستشيط غيظًا:

obeikandi.com

- يعني انت يرضيك أتهزق كده يا عم حمدي؟؟

فقال له حمدي بلهجة صارمة:

- ما انت اللي عملت كده في نفسك يعني قاعدين بتتهببوا بتحششوا وبتتهجموا عليها!! ده بدل ما تتنيلوا على عنيكم تاخدوا بالكم من الناس اللي ساكنين هنا وتحرسوهم وكمان جايبين عيال من بره المنطقة تفرجوهم علينا!!

- ما كناش نعرف إنها من هنا يا عم حمدي

- بس بقى يلا اخرس خالص ما اسمعش حسك

أطبق الفتى فمه وهو يكاد يموت غيظًا ويمسح الدماء عن رقبته وياقته وكتفه.. أدار حمدي وجهه للجميع فيبدو أن له كلمة والجميع يحترمه هنا:

- يلا كله يروح لحاله خلاص المولد انفض

انصرف الجميع وهم ينظرون لريم بكل دهشة وخاصة النساء اللواتي تجمعن في النوافذ ونظراتهن لها خليط ما بين الاستعجاب والإعجاب والاستنكار... اختلطت مشاعرهم تجاهها فهم لا يستوعبون مظهرها وملابسها وفي نفس الوقت مبهورون بدفاعها عن نفسها القوي وثقتها في نفسها... وجه حمدي كلامه لريم:

- يلا يا بنتي اطلعي شقتك... أنا آسف لك ما حدش هيتعرض لك تاني...

بعد أن انصرفت نظر حمدي للفتى وأعطاه منديلا وأمسك بذقنه ونظر للجرح عن قرب ثم تركه قائلا له بتهكم

obeikandl.com

- ابقى حط ميكروكروم... جتك خيبة في خيبتك...

وانصرف هو أيضًا وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا... ما أن دخلت ريم شقتها وأغلقت الباب وراءها حتى ألقت بنفسها على المرتبة التي تضعها على الأرض بدلًا من السرير... تشعر بالخوف... تمتلئ به وقد تكون وهي بالأسفل أثناء الشجار وتجمع السكان حولها ونظراتهم لها كانت ترتعد من الخوف ولكنها احترفت حبس الخوف بداخلها فلا يظهر عليها سوى الجلد والسخرية فقط.... كم تكره ذلك الشعور وتلك الطفلة التي ما زالت تسكنها رغمًا عنها... تبغض الضعف والانهزام... ذلك الشعور بالخوف الذي ينتابها وهي وحدها يجعلها غاضبة وثائرة... قامت بمد يدها في درج صغير بجانبها وأخرجت سيجارة حشيش قامت بلفها سريعًا محاولة أن تتمالك أعصابها... حمدي صاحب العقار الذي تسكنه يعطف عليها هو وزوجته فقد حكت لهم عندما جاءتهم تطلب السكن أنها تعيش في الشوارع منذ شهر وليس لها أهل ولا أحد ورغم أن تلك هي الحقيقة إلا أنها استخدمتها لتستجدي عطفهما ليؤجر لها حمدي فليس من السهل أن يقبل تأجير شقته لأنثى تعيش وحدها وهي أيضًا مختلفة في مظهرها وسلوكها عن الشكل العام وخاصة أن المنطقة شعبية ذلك يزيد الأمر صعوبة... رغم حمايته لها وعطفه عليها ومعاملة زوجته لها وكأنها ابنتها إلا أنها تكره ذلك أيضًا فهو يشعرها بضعفها وهي تمقت الضعف والضعفاء... أشعلت السيجارة وأخذت نفسا عميقا ثم أخرجته ببطء... أراحت رأسها للوراء ممددة جسدها... كان لا بد أن تقوم بما فعلته فهي تعرف جيدًا أنها ستقابل هؤلاء الفتية في طريق عودتها وتعمدت أن تمشي وحدها حتى البيت في تلك

obeikandi.com

الساعة المتأخرة حتى تستفزهم وتجبرهم على الاحتكاك بها فتباغتهم هي كما فعلت ليعرف كل سكان المنطقة بأمرها وبطريقتها في التعامل فيتجنبوها ولا يتعرض لها أحد بعد ذلك... اعتادت المواجهات الشديدة والضغوط والظروف العصيبة... كم تكره تلك الحياة بشدة فليس بها شيء يدعو لأن تكملها وعلى الرغم من أنها حاولت الانتحار من قبل مرتين أو ثلاثة إلا أنها لم تنجح في ذلك وكأن الحياة تعاندها والموت يتحاشى بنظره عنها ويرفضها أيضًا!!.... حتى الموت لا يريدها ولا يقبلها... فوجئت بدموع قليلة تتساقط من عينيها دون أن تشعر.... كم تكره تلك الدموع السخيفة المتخاذلة وتكره تلك الأنثى التي تعيش في رأسها.... قالت ذلك لنفسها وهي تعود بذكرياتها بعيدًا... بعيدًا لترى نفسها طفلة لم تتجاوز العاشرة من عمرها بعد وتقترب منها أمها تتحسسها وهي تحممها وتغسل جسدها لم تكن تدرك شيئا بل كانت تحب أمها كثيراً ولم تكن تعرف أنها تتحسس صدرها الصغير وبطنها وشفتيها وعضوها التناسلي.... كانت تظنه من ضمن حنان الأم وتعودت على ذلك.... كانت تشعر مع الوقت بالإثارة ولكنها لا تفهم الشعور ولا تعي معناه ولا معنى تلك الأحاسيس فقط تشعر بها حتى فعلتها أمها يوما وكانت قد بلغت الثانية عشرة وقتها.... تتذكر ذلك اليوم بوضوح شديد فقد فضت أمها بكارتها بنفسها!!... بدأت تستوعب الأمر شيئا فشيئا بمرور الأيام.... كانت تجد أمها في معظم الأوقات تجلس وحيدة مطفئة كل أنوار البيت تكلم نفسها وتشعر هي بالشفقة عليها فتحتضنها ويمارسان الجنس!!... كانت تحاول منعها من تلك الأقراص التي أدمنتها وسرقت منها أغلب عقلها.... كل مشاعرها تجاه تلك المرأة متناقضة تماما

obeikandl.com

فهي لا تعلم حتى الآن هل تحبها أم تكرهها لما فعلته بها... جعلتها تشتهي النساء... وعندما وصلت للسادسة عشرة استيقظت يوما لتجد أن أمها قد انتحرت تاركة لها رسالة مقتضبة جدا (سامحيني)... لم تذرف دمعة واحدة بل كان قلبها فقط هو الذي يبكي بعد أن أنهت كل إجراءات الدفن لملمت وحدها كل أغراضها وغادرت بيتها ولم تعد مرة أخرى منذ تسعة عشر عاما.... بل تركت ذلك البلد الأوروبي بأكمله وسافرت إلى مصر لتذهب إلى أبيها.... تعرف أنه ثري ويعيش في حي راق وقد يحتويها... ذهبت إليه تبحث عن الأمان فقد كانت تسمع أمها في الأوقات القليلة التي كان يستيقظ فيها عقلها أنها تشبه أباها كثيرا... تتذكر أيضا بكل دقة كيف حاول ذلك الأب التحرش بها وعندما منعته وحاولت المقاومة مفزوعة انهال عليها ضربا بشدة وأخذ يعايرها بمرض أمها ويشبهها بها... وكيف قامت بالانتقام منه بعد ليال طويلة من البكاء والخوف... انتقمت منه بوضع مخدر له في القهوة وقيدته بإحكام وأدخلت عصا في مؤخرته حتى أصيب بجروح بالغة وذهب للمستشفى وقام بإبلاغ الشرطة وأدخلها السجن لثلاث سنوات وقد خفف الحكم لأن القاضي صدقها ولكن القوانين البشرية لم تكن يوما منصفة... اختلطت الذكريات ببعضها البعض... مشاهد السجن ومسح الحمامات مع غرفة التأديب والانفرادى وعربة الترحيلات والكلبشات في يدها... امتزجت المشاهد ببعضها البعض مع تأثير الحشيش على خلايا عقلها وانطفأ كل شيء مرة واحدة وذهبت في النوم... النوم... الشيء الوحيد الذي يمنع عقلها من التفكير في كل ذلك الكم من القبح....

* * *

obeikandl.com

رحل معظم الناس ولم تتبق سوى منضدة واحدة عليها رجل وامرأة يتهامسان وآخر يجلس وحيدا على البار يحتسي آخر كأس وقد انتهت السهرة ويوم آخر من أيام العمل ولينا قد خرجت من الحمام بعد أن خلعت عنها فستانها الذي كانت ترتديه وهي تعزف وعادت لملابسها المعتادة... لبنطالها الجينز والتيشيرت البسيط وعليهما البالطو.... لمحت محمود النادل العجوز يلملم بعض الزجاجات الفارغة ومطفأة سجائر امتلأت عن آخرها فذهبت إليه وربتت على كتفه قائلة:

– عامل إيه يا عم محمود... مالك النهارده طول اليوم سرحان كده وما بتهزرش معايا ولا مع باقي الاستاف زي عوايدك!!

وضع محمود ما بيده بجانبه وقال لها:

– سميرة تعبانة قوي والمرض زاد عليها... شكلها بتودع يا بنتي

– ما تقولش كده يا عم محمود إن شاء الله هتخف وهترجع أحسن من الأول كمان...

ابتسم محمود ابتسامة باهتة لمجاملتها قائلا:

– ما حدش بيخف من السرطان يا لينا... أنا مش مضايق من ربنا بالعكس ده النصيب... أنا بس نفسي لو اعرف أخفف عنها الوجع.... لو أعرف آخد منها وجعها إن شا الله لو اتوجع أنا بدالها واخليها حتى لو حتموت ما تموتش وهى بتتألم...

سكتت لينا وقاومت دمعة تريد الفرار من عينيها ولم ترد أن تزيد من همومه فقد كانت تحاول أن تشد من أزره.. قامت بتغيير دفة الكلام:

obeikandl.com

- نرمين عاملة إيه؟

- كويسة الحمد لله أهي تعبانة مع أمها يا عيني... بتحميها وتدي لها الأدوية... إنتي عارفة ظروف شغلي مش مخلياني عارف أساعدها وكل حاجة على دماغها لوحدها لما انطفت هي كمان...

- هكلمها واعدي عليها بكرة

- تنوري يا بنتي في أي وقت بس ما لهوش لازمة التعب ده وبعدين ماهو انتي كمان فيكي اللي مكفيكي وعندك شغلك...

نظرت لهاتفها الذي كان يرن وتجاهلته بعد رؤيتها لاسم أمها وأكملت كلامها مع محمود:

- يا عم محمود دي أختي وانت زي أبويا وماما سميرة زي أمي بالظبط طول عمركم حنينين عليا... هروح لها...

- تآنسي وتشرفي يا حبيبتي...

حملت كمانها واستعدت للمضي مودعة محمود:

- تصبح على خير

- وانتي من أهل الخير

خرجت من البار لتلمح نظرات الناس المليئة بالشهوة والاتهامات وهي تنتظر تاكسي ولكن ليس هذا ما كان يزعجها فلقد اعتادته وأصبح جزءًا لا يتجزأ من حياتها للأسف وإنما الذي كان يزعجها هو هاتفها الذي لم يكف عن الرنين دون توقف وهي تنظر لرقم أمها في ضجر ثم ردت على

obeikandl.com

مضض لتسمع صوتها من الناحية الأخرى تسألها بصوت عال:

- إنتي فيين؟؟

- هكون فين يعني!! لسه مخلصة وواقفة مستنية تاكسي

- ما بترودش ليه على التليفون ع الطول؟!!!

- معلش كنت بتكلم مع حد بس

- حد مين؟؟

قالت وهي تتحكم في أعصابها وتتجاهل سيارتين يحاولان إقناعها بالركوب:

- حد معايا في الشغل يا ماما

لمحت تاكسي قادمًا من بعيد فقامت بتثبيت الهاتف على أذنها بكتفها لتشير له ويدها الأخرى تحمل الكمان... توقف التاكسي وفحصها السائق من رأسها لقدمها وهي تخبره بوجهتها فأشار لها أن تركب وهو متململا فهو يؤمن تماما أن فتاة تشير له الساعة الثالثة صباحا ليس لها سوى معنى واحد فى مجتمعنا إنها عاهرة وأيضا ما تحمله يبدو أنه آلة موسيقية فاكتفى بأن يشيح بوجهه وهو يتمتم بصوت واضح (أستغفر الله العظيم) أدار المذياع فور تحركه على إذاعة القرآن الكريم علها تحميه من وجود كل تلك الموبقات في سيارته فتاة ليل وموسيقى!!!

- أنا ركبت يا ماما وفي الطريق

قالت لها لينا ذلك في محاولة لإنهاء المكالمة ولم تكن تسمع نصف

obeikandl.com

كلامها بل إنها تعمدت إنهاء المكالمة معها سريعًا فهي تدرك جيدا أنها ليست قلقة عليها بل كل ما يهمها الأموال فاليوم هو ميعاد القبض فقط لا غير ولكنها لا بد أن تضيف حول هذا الغرض بعضًا من المشاهد والكلمات الخاصة بالأمومة من وجهة نظرها حفاظا على ماء الوجه وكأن دور الأم هو فقط في أن تسأل ابنتها أين كانت ولماذا تأخرت وكأن الأمومة انحصرت فقط في الاتهام والشك!!... نظر لها السائق نظرة في المرآة كلها اشمئزاز وهو يقول لنفسه (كمان بتكلم أمها بقلة أدب أعوذ بالله)

وخرج من فمه استغفار آخر وهو يلقي نظرة قصيرة على صدرها ثم يشيح بوجهه مرة أخرى وتجاهلت لينا كل هذا ونظرت إلى العداد فوجدته مطفأ فسألته:

- إنت مش مشغل العداد ليه يا اسطى؟

قال لها متململا دون أن ينظر إليها ليغض بصره:

- مش شغال والله يا أبله عطلان

تعرف جيدا أنه يكذب رغم المظهر الديني واستغفاره كلما نظر لها والقرآن الذي يسمعه فأصرت أن تخدعه وتحرجه قائلة:

- طب إحنا هنعدى على لجنة في طريقنا خلي بالك والظابط اللى بيقف فيها رخم قوي أنا عارفاه كويس بيوقف التاكسيات وبيبص ع العداد ولو شاف العداد بتاعك مش شغال هيعمل لك مشكلة وأنا مرضلاكش الأذى فقلت أنبهك بس

توتر قليلا ونظر لها ناسيا الاستغفار والفتنة قائلًا:

obeikandl.com

– بجد؟ عملوها إمتى اللجنة دي أنا لسه معدي من هنا من يومين ما كانش فيه لجنة ولا حاجة؟!!

– إمبارح كانت واقفة هي عمومًا مش شرط تبقى موجودة كل يوم فاحنا وحظنا بقى... لو تحب أنا ممكن أنزل هنا واركب تاكسي تاني عداده شغال...

– لا يا بنتي أنا هشغل العداد بس أصله ما بيجيبش همه وانتي عارفة الدنيا غليت والجو ليل وانا هرجع فاضي فلو تراضيني انتي بقى يبقى كتر خيرك...

نظرت له بسخرية وقالت:

– هزودلك عشرين جنيه علشان الوقت متأخر

تهللت أساريره وقام بتشغيل العداد ثم أخذ يستمع للقرآن ويردد معه الآية التي يبدو أنه يحفظها عن ظهر قلب ولكنه لم يفهمها يوما (نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون)!!.... ما أن وضعت مفتاحها في باب الشقة ودخلت حتى وجدت أمها جالسة في انتظارها مشعلة سيجارة تقول لها بتهكم وعصبية:

– حمد لله ع السلامة يا فنانة.. إنتى بتقفلي السكة في وشي؟!!

نظرت لها لينا نظرة كلها غضب وسخط قائلة:

التليفون قطع شحن أنا مقفلتش السكة في وشك وبعدين هو في إيه مش فاهمة؟ إيه قلقانة عليا ولا إيه؟!!

قالت لها أمها بصوت عال وحدة

– وما اقلقش ليه يا روح امك إيه؟ كبرتي عليا ولا إيه يا بت؟!!

أخرجت لينا من حقيبة الكمان نصف القبض ووضعته أمامها على المنضدة قائلة وهي متوجهة نحو غرفتها:

obeikandi.com

- لأ ما انا عارفة إنك أكيد قلقتي..

- قصدك إيه يا بت انتي؟ مش فاهمة انتي بتتريقي؟

- لا ولا بتّريق ولا حاجة

ودخلت غرفتها وأغلقت الباب وراءها دون أن تسمع أمها وهي تمسك بالأموال لتعدها وهي تقول:

- أما بت قليلة الحيا صحيح!!

جلست لينا على طرف سريرها بعد أن وضعت كمانها ومعطفها على كرسي بجوارها وأمسكت برأسها وأغمضت عينيها... أخيرا غرفتها المكان الوحيد في العالم وفي هذا البيت الذي تشعر فيه أنها بحريتها وتشعر بالهدوء دون كل هذا الإزعاج النفسي والعصبي وكل تلك الضغوط... النظرات التي تشبه الأنياب في كل مكان ونظرات أمها التي تمتلئ بالكذب والنفاق والتي لا تختلف عن نظرات كثير من الزبائن الذين يسهرون في أماكن عملها ونظرات المتعهدين وأصحاب أماكن العمل... الكل يكذب وينافق... كل هذا الضجر والحمل لا ترتاح منه سوى في تلك الساعات القليلة التي تقضيها وحدها في غرفتها.... لتسرح بعقلها في المستقبل وتحلم بيوم تتخلص فيه من كل تلك الهموم وتحاول البحث عن حلول لا تفعل منها شيئا في نهاية التفكير.... تشعر بأنها في سجن صغير داخل بيتها وما أن تخرج منه لتشعر أنها في سجن أكبر داخل عيون الناس وعقولهم المريضة في الطرقات والمواصلات والمحلات وأماكن العمل.... ترى ما الحل وأين المفر؟!!.... تشعر وكأن هناك جبلًا على صدرها وضيقًا في التنفس وأن هناك حبلًا يلتف حول رقبتها وتتباطأ أنفاسها وتختنق فعليا... مدت يدها

obeikandl.com

لتأخذ قرصًا من دواء كان قد كتبه لها الطبيب لتأخذ منه قرصًا في وقت اللزوم وليهدئها ويساعدها على النوم... هذا الدواء على الأقل كثيرا ما يفعل معها ما لايفعله البشر... يشفيها من الاختناق...

* * *

دخل نادر من باب شقته ثم دار بنظره حوله... لا يوجد أحد بالمنزل... تحرك نحو غرفة والده وحاول أن يفتحها فوجدها مغلقة... إن هذا اليوم هو الذي يقبض فيه والده معاشه فيأتي هو في نفس الموعد من كل شهر ليأخذ منه نصف المبلغ... ما زال اليوم في بدايته ولم يأخذ كفايته من الهيروين فقط تعاطى قرصين من برشام مخدر لكي لا يشعر بآلام الانسحاب وكذلك رشا فأخذها معه وتركها أمام العمارة تنتظره حتى يأخذ الأموال من والده ليستطيعا شراء الهيروين... يبدو أن أباه لم يأت من مشوار القبض بعد... يتحرك نادر ببطء داخل الشقة التي تركها منذ سنين ويعيش هو ورشا في شقة أخرى استأجراها... يشعر بغصة في حلقه وينقبض قلبه كلما جاء هنا.... كل ذكرياته في ذلك المكان بغيضة ومؤلمة... شجاره الدائم مع أبيه وموت أمه المفاجئ وقد كانت المصدر الوحيد للحب في حياته... سقوطه في براثن الهيروين... وجه والده الذي طالما كان يراه قبيحا... شيء واحد الذي توقف عنده قليلا... نافذة غرفته التي كانت تطل على نافذة لينا.... كم قضى بجوار تلك النافذة أياما عديدة يراقبها ويرسمها على لوحاته وهي تمشط شعرها وهي تعزف على كمانها.... سمع صوت المفتاح يدور في باب الشقة فخرج من غرفته ليرى أمامه والده... كم يتغير شكله كل شهر عن الشهر الذي قبله... يزيد سنه بشكل ملحوظ وقد كسا البياض معظم شعره... ارتجف والده قليلا فور

رؤيته وملأت عينيه نظرات الخوف... لم يعد ذلك الأب القاسي فقد قصمت ظهره الهموم والضغوط وإهانات ولده له وحزنه الشديد لما آل إليه مصير نادر وإحساسه بالذنب وتأنيب الضمير قد كبر في تلك التجربة أضعاف عمره... لم يكن يتصور أنه سيصل في يوم من الأيام إلى أن يخاف من ابنه أو أن يكون بهذا الضعف.... تمالك نفسه بصعوبة وقال لنادر وهو يبتلع ريقه:

- دقيقة بالظبط وهدي لك الفلوس أنا عارف إنك تعبان وعايز تضرب...

فتح الأب باب غرفته بالمفتاح ودخل إليها سريعا ليغلقها بالمفتاح مرة أخرى وتابعه نادر في صمت وأشعل سيجارة.... أحيانا يشعر بالشفقة عليه ولكن هناك ماردًا يسكن بداخله ما أن يأتيه هذا الشعور حتى يثور المارد ويقبض عليه بكفه من قلبه ويصرخ فيه وهو يعتصر قلبه ويذكره بكل ما مضى إن هذا الرجل لا يستحق الشفقة ويخبره أن آلام الانسحاب قاربت على الظهور وسيزول مفعول البرشام ولا بد أن يحصل على الأموال لشراء الهيروين.... كل شهر لا بد أن يمر بهذا الصراع في نفس المكان وينحسم الصراع لصالح المارد وينصاع نادر لأوامره فورًا... خرج الأب مرة أخرى وأغلق الباب وراءه بالمفتاح واقترب من نادر في حذر ثم مد يده إليه بالأموال قائلًا:

- نص المعاش بالظبط زي كل مرة...

نظر له نادر بحدة بعد أن أخذهم منه وعدهم وقال والسيجارة في فمه:

- عايز ٢٠٠ جنيه كمان

obeikandi.com

اتسعت عينا الأب وارتجف صوته وهو يقول

- بس يا ابني..

قاطعه نادر بقسوة:

- من غير بس وقلت لك قبل كده ما تقوليش يا ابني دي وانجز علشان مستعجل..

وضع الأب يده في جيبه وأخرج باقي الأموال ليعطيه مائتي جنيه وخطف نادر كل ما في يده من أموال فجأة ففزع الأب وشهق وهو يتحرك وراءه قائلا بلوعة:

- يا نادر... بلاش أبوس إيديك يا ابني.... أنا ما معاييش غيرهم... طب هاكل واشرب منين بس؟

تعلق بظهره إلا أن نادر أزاحه بعنف فسقط الأب أرضا متأوها... توقف نادر وهو ينظر إليه وعقله من الداخل يمتلئ بإزعاج شديد من الأفكار التي أغلبها قسوة ولكن جسده تسمر وهو يرى أباه يسقط ويتوجع... اقترب منه نادر في تردد وأعانه على القيام فتعلق الأب بذراعه وكأنه يتعلق ببقايا ابنه الساكن بداخل هذا الوحش وما أن أجلسه نادر على أقرب كرسي حتى أزاح يده عن ذراعه سريعا ثم أخذ مائتي جنيه وأعاد له باقي أمواله مرة أخرى وتوقف لحظات وأبوه ينظر له بنظرات كلها حزن وعطف وكل معاني الحيرة واللهفة إلا أن نادر أشاح بوجهه بضيق ثم خرج من الشقة مغلقا الباب وراءه بقوة... خرج من العمارة ليجد رشا جالسة على سور قريب وقامت من مجلسها فور رؤيته قائلة:

obeikandl.com

- كل ده تأخير يا نادر!! إيه النظام أنا جسمي فضي وبدأت أتعب...
- أخرج هاتفه من جيبه وهو يقول لها:
- كله تمام
- مالك؟
- مفيش

رد عليه رقم تاجرة الهيروين فقال:

- صباح الفل يا امه... إيه فينك يا ست الكل؟... الحاجة هي هي بتاعة امبارح؟؟... طيب أنا مسافة السكة واكون عندك....

أنهى الاتصال ونظر نظرة أخيرة وراءه نحو شرفة شقتهم فرأى والده واقفًا ينظر له من فوق فأشاح بوجهه وأمسك بيد رشا قائلاً:

- يلا بينا نمشي من هنا...

* * *

ركن الرائد سامح زيدان سيارته السوداء الحديثة المهيبة وزجاجها المغطى بأكلمة بالفاميه الأسود كشخصيته ونزل منها وتحرك في اتجاه ذلك المبنى داخل مقر من مقرات أمن الدولة وانتبه العساكر الواقفون على باب المبنى فور رؤيته وألقى الجميع بالتحية العسكرية وخلع هو نظارته الشمسية ومشى في ردهات المبنى بخطا ثابتة حتى وصل إلى المصعد وصعد إلى الدور الثالث حيث مكتب اللواء الفرماوي وفتح له الحارس الواقف بالخارج الباب وهو ينهض مؤديا التحية العسكرية وما أن رأى سامح الفرماوي جالسا على الأريكة بجوار مكتبه يتفحص بعض الأوراق حتى أدى التحية العسكرية بدوره قائلا:

- صباح الفل يا باشا

obeikandl.com

نظر له الفرماوي وقال:

صباح الفل يا سامح تعالى

جلس سامح بجواره ووضع نظارته ومفاتيحه على المنضدة وأشعل سيجارة ثم قال:

- أخبار معاليك إيه يا باشا؟

- تمام قولي إنت إيه الأخبار؟

- كله تمام سعادتك... عمر تحت عينينا خطوة بخطوة وواضح إنه فعلا بيخطط لحاجة زي ما سعادتك قلت بالظبط يا فندم

- عمر ده مش سهل أبدا يا سامح خلي بالك... متدرب كويس قوي وذكي لازم نبقى دايما سابقينه بخطوتين ع الأقل لحد ما نعرف هو بيعمل إيه في مصر بالظبط

معلش يا باشا سامحني في السؤال يعني بس أنا مش فاهم ليه ما نقبضش عليه ع لطول ونستجوبه هنا ونفهم بطريقتنا بدل اللفة دي كلها؟؟

- غلط... لما يحس إنه حر هنعرف أكتر هو بيعمل إيه بالظبط أسهل ما نقبض عليه ونعرف هيقابل مين...

- تمام يا باشا

نهض الفرماوي من مجلسه إيذانا بإنهاء المقابلة فقام سامح واقفا ململما أشياءه وقال:

- أي أوامر تاني سعادتك؟

obeikandl.com

صمت الفرماوي قليلًا ثم أشعل سيجارة وجلس وراء مكتبه لينظر لسامح قائلا:

- إنت عارف طبعا أنا اخترتك انت بالذات تمسك القضية دي ليه؟... ليه اخترت سامح زيدان... ومتأكد إن اختياري صح وإنك مش هتقصر رقبتي... إنت من أكفأ الظباط فى الإدارة هنا

ابتسم سامح في زهو قائلا:

- تلاميذ سعادتك يا باشا

أومأ الفرماوي برأسه مطمئنا ثم قال:

- مع السلامة

أدى سامح التحية العسكرية وانصرف مغلقا الباب وراءه... فتح الفرماوي ملفًا أمامه به صورة عمر ثم عاد بجسده للوراء ليأخذ نفسا عميقا من سيجارته وينفث الدخان في وجه الصورة وأمسك بهاتفه ليتصل برقم ما ويقول

أيوه يا باشا... كله تمام والخطة ماشيه زي ما هي... تمام يا فندم تمام... اتفضل سيادتك... أنهى الاتصال ثم نهض من مكانه لينظر من نافذة مكتبه إلى سامح وهو يركب سيارته أسفل المبنى وينطلق بها منصرفًا...

* * *

نزلت لينا من التاكسي على أول الشارع الذي يسكن به محمود أعطت السائق حسابه وتحركت تجاه العمارة وصعدت لتصل لباب الشقة وقامت برن الجرس لحظات ثم فتحت لها (نرمين) ابنة محمود الوحيدة وأشرقت ابتسامتها فور رؤيتها للينا وأخذتها في حضنها قائلة:

obeikandl.com

- وحشتيني قوي يا لينا تعالي خشي

دلفت لينا إلى داخل الشقة وتوجهت لغرفة المعيشة وجلست بجانبها نرمين لتقول لها:

- عاملة إيه يا حبيبتي وحشاني خالص

- الحمد لله يا نرمين وانتي كمان وحشتيني أنا مقصرة معاكي وعارفة إنك زعلانة مني بس والله ظروف شغلي ودنيتي هي اللي معطلاني عن إني أشوفك

ابتسمت نرمين ابتسامة رقيقة قائلة:

- عارفة يا روحي ومقدرة... تشربي إيه؟

- ولا أي حاجة هو أنا ضيفة ولا إيه؟... أُمال ماما سميرة فين؟

خفتت ابتسامة نرمين وهي تقول:

- نايمة... التعب زاد عليها قوي بتودع يا لينا

- ربنا يشفيها ويطمنكم عليها يا رب

- تشربي إيه بقى يلا قولي

- طيب أي حاجة سخنة

- أعمل لك نعناع؟ أنا عارفة إنك بتحبيه

ابتسمت لينا بطيبة قائلة:

- ماشي

قامت نرمين ودارت لينا بعينيها في الشقة من حولها لطالما كانت تلجأ إليها في الأيام التي تشتد فيها صراعاتها مع أمها وتتذكر جيدا ذلك

obeikandl.com

الإحساس بالطمأنينة الذي يأتيها في كل المرات التي جاءت فيها إلى هنا... شقة متواضعة جدا وأثاثها بسيط ولكنها تبعث فيها الراحة والأمان... دخل عليها محمود مرحبًا بابتسامة واسعة:

- أهلا أهلا يا لينا... برضه جيتي وتعبتي نفسك يا حبيبتي

- يا عم محمود ده واجب عليا إنت عارف كويس أنا بحب نرمين قد إيه وماما سميرة ده انتم أهلي

معلش يا بنتي سميرة نايمة لسه واخدة الحقنة بتاعتها والحقنة دي بتنيمها معظم الوقت علشان تقلل من الوجع... كانت هتبقى مبسوطة قوي لو شافتك هي كمان بتحبك قوي زي نرمين بالظبط ودايما كانت بتسألني عليكي وتطمن على أحوالك..

- ربنا يشفيها يا رب

- ربنا يجبر بخاطرك يا بنتي... أنا لازم أمشي بقى انتي عارفة مواعيد الشغل البيت بيتك طبعا مش عايزة مني أي حاجة؟

- ربنا يخليك يا عم محمود مع السلامة

انصرف محمود مودعا ابنته التي دخلت حاملة صينية عليها النعناع ووضعتها أمام لينا فشكرتها الأخيرة وجلست نرمين بجانبها وساد الصمت ولينا ترتشف رشفات بطيئة من النعناع وهي تتابع ملامح نرمين التي تبدلت بشكل ملحوظ كما قال أبوها فقد فقدت الكثير من الوزن وانتشرت تحت عينيها الهالات السوداء وتربط شعرها وراء رأسها ويبدو الحزن جليا في نظرات عينيها فسألتها:

- عاملة إيه يا نرمين؟ طمنيني عليكي

obeikandi.com

ابتسمت نرمين نصف ابتسامة باهتة وهي تقول:

- زي ما انتي شايفة... عجزت يا لينا

- عجزتي!! يا بنتي انتي أصغر مني بتلات سنين عجزتي إيه واحنا لسه في العشرينات بس!!

- البني آدم الظاهر ما بيعجزش بالسن... بيعجز باللي بيشوفه في حياته...

- إيه بس فيه إيه مالك؟ احكيلي...

- الناس يا لينا.. الناس وحشة قوي ما حدش بيرحم حد ولو حتى بإنهم يسيبوه في حاله... عارفة... أنا عمري في العمارة هنا من ساعة ما اتولدت ما قربت من حد قوي دايما في حالي وابويا وأمي كمان كانوا دايما في حالهم.... ما لناش دعوة بحد ولا بنجيب في سيرة حد ولا حتى نعرف بيعملوا إيه... إنما هما مش كده... أنا سمعت يا لينا شتيمتي بوداني كذا مرة والغمز واللمز صحيح ما بيقولوهاش في وشي بس أنا مش عبيطة... شوفي البت لابسة إيه... شوفي جاية امتى... شوفي بتعمل إيه!!... وابويا علشان بيشتغل في بار فلازم بنته هتبقى ماشية على حل شعرها طبعا... مع إنك شايفة لبسي بقالك سنين أهو حتى البنطايل تقريبا ما بلبسهاش قوي وكل لبسي عادي مش ملفت حتى...

قالت لها لينا بحدة:

- ما انتي حرة تلبسي اللي انتي عايزاه ويولعوا... وانتي تسكتي ليه ما تحطي صباعك في عين التخين...!!...

obeikandl.com

– أنا طول عمري ما بحبش المشاكل يا لينا ولا أمي ولا ابويا ما بنحبش الدوشة ولا وجع الدماغ أنا لو دست لحد على طرف من غير ما اقصد ما بعرفش أنام...

– طب و ده يعني اللي يعمل فيكي كده و يخليكي حزينة بالشكل ده!!... يا بنتي ارمي ورا ضهرك الناس دول ولا ليهم أي لازمة زي قلتهم... في جزمتك... إنما تزعلي نفسك للدرجادي مش معقول!!

– أنا زعلانة علي ماما أوي كمان وتعبانة معاها..قد إيه إحنا ضعاف أوي البني آدم مننا في لحظة ممكن يبقى أضعف من ورقة... ليه بنعجز؟!! وليه بنمرض؟!! وليه لو هنموت ما نموتش على طول من غير ما نتوجع كده مش فاهمة؟!!

ابتسمت لها لينا ابتسامة مشفقة وهي تقول:

– ماما سميرة هتخف إنشاء الله وهتبقى كويسة بلاش سيرة الموت دي...

بادلتها نرمين بابتسامة على مجاملتها اللطيفة وأكملت لينا:

– يا نرمين أنا طول عمري بحب أبص لك من كتر ما انتي جميلة مش بس وشك اللي جميل وروحك كمان كانت بتنشر الجمال حواليكي وضحكتك الحلوة وحشتني... وشعرك اللي كنتي على طول سايباه ربطاه ليه كده؟؟.. يا كلبة ده أنا دايما بحسدك على شعرك ده أُمال أنا أعمل إيه في الليفة اللي عندي فوق دي وطالقاه أهو على الناس وانتي اللي شعرك حرير تلميه كده!!

ضحكت نرمين ضحكة جميلة وأكملت لينا:

– فكي شعرك وكبري دماغك من الناس وكلامهم إنتي حلوة وهتفضلي حلوة وهما بس اللي بيحقدوا عليكي وماما سميرة متهيألي هيتعبها أكتر إنها تشوفك كده ولا إيه؟؟

obeikandl.com

لم ترد عليها نرمين واكتفت بإيماءة من رأسها وهي مبتسمة ووضعت لينا كوب النعناع الفارغ على الصينية أمامها وقالت:

– أنا لازم أمشي عندي شغل كمان ساعة على بال ما الحق..

– كان نفسي تقعدي معايا أكتر من كده بس أنا عارفة إن ظروفك مش مساعداكي ربنا يعينك... ما تغيبيش عليا يا لينا أنا ما حدش بيسأل عليا ولا بيزورني غير شيماء بنت خالتي كل فين وفين..

حضنتها لينا قائلة:

– هجي لك تاني قريب المهم انتي خلي بالك من نفسك وبوسي لي ماما لما تصحى ولو احتجتي أي حاجة كلميني على طول أنا أختك..

– عارفة يا حبيبتي ربنا يخليكي يا رب...

أوصلت لينا حتى الباب وودعتها ثم أغلقت الباب وراءها ودخلت غرفتها لتشعل النور وتقترب من المرآة ببطء لتنظر إلى وجهها وتتحسس ملامحها وجسدها وتحرر شعرها فينسدل على كتفيها وظهرها وكأنه شلال ماء اندفع فجأة بعد أن كان حبيسا خلف سد انشق جزء منه... أخذت تمشطه بيدها ونظرت على صورة قديمة لها معلقة في جانب المرآة... كم تغيرت ملامحها حتى أنها تتخيل أن لون عينيها نفسه قد تغير!!... سرحت بخيالها عندما كانت تذهب إلى المدرسة في المرحلة الثانوية وكيف كان ينظر لها الجميع بانبهار وحسد... كل الفتيات اللواتي يسكن عمارتها والعمارات المجاورة وزميلاتها في المدرسة والفتيان الذين كانوا يعاكسونها دومًا من الجيران أو من مدارس البنين المجاورة وكيف كانت تحمر وجنتاها خجلا... تبدلت ملامحها وهي تتذكر جيرانها وهم

obeikandl.com

يتهامسون عليها وبالأخص (زينب) جارتهم المنتقبة التي طالما كانت تكرهها وتغير منها ولم تعرف السبب وراء هذا الكره الشديد حتى أنها واجهتها يوما وكانت المرة الوحيدة التي تكلمت فيها معها أو مع غيرها... قالت لها:

- يا زينب احنا عايشين هنا أنا وانتى من ساعة ما اتولدنا عايزة أفهم أنا عملت لك إيه علشان تكرهيني كده وتعامليني بالشكل ده؟!!

ردت عليها زينب بكل عجرفة وحدة:

- أكرهك!! وهكرهك ليه يا حبيبتي إن شاء الله؟!! أحلى مني ولا أغنى منى؟؟ ما تخلي بالك من كلامك كده وبصي على نفسك شوية أما بلاوي صحيح!!....

تأثرت كثيرا من ردودها المؤلمة عليها خصوصا بعد أن تزوجت جارهم الثري (عبد الله) الملتزم وانتقبت بعدها وأصبحت ثرية مثله وكان عبد الله يتمنى لو يتزوج منها ولكنها لم تكن تريد الزواج ورفضت فقال بكل قسوة هو الآخر إنه اختيار أفضل على كل حال فلم يكن شيء مشرف له أن يناسب نادلًا يعمل في بار ويعيش في الحرام وجرحها جرحا بالغا رغم أنها رفضت عرضه بكل حرص على أن لا تجرح مشاعره ولكنه ذبحها بكلماته دون أي هوادة.... كانت تتمنى لو تزيح تلك المشاعر القبيحة من قلوبهم ولكنها لم تتمكن من ذلك... كان القبح أقوى منها بكثير للأسف وكانت تعرف جيدا أن زينب هي أكثر من يطلق عليها الشائعات ويخوض في عرضها.... قاطع أفكارها صوت أمها تنادي عليها بصوت واهن فلملمت شعرها مرة أخرى سريعا وهي تجيبها

- أيوه يا ماما جايالك حالا يا حبيبتي

* * *

obeikandl.com

جلست ريم هادئة تتجول بعينيها في المكتب الأنيق والصور المعلقة على الجدران لشهادات تقدير في مجال كمال الأجسام والجيمانيزيوم وفتح الباب بجانبها ليدخل منه شاب يبدو من الشعر الأبيض الخفيف في رأسه والتجاعيد القليلة بجوار عينيه أنه في منتصف الأربعينات ويبدو من العضلات الواضحة في جسده أسفل الملابس الرياضية التي يرتديها والكرش الصغير أنه كان رياضيا في يوم من الأيام.... كان واضحا لها من اللحظة الأولى التي نظر لها فيها أنه صدم من مظهرها كالعادة فكل من يراها يحدث له نفس التأثير بسبب كم الوشوم على جسدها وجمالها الزائد ولكنه أخفى ذلك سريعا وابتسم ومد يده ليصافحها معرفا نفسه:

- كابتن هشام صاحب الجيم

ثم جلس أمامها ولم يجلس وراء المكتب مكملا:

- إيه الأخبار؟

- كويسة

- اشتغلتي في جيم قبل كده؟

- لأ

- طب اشتغلتي فين قبل كده؟

- في مجال الدعاية والإعلان

لم يلاحظ أنها تكذب وخاصة أنها كانت محترفة في الكذب فلا يظهر على عينيها ولا ترف كثيرا ولا يظهر أي توتر في جلستها بل ظلت هادئة تماما ثم أكملت بكل ثقة:

obeikandl.com

- في كذا شركة لمدة سبع سنين

- وقبل السبع سنين؟

- كنت بدرس

- فين؟

- درست أدب إنجليزي بس في إنجلترا مش في مصر... أنا كنت عايشة هناك وما كملتش دراسة...

- أقدر أعرف ليه ما كملتيش؟... براحتك طبعا لو مش عايزة تجاوبي

- لأ عادي... كان والدي عنده ظروف واضطريت آجي مصر وما عرفتش أكمل... كان لازم أعادل شهادتي وأطلع شوية ورق وروتين كتير كده فقلت أشتغل أحسن علشان أساعده...

نظر لها للحظات مليا ثم قال:

- طيب خلينا نجرب أسبوع مدفوع الأجر بس لحد ما نقيم شغلك بعد الأسبوع ده... هيكون معاكي (سوزي) معظم الوقت هي المسؤلة عن الاستقبال هتعلمك ولو احتجتي أي حاجة اسأليها هتساعدك....

قالها وهو يرن جرسا في المكتب بجواره لحظات ودخلت سوزي من الباب فنظر لها هشام ثم أشار إلى ريم قائلا:

- ريم هتشتغل معانا في الريسيبشن عايزك تساعديها وتعلميها يا سوزي بعد إذنك...

ابتسمت ابتسامة رسمية لريم ثم قالت لها:

obeikandi.com

- تحبي تبتدي من إمتى؟؟

- من دلوقت لو ينفع

- طب يلا بينا

قامت ريم وصافحت هشام شاكرة إياه ثم خرجت مع سوزي ومشيت بجوارها حتى وصلا لسلالم فنزلا من عليها وأشارت سوزي في كل دور للغرف لتعرفها على المكان وتشرح لها تفاصيله... حتى وصلا للدور الأرضي حيث سيكون مكان عملها... كانت ريم تستمع لسوزي وهي تشرح لها بعض الأمور عن مكان وقوفها وأماكن الاستراحة والهواتف والكافيتيريا بينما كان عقلها يفكر في الكثير من الأسئلة... هل سيقبلونها حقا كما يظهرون؟؟ هل ستستمر في ذلك العمل؟؟

أم هل سينتهي سريعا كما هو المعتاد دوما؟؟

هل ستنجح في شيء وتكمله لآخره؟؟ أم هل ستفشل ولن تحتمل الاستمرار؟ الكثير من الأسئلة خرجت من التفكير فيها على سؤال من سوزي:

- ها... لميتي شوية حاجات؟ أنا عارفة إنك واحدة واحدة هتحفظي مش من أول مرة بس الحكاية سهلة خالص ما تقلقيش..

- أنا مش قلقانة

- متأكدة؟

نظرت لها ريم نظرة ثاقبة لعينيها قائلة:

obeikandl.com

- هو باين عليا إني قلقانة؟

ابتسمت سوزي ابتسامة هادئة وهي تقول:

- مش لازم يبان

ظلت ريم تنظر لها طويلا وهي تتساءل بداخلها كيف شعرت بقلقها!! هي تعرف جيدا كيف تخفي أحاسيسها ومتأكدة تماما أن كل ما يدور بداخلها لن يظهر على وجهها ولكنها أنهت كل تفكيرها بأن ما حدث مجرد صدفة لا تعني شيئا... صافحت سوزي على أن تأتي غدا في ميعاد العمل المتفق عليه وخرجت لإيقاف تاكسي وسط كل النظرات التي تحملق فيها بفضول وشهوة حتى أن معظم سائقي السيارات وراكبي المواصلات رغم أنهم يتخطونها إلا أن رؤوسهم تدور للخلف وعيونهم تتابعها... أشارت لتاكسي فتوقف ونظر لها بابتسامة لزجة كبيرة فبالتأكيد ظن أن هناك أملًا كبيرًا في أن هذا اليوم قد يكون يوم سعده بهذه التوصيلة وهذه الفتاة التي لا شك أنها أجنبية بشكلها المختلف ولون الشعر والوشوم وعندما قالت له على وجهتها كانت أول مفاجأة له أنها مصرية والمفاجأة الثانية كانت اسم المكان!! فتلك المنطقة لا تتناسب مع شكلها تماما أما المفاجأة الثالثة عندما فتحت الباب المجاور له وجلست بجانبه على خلاف كل من يركب معه من النساء!! لم يكن ليوافق أبدا على أن يقل أحدا لتلك المنطقة الشعبية جدا لولا أنها فتاة جميلة ومثيرة إذن فلتذهب كل المبادئ إلى الجحيم فورا... ظل يفكر لدقائق في تصرفها العجيب واختيارها للمقعد المجاور له وهل تلك إشارة منها لكي تبلغه بشكل غير مباشر أنها أعجبت به؟؟ أم ماذا؟؟ وتأكدت

obeikandl.com

ظنونه المريضة عندما أخرجت علبة سجائر قائلة له وقد تحولت طريقتها في الكلام عن طريقتها داخل الجيم تماما:

- سجارة يا اسطى

أخذ منها السيجارة قائلا:

- ماشي... صباحك فل يا عسل

- صباحك قشطة... طبعا إنت لو أي حد وقفك وقال لك ع المنطقة اللي أنا رايحاها دي عمرك ما هتوديه... إنما طبعا إنت وافقت علشان أنا ست

ارتبك قليلا من تلك المواجهة لما يدور بداخله فرد قائلا:

- لأ مش الفكرة يعني بس المنطقة أصلها شوارعها متبهدلة والعربية بتبوظ إنما مش هسيب ست لوحدها في الشارع برضه عيب مش رجولة ولا إيه يا عسل؟

ضحكت بصوت عال على كذبه قائلة:

- طبعا ما انا واخدة بالي... لأ مدام كده بقى التوصيلة عليك

ضحك قائلا:

- خلي عنك خالص والله

- الله يكرمك... تعيش

- بس ممكن سؤال لو ما تآخذينيش فيه

أومأت له برأسها أن يسأل وهي تنظر في هاتفها:

- إنتى رايحة هناك تعملي إيه؟ معلش أصل يعني شكلك مش... إنتى فاهمة قصدي طبعا

obeikandl.com

ردت دون أن تنظر له:

- فاهمة آه... أنا مأجرة شقة هناك

اتسعت عيناه ونظر لها مندهشا:

- مأجرة هناك!! إزاي يعني؟

- ما تقلقش يا اسطى أول ما سكنت أخدت الناس وش وخلص الكلام

بدأ يشعر بأنها ليست كما يظن فطريقة كلامها لا تدل على أنها فتاة سهلة بل لهجتها تشبه لهجته ولهجة أبناء المنطقة الشعبية مما يتنافى في نفس الوقت مع مظهرها وفوجئ بها تنظر له وتسأله:

- إنما انت بقى منين؟

ذكر لها مكان سكنه فسألته مرة أخرى:

- منين من هناك؟

ابتسم في سخرية وهو يقول:

- لو قلت لك أكيد مش هتعرفي فين أصله مكان مش موجود ع الخريطة يا عسل

أجابت بكل هدوء متجاهلة إجابته:

- من البركة جوه ولا إيه؟؟ شكلك مكسوف تقول

اتسعت عيناه أكثر لدرجة أنه أصبح ينظر لها ليتأكد هل تلك الفتاة حقيقية أم أنها مجرد تهيؤات من مفعول الحباية التي أعطاها له السمكري اليوم!!!

obeikandl.com

- إنتي تعرفي البِركة منين؟

- تعرف سيد حمو؟

- حمو!! إنتي مباحث ولا إيه!!

ضحكت ثم قالت وهي تنظر له ببطء:

- معرفة قديمة واتمسكنا مع بعض أيام الشقاوة في كلبش واحد ده واد رجولة وابن بلد

ما أن سمع ما قالته حتى امتنع عن الكلام وظل نظره مقتصرا معظم الوقت على الطريق أمامه وتحاشى حتى أن يسرق نظرات لصدرها وفخذيها كما كان يفعل فالاسم الذي ذكرته هو بلطجي ومسجل دخل السجن أكثر من مرة... ابتسمت ريم في هدوء وهي تعرف تأثير الحوار عليه جيدا ثم أكملت:

- معكش حاجة شعبي بقى حلوة كده لرمضان البرنس ولا حاجة؟؟

ثم أخرجت سيجارة أخرى من علبتها لتعرضها عليه إلا أنه رفض قائلا:

- لأ متشكر مش قادر والله...

* * *

ذهب عمر إلى منطقته القديمة التي تربى فيها وظل ينظر حوله بحنين وهو يتمشى في الشوارع الضيقة ويأتي إلى أذنه صوت عبدالحليم حافظ من مذياع قهوة يغني (وبيدور الزمن بينا يغير لون لياليا) معظم المحلات

obeikandl.com

تغيرت ما عدا بعض المحال القليلة التي ظلت كما هي ذهب إلى أحدهم ووقف لحظات... كان يشتري سجائره من هنا عندما كان في المرحلة الثانوية قبل أن يقلع عن التدخين بعد التزامه دينيا ووجد شابا واقفا داخل المحل فاقترب من المحل قائلا له:

- سلامو عليكوا

- وعليكم السلام ورحمة الله

- أُمال فين عم علي؟

نظر له الشاب مليا ثم رد عليه:

- عم علي تعيش انت من ٨ سنين تقريبا... أنا جوز بنته أؤمرني...

ظهرت على وجه عمر علامات الحزن وكأن عم علي كان يمثل ذكرياته القديمة فقد كان صديقا لوالده وكان يحب ابنته التي تزوجها هذا الشاب وكانا يلعبان معا وهم أطفال صغار هنا أمام هذا المحل ويأخذون منه الحلوى ويضحكون ضحكات عالية تمتلئ بالبراءة والنقاء ولكن الحياة وظروفها قد غيرت من ملامح الوجوه والقلوب والشوارع أيضا... انتبه من مشاعره قائلا للشاب الذي ظهر بجانبه طفل صغير يتعلق بساقه وينظر نحوه:

- ابنك ده؟

ابتسم الشاب وهو يداعب شعر ابنه قائلا:

- أيوه

- ربنا يخليهولكم أقصد يخليهولك...

obeikandl.com

- متشكر قوي

- أنا كنت ساكن هنا زمان واتربيت هنا بس كنت مسافر بقالي سنين طويلة وعم علي كان صاحب أبويا... ربنا يرحمهم

تأثر الشاب قليلا وهو يردد وراءه:

- ربنا يرحمهم... طب اتفضل طيب أجيب لك كرسي

- ربنا يكرمك متشكر

ونظر عمر نحو السجائر فجأة ثم طلب من الشاب علبة فأعطاها له الشاب وسأله عمر عن ثمنها إلا أن الشاب رفض تماما أن يأخذ ثمنها وقال:

- عيب ده انت ابن المنطقة زي ما بتقول وده كلام فاضي المفروض نشربك حاجة ونعمل معاك الواجب

- كتر خيرك أنا متشكر قوي

حياه عمر وابتعد منصرفا ونظر لعلبة السجائر وأخذ يقلبها في يده نفس النوع الذي كان يدخنه وهو شاب صغير (كيلوباترا) ولكن شكل العلبة تغير... لا يعرف لماذا اشتراها هل اجترارا لذكرياته أم يريد العودة للتدخين أم اعتراضا وتمردا على ما بداخله وعلى كل ما عاشه خلال العشر سنين الماضية؟؟.... تردد قليلا ثم فتح العلبة وأخرج سيجارة واستأذن شخصا من العابرين بجواره في أن يشعلها ثم أخذ نفسا عميقا ونفخه في الهواء ببطء وأغمض عينيه للحظة... ذلك الدوار الخفيف ونكهة الشياط في فمه التي تذكره بكل فترات دراسته الثانوية وأول سيجارة دخنها في

obeikandi.com

حياته... لحظات ثم فتح عينيه ونظر إلى العمارة التي يقف بجوارها وإلى نافذة غرفة نومه القديمة وترقرقت دموع في عينيه لم تسقط وظهرت في هيئة لمعة في عينيه... انصرف متجها نحو الجامع على ناصية الشارع وأطفأ سيجارته وخلع حذاءه ودلف إلى الداخل وتلفت حوله فوجد رجلا مسنا يرتدي عباءة ويمسك في يده مسبحة جالسا يسبح فاتجه إليه عمر وجلس بجواره قائلا:

- السلام عليكم

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

- أنا بسأل على حد يا حاج وما اعرفش إذا كنت من السكان القدام هنا ولا لأ بس أنا لما دخلت بصيت حواليا ما لقتش أي حد أعرفه

- والله يا ابني اسأل لو أعرفه هقولك... أنا ساكن هنا بس مش من زمان... أنا شيخ الجامع...

- طب كويس قوي أنا بسأل على شيخ الجامع اللي كان قبل منك هنا هو كان أصغر منك شوية وكان اسمه (أبو بكر)

تبدلت ملامح الشيخ وظهر عليه التجهم ثم أمسك بمسبحته وعاود التسبيح وهو يشيح بوجهه عن عمر قائلًا:

- ما اعرفهوش كل اللي أعرفه عنه إنه مشي من هنا قبل ما اجي أسكن هنا وقبل ما أبقى شيخ الجامع

obeikandi.com

لاحظ عمر علامات العبوس على وجهه فقال:

– واضح يا عم الشيخ إنك تعرفه مش ما تعرفهوش زي ما بتقول... لو تعرف حاجة قولهالي وما تخافش

– أنا ما بخافش غير من اللي خالقني يا ابني وانا ما عرفهوش فعلا كل اللي أعرفه إنه كان هنا قبل مني وكان ليه نشاط غير الدين غير كده أنا ما اعرفش أنا في حالي وما ليش في السياسة السياسة نجاسة وانا راجل بتاع ربنا وربنا ما يرضاش بالنجاسة...

شعر عمر أنه لا يعرف شيئا حقا أكثر مما قاله فشكره ثم قام وخرج من المسجد ومشى خارجا من المنطقة ثم توقف وقام بالاستدارة حول نفسه فجأة وتوجه نحو الأمين الذي يراقبه وقطع عليه الطريق وأخرج سيجارة من علبته وطلب منه أن يشعلها له وجفل الأمين للحظة من المفاجأة فأخرج من جيبه كبريتا وأشعل لعمر سيجارته والأخير ينظر في عينيه وهو يشعل ثم شكره مبتسما له باستهزاء واستدار منصرفا مرة أخرى وظل الأمين واقفا مكانه ثم أشار بعينيه لأمين آخر بديل ليتحرك وراء عمر ثم رفع هاتفه بعد أن اختفى عمر عن ناظريه وقال:

– أيوه يا سامح باشا إحنا بدلنا... عمر عارف إننا مراقبينه

* * *

عبر نادر الشارع المزدحم واضعا يديه في جيوبه ويشعر بالحر الشديد رغم البرودة في منتصف الشتاء ويشعر بأن كل عضلة في جسده تؤلمه ويتمالك نفسه بصعوبة وكأنه لو ترك نفسه فسينقسم ظهره لنصفين فجأة وقدماه لا تقدران على حمله وأنفه مزكومة تماما وكأنه يعاني من نزلة

obeikandl.com

برد شديدة والصداع يضغط على رأسه وكأنها ستنفجر في أية لحظة... لمح السيارة التي يبحث عنها واقفة على جانب الطريق فعبر لها سريعا وتلفت حوله واقترب من الزجاج الخلفي وقام باعطاء الأموال للجالسة بالداخل فقامت بدورها بإعطائه ورقتين صغيرتين في يده فكور عليهما قبضته وعاد سريعا ليعبر الشارع بعد أن انطلقت السيارة منصرفة وكانت رشا تنتظره على الناحية الأخرى فأخذها ودخلا شارعا جانبيا هادئا تماما ثم توقف فجأة ونظر حوله وقال لها:

– أنا مش قادر أستنى لما نروح هموت خدي ورقتك اضربيها وأمني لي الدنيا على بال ما اضرب أنا..

وقفا بين سيارتين بجانب الشارع وقامت رشا بفتح ورقتها بعد أن أخرجت من جيبها عملة ورقية جديدة وقامت بلفها حول نفسها لتستخدمها في استنشاق ما تحتويه ورقتها من بودرة فهي تتعاطى عن طريق الشم وستكون أسرع من نادر لتؤمن له الشارع حتى ينهي ما يفعله قامت بسحب كل ما تحتويه الورقة بأنفها مرة واحدة ثم رفعت رأسها للوراء وقامت برشفهم داخل أنفها مرة أخرى وهي تساعد بيديها وتكتم أنفها وكأنها تتأكد من وصول ما استنشقته لداخل كل زوايا عقلها ثم أشعلت سيجارة:

– يلا اضرب يا نادر بسرعة أن مأمِّنة

وأعطته ظهرها لتنظر حولها وأخرج نادر السرنجة من جيبه ليمزق غلافها بأسنانه وقام بتحضير ما بداخل الورقة في السرنجة بالاستعانة بأمبول طبي من المياه... بدأت رشا تتوتر فجأة وهي تلمح رجلين يخرجان من

obeikandl.com

عمارة تبعد عنهما بعمارتين ثم خرج رجلان آخران يرتديان الجلابيب من عمارة أخرى أمامهما ويبدو أنهم بوابون والتفتوا جميعا نحوهما

- نادر فيه ناس خرجوا من العمارات وجايين علينا يلا نمشي

لم يرد نادر فقد كان مشغولا بإنهاء التعاطي والتركيز وهو يدخل سن السرنجة في ذراعه حتى لا يهرب منه الوريد خصوصا أنه متعب جدا زاد توتر رشا وهي تقول له بخوف:

- نادر يلا يا نادر الناس داخلين علينا هنروح في داهيه

- استني الحاجة هتبوظ مني

- ارميها ويلا نمشي بسرعة

سمعوا صوت الرجال وهم قادمون وينادون على شخص آخر بصوت جهوري:

- يا عبد الحميد امسك العيال اللي عندك قدام العمارة دول

ثم سمعا صوت ضوضاء قادمة من العمارة التي وراءهم تماما فقال نادر لرشا:

- اجري يا رشا اجري بسرعة

تسمرت مكانها للحظات وهي تنظر إليه وإلى الناس الذين أصبحوا على مسافة أمتار قليلة منهم فأعاد نادر عليها كلامه بصوت حاسم:

- اهربي يا رشا بقول لك... اهربي ما لكيش دعوة بيا أنا هتصرف

قامت رشا بالجري مبتعدة وكان نادر قد أخرج السرنجة من ذراعه بعد أن حقنها لنفسه ثم ألقى بها بعيدا دون أن يلحظه الناس وفي نفس

obeikandi.com

اللحظة فتح باب العمارة وراءه ليخرج منه رجل ممسك بعصا في يده ووصل الآخرون إليه ليمسكوا به من تلابيبه ويقوم أولهم بضربه في قدميه بقوة ليسقط أرضا وهم يقولون:

– إنت مين يلا وبتعمل إيه هنا والبت اللي معاك جريت ليه؟؟... إنتم الحرامية اللي سرقتوا العربية هنا من يومين صح؟؟... يا ولاد الوسخة...

فتحت النوافذ من حوله على الضجيج وفزع نادر وشعر بالخوف يعتصر قلبه وقال وهو يحاول التملص من قبضتهم التي تمسك به من ملابسه بقوة:

– أنا مش حرامي يا اخوانا أنا بودرجي... والله ما حرامي

قال أحدهم:

– وكمان بتشرب بودرة يا ابن الوسخة

وأنهى كلامه وهوى على وجه نادر بصفعة قوية فصرخ باكيا:

– إحنا مش حرامية والله ما سرقنا حاجة

هوى حامل العصا بالعصا على ظهره بقوة وبدأ نادر يحمي رأسه بيديه من الضربات والصفعات والركلات وهو ساقط على الأرض... كانوا يضربونه جميعا بغل عجيب وكأن كل واحد منهم يخرج ما بداخله من هموم وحزن وتجارب سيئة في حياته على هيئة ضربة لنادر ويقسم نادر أنه قد رأى وسط سيل الضربات عيونهم تلمع وكأنهم سعداء بضربه!! وبدأ يشعر أنه سيموت من الضرب فهم لا يتوقفون حتى ظهر اثنان فجأة ودخلوا بين الناس ليحاولوا منعهم من الاستمرار في ضربه قائلين بصوت عال:

– كفاية كده يا جماعة الواد هيموت في إيديكم

obeikandl.com

قال أحدهم وهو يوجه ركلة لبطن نادر:

- دي أشكال وسخة ولا زم تتربى ما هي الأشكال دي هي اللي جايبانا ورا وعلشان نقطع رجله من هنا

استجمع نادر قواه ليقول وهو يبكي:

- والله أنا أول مرة آجي هنا

صفعه أحدهم على وجهه بقوة قائلا:

- اخرس يلا خالص ما تتكلمش

ثم قال أحدهم:

- خلاص يا جماعة كفاية كده إحنا ناخده عالقسم وهما يتصرفوا معاه هناك والقسم جنبنا هنا مش بعيد يعني...

وافقوا جميعا ثم قام أحدهم بتجريده من سترته وقيد بها ذراعيه وراء ظهره ومشوا جميعا به وكأنها مظاهرة صغيرة وسط نظرات الناس التي تتابعهم مندهشة في الشوارع حتى وصلا إلى باب القسم فقام أمناء المباحث باستيقافهم قائلين:

- فيه إيه... فيه إيه ما له ده عمل إيه؟؟ حرامي

فردوا عليهم:

- أيوه حرامي

فقام الأمناء فور سماعهم بالإمساك بنادر من ملابسه وصفعوه على قفاه مرتين بقوة وهم يسحبانه داخل القسم وما أن دخلوا جميعا وأجلس

obeikandl.com

الأمين نادر على الأرض حتى فتح باب مكتب ليخرج منه ضابط المباحث وكان شابا يبدو في أواخر الثلاثينات طويلا وعريضا وله شارب متناسق اقترب منهم قائلا بصوت جهوري:

- فيه إيه يا ابني انت وهو وإيه الدوشة دي؟؟

ثم نظر لنادر الجالس على الأرض نصف عار وتغطي وجهه الدماء ونظر للأمين قائلا:

- فيه إيه محمد مين ده ومين الناس دي؟

قال أحد البوابين وهو يحاول توجيه ركلة لنادر:

- يا باشا ده واد مسكناه بيشرب بودرة وكان بيسرق

لم يرد نادر فقد كان يشعر بالإعياء من كثرة الضرب فنظر له الضابط قائلا:

- سرقت إيه يلا؟

قال نادر بصعوبة:

- ما سرقتش حاجة أنا كنت بضرب بس

حاول أحدهم أن يضربه مجددا فأوقفه الضابط بحزم قائلا:

- بس خلاص كفاية وهو سرق إيه علشان نعمل محضر

رد أحدهم:

- لا ما هو ما لحقش يا باشا إحنا مسكناه قبليها واحنا كنا كلمناكم من يومين لما عربية اتسرقت عندنا في الشارع وشكله هو الواد المدمن ده اللي سرقها

obeikandi.com

- طب خلاص كده سيبوهولنا وكل واحد يروح لحاله مش عايز دوشة في القسم ومش عايز أشوف ولا واحد واقف هنا

فقام الأمناء بدفعهم للخارج

ثم وجه كلامه للأمين محمد:

- هات لي الواد ده ع المكتب

انصرف الناس وتوجه الضابط إلى داخل مكتبه ووراءه الأمين ممسكا بنادر وجلس الضابط على مكتبه وأشعل سيجارة ثم قال للأمين:

- فك التربيطة اللي مربطينه بيها دي وسيبه واستنى انت بره

خرج الأمين تاركا نادر واقفا بصعوبة يترنح من الإعياء ونظر إليه الضابط مليا ثم نهض وبدأ في تفتيشه ليخرج بطاقته وينظر فيها ثم يضعها على المكتب ويكمل تفتيشه فيجد في جيبه غطاء السرنجة وأخذ يفحص ذراعيه لتظهر له آثار الحقن واضحة... أمسك بالبطاقة مرة أخرى واستند على مكتبه ونظر لنادر وهو يسأله:

- كنت بتسرق إيه يا نادر؟

- والله يا باشا ماسرقت حاجة أنا كنت بضرب وهما اتلموا عليا وقعدوا يضربوني لحد ما خدوني على هنا

نظر الضابط إلى عينيه جيدا وهو يتكلم:

- بتشتغل إيه يلا؟ مكتوب في البطاقة إنك ثانوية عامة

- أنا ما بشتغلش دلوقت بس كنت بشتغل فترة صغيرة رسام قبل كده

- رسام!! إنت هتحور بروح امك!!

obeikandl.com

- لا والله أنا كنت بعمل كده بجد

-!!

نظر الضابط إلى البطاقة مرة أخرى وإلى نادر الذي لمح اسم الضابط على يافطة مكتبه (الرائد وليد عوني) وهو يقول له:

- يعني فنان وشكلك ابن ناس وساكن في حتة كويسة... مبهدل نفسك ليه كده؟؟ إنت مغفل يلا؟؟ تعمل كده في نفسك ليه وتضرب في الشوارع زي الحرامية وتجيب التهزيق لأمك وابوك؟!!

صمت نادر فهو لم يجد إجابة واختنق صوته بداخله فقد كان يقول لنفسه هذا الكلام دائما ولكنه كان يقتل هذا الصوت بأن يزيد من جرعة الهيروين... سالت دموعه من عينيه دون أن يشعر وعاد وليد للجلوس على مكتبه وأشار للكرسي أمام المكتب قائلا لنادر:

- أقعد

اقترب نادر من الكرسي ببطء وجلس

أخرج وليد سيجارة من علبته وأعطاها له وألقى بكبريت ناحيته ليشعلها نادر ويده ترتجف ووليد يراقب انفعالاته جيدا ثم قال له:

- بص يا ابني أنا هعمل معاك واجب وهسيبك تمشي بس هكلم لك واحد صاحبي دلوقت هيساعدك في العك اللي انت فيه ده وهسيب لك رقمه تكلمه وتروح له بس لو مرحتلوش وشفتك في الشارع مش هسيبك وما تزعلش مني ساعتها بقى... اتفقنا؟

أومأ نادر برأسه موافقا والتقط وليد هاتفه ليتصل برقم صاحبه:

obeikandi.com

- إيه يا وائل عامل إيه... الحمد لله بص يا سيدي أنا هدي رقمك لشاب كده لو كلمك ابقى خده عندك وظبطه بيضرب بودرة هو... ماشي يا وئول.. صباح الفل..

أنهى وليد الاتصال وسحب ورقة من أمامه وكتب عليها الرقم وأعطاها لنادر ثم نادى بصوت عال:

- محمممد

دخل الأمين فورا من الباب فقال له وليد:

- فيه حد من الناس اللي جابوه بره لسه؟

- لا يا باشا مشيوا كلهم

- طيب سيبه يمشي

أعطى نادر بطاقته الذي نظر إليه قليلا ثم وضع بطاقته في جيبه وانصرف سريعا من المكتب والقسم

* * *

أتممت زينب ملابسها ووقفت أمام مرآة الحمام لتضع بعض اللمسات الأخيرة من الماكياج على وجهها وتمسح بعضا من أحمر الشفاه الزائد وتساوى الكحل حول عينيها وتنظر نظرة أخيرة عليهم ثم أسدلت النقاب على وجهها وتوجهت نحو باب الحمام لتفتحه وتخرج إلى غرفة نومها وتأخذ حقيبة يدها وفي طريقها للخروج من الشقة تجد زوجها عبد الله الملتحي مرتديا جلبابا يبدو من شكله وخامته أنه غال يشاهد التلفاز ويطالع بعض الأوراق... أخرجت مفاتيح السيارة من حقيبتها وهي تسأله:

obeikandl.com

- مش عايز حاجة يا عبد الله أنا خارجة أقابل أم أيمن
- طيب ما تتأخريش علشان تذاكري لحبيبة عندها امتحان بكرة
- حاضر يا حاج... السلام عليكم..
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

ما أن أغلقت وراءها باب شقتها حتى فتح باب الشقة المجاورة لها وخرجت منه نرمين... منذ أن كانوا أطفالا في المدرسة وهي لا تحب نرمين وتغير منها فدائما يحبها الناس ويقتربون منها ويشترون لها الحلوى على عكسها... دوما كانت أجمل وملابسها متواضعة ولكنها أكثر شياكة وأناقة رغم أنهما من نفس المستوى المادي وحتى بعد أن تزوجت هي من عبد الله جارهم الثري وأصبح معها المال والإمكانيات لم تستطع أن تهزم جاذبيتها اللعينة... تستمتع باستفزازها وتكره الشعور بأنها عندما تراها وكأنها تنظر في مرآة من نوع خاص تظهرها عارية أمام نفسها... لماذا هي أرق منها ولماذا تخرج تلك الطيبة من نظرات عيونها؟؟!! تلك النظرات تثير حنقها حتى عندما كانوا ينجذبون نحو الأولاد صغارا خارج المدرسة كانت تخجل ولا تتجاوب معهم وكأنها من دماء أنقى وكانت لا ترد على أي إهانة توجهها لها ولا تستطيع المقاومة فقط تتألم فقد كانت وما زالت ضعيفة وكم تنتشي عندما ترى في عينيها تلك النظرة المنكسرة التي تعقب إهانتها لها... تشعر بالراحة عندما تثير حول سمعتها الأقاويل مع الجيران يمنحها ذلك إحساسا بأنها أقوى وأنها ليست أقل منها وهي تظن أيضا أنها تستحق هذا فلا بد أنها تخفي شيئا ما!! ليست بتلك البراءة التي تظهر عليها حتى لو لم تر شيئا بعينيها مما ترويه للناس إلا

obeikandi.com

أنه بالتأكيد يحدث شيء من هذا القبيل وهل سيربي الأب الذي يعمل في بار إلا فتاة منحرفة!!... ارتاحت لتلك المبررات الكاذبة وابتسمت في خبث وهي ترى نظرة نرمين لها وترددها في أن تخرج أم تعود لشقتها مرة أخرى... تخاف منها بالطبع تخاف فهي الوحيدة التي تعرف حقيقتها وتمزق عنها وجه البراءة المزيف!!... استجمعت نرمين قوتها وأكملت طريقها نحو المصعد ولم تكن تريد أن تختلط بزينب لولا أنها في عجلة من أمرها... قالت لها زينب:

- أهلا يا نرمين يا حبيبتي

- أهلا يا زينب

دخلا إلى المصعد وقالت لها زينب بصوت امتلأ سخرية وشماتة وهي تبلل إصبعها لتمسح لها الهالات السوداء تحت عينيها وتزيح بعض الشعيرات المتساقطة على كتفها:

- إيه ده!! معلش كنت فاكراه كحل سايح تحت عينيكي.. وإيه الشعر الواقع على كتفك ده!! ما لك خسيتي كده ليه ووشك بقى مشفوط خالص وبهتان كده؟!! تلاقيكي يا حبة عيني علشان الست سميرة تعبانة وانتي شايلة الهم فوق راسك لوحدك... معلش يا حبيبتي هي الدنيا كده ما بتثبتش على حال أبدًا سبحان الله....

لم تجبها نرمين وأزاحت يدها وكان المصعد قد وصل للأرضي وخرجا منه وأسرعت نرمين تحاول المضي ولكن زينب استوقفتها مرة أخرى وقالت:

- ابقي حطي شوية روج وكحل يا نرمين قبل كده كان وشك حلو وما كنتيش بتحطي حاجة إنما دلوقت وشك ما بقاش حلو وتعبان لازم تحطي

obeikandl.com

علشان تداري الكلام ده!!.. وعموما لو ما عندكيش ابقي عدي عليا أدي لك شوية من عندي

ووضعت يدها في حقيبتها لتخرج حفنة أموال ومدت يدها بهم نحو نرمين مكملة كلامها:

- خدي دول خليهم معاكي... أنا عارفة إن ظروفكم على قدكم والحمل تقل... خديهم ما تتكسفيش واهو تشتري شوية فاكهة وانتي راجعة علشان خاطر الست سميرة تتقوت برضه في مرضها ده..

نظرت لها نرمين وإلى يدها وهي تشعر بالقهر والمهانة وقد احمر وجهها من الاختناق والضيق ثم أدارت لها ظهرها وانصرفت مبتعدة كاتمة دموعها في عينيها... أعادت زينب الأموال إلى حقيبتها وهي تمصمص شفتيها قائلة:

- الله!! عجايب والله فقر وعنطزة ع الفاضي... الحق عليا خسارة فيكي

توجهت نحو سيارتها لتركب وما أن أدارت المحرك حتى خرج من المذياع صوت القرآن الكريم فأغلقت المذياع وما أن ابتعدت عن البيت قليلا حتى أمسكت هاتفها لتتصل برقم قائلة:

- أيوه يا روحي... أنا في الطريق عشر دقايق واكون عندك...

وصلت إلى ذلك المكان الذي لا يبتعد مسافة كبيرة عن منطقتها وركنت سيارتها في شارع جانبي ودخلت عمارة بجوارها ووصلت إلى شقة وطرقت الباب ليفتح لها شاب تهللت أساريره فور رؤيتها وأدخلها مغلقا الباب وراءها وألقت هي بنفسها في أحضانه وتبادلا قبلتين ثم توجها إلى

obeikandl.com

أريكة قريبة وكان على المنضدة طبق صغيرة به بعض التبغ وموسيقى هادئة تنبعث من مكان ما فنظرت له وهي تحيطه بذراعها وقالت:

- كنت هتلف سيجارة صح؟

- أيوه

- طب يلا بسرعة أحسن أنا نفسي قوي.. أنا هدخل أغير ع لبال ما تخلص..

قبلها من شفتيها قبلة سريعة ولكنه زاد من القبلات واقترب من رقبتها فتأوهت بصوت خافت مثير وهي تزيحه بيدها برفق ودلال قائلة:

- اهدا لحد ما اغيَّر

وضحكت ضحكة صغيرة ثم قامت مسرعة... دقائق لف هو خلالها سيجارة الحشيش وعادت هي مرتدية بيبي دول أسود مثيرًا وجلست بجانبه ليشعل هو السيجارة ثم يناولها لها فأخذت نفسين عميقين وأعادتها له وهي تنظر في عينيه وتبتسم فوضع السيجارة جانبا وحضنها حضنا طويلا ثم انهال عليها بالقبلات واختلطت أصوات تأوهاتها وأنفاسهم الحارة بصوت الموسيقى القادمة من ورائهم....

* * *

ذهبت ريم إلى الجيمانيزيوم في أول يوم للعمل وهي تشعر ببعض التوتر ودقات قلبها أزيد قليلا من المعتاد وفور أن دخلت ورأت سوزي أمامها حتى ابتسمت لتخفي توترها وأقبلت عليها قائلة:

- في المعاد أهو ما تأخرتش

ابتسمت سوزي بدورها قائلة:

obeikandl.com

- كويس قوي يلا بينا بقى ورينا الشغل والنشاط

توجهت ريم إلى مكتب الاستقبال وجلست بجانبها سوزي تقوم بالعمل أمامها وترد بنفسها على التليفونات وتستقبل الزائرين لتعلمها بشكل غير مباشر وراقبتها ريم جيدا وتحركت عيناها على تفاصيل جسدها وكانت سوزي تمتلئ بالأنوثة وقوامها جذاب جدا وممشوق وصدرها متوسط الحجم ويثير الخيالات ومتناسق مع طولها وحجمها ومؤخرتها كذلك تماما كما تشتهي في النساء وملامح وجهها جميلة رغم أنها تجمع كل ذلك مع الجدية في العمل وفاجأتها سوزي بنظرة في عينيها وكأنها تنظر داخلها وابتسمت ابتسامة ماكرة وهي تقول:

- ركزي في الشغل شوية أنا بعمل كل ده قدامك علشان تراقبيني وتتعلمي

ردت عليها ريم بنفس الابتسامة الماكرة:

- ما انا مركزة أهو ومراقبة أُمال أنا بعمل إيه.... عاجبني قوي شغلك وتفاصيل شغلك

ضحكت سوزي ضحكة قصيرة ساحرة:

- ما انا واخدة بالي... طيب أنا هقوم أعمل حاجة أشربها جربي تردي انتي على التليفون وحاولي في الخمس دقايق دول تستقبلي أي حد ييجي وما تخافيش أنا جنبك هنا

- مش خايفة

ردت سوزي عليها بابتسامة خطفت عقل ريم ورن جرس الهاتف إلا أن ريم ظلت تنظر إلى ابتسامتها وعينيها دون أن تتحرك وكأنها لم تنتبه لصوت الهاتف فقالت لها سوزي بهدوء:

obeikandl.com

- التليفون بيرن على فكرة

أدركت ريم فجأة فاحمر وجهها وهي تجذب السماعة في سرعة لتجيب المتصل:

- ألو... بلو جيم تحت أمر حضرتك يا فندم...

هزت سوزي رأسها مطمئنة لردها وذهبت إلى البوفيه... دخلت ريم إلى شقتها بعد انتهاء أول يوم لها في العمل بهدوء... تشعر بالتعب ولكنها في نفس الوقت سعيدة بعملها الجديد... خلعت عنها حذاءها ودخلت إلى الحمام لتغسل يديها ووجهها ثم عادت إلى الغرفة لتستمع إلى موسيقى بودابار التي تحبها من هاتفها وتمدد جسدها على السرير وتسرح بأفكارها... تعرف جيدا أن سوزي معجبة بها أيضا وتبدو بجانب جمالها الملفت أنها ذكية ولكن لا يجب أن تتعجل في أي شيء فهي ما زالت جديدة في العمل ولا تريد أن تفسد الأمر كله... قد ملت الوحدة وملت التنقل من بيت لبيت فهذه الشقة تعتبر عاشر شقة تؤجرها في حياتها منذ أن جاءت إلى مصر وخرجت من السجن... لا تشعر بالاستقرار بداخلها ولا خارجها.... كل علاقاتها العاطفية بالرجال أو بالنساء كانت أغلبها جنسية وليست بالطويلة فهي لا تبحث عن حب أو بالأصح لم تشعر بأي شيء تجاههم جميعا... كانت تستخدمهم لتسعد نفسها وتنتقم منهم في نفس الوقت إما ببعض السادية في الجنس أو بإهانتهم مباشرة بأن تتصيد نقاط ضعفهم وتدهسها بقدميها وتتركهم مباشرة بعد أن تتأكد أنهم تعلقوا بها وأنها ملكت قلوبهم.... كان جزءا منها يستمتع بتحطيم أحاسيسهم وعواطفهم...

obeikandl.com

صوت تمزق قلوبهم يشبعهها... كانت أشبه بمصاصي الدماء تتغذى على المشاعر بدلا من الدماء لتستمر على قيد الحياة.... عندما تكون وحدها تشعر وكأن الحب قد تجسد في هيئة شخص يحاول خنقها ليسترد كرامته وأن كل القلوب التي حطمتها تتحول ليلا إلى أشباح تحاصرها وتلتف حول المرتبة التي تنام عليها يحدقون بها محاولين دفعها للجنون انتقاما منها لما فعلته بهم... تصحو من نومها مفزوعة لو نامت وحدها فهم يأتونها عندما تكون وحيدة وفي الساعات المتأخرة من الليل لا تستطيع أن تميز بين الكوابيس والواقع وهل تلك الأشباح تأتيها في نومها أضغاث أحلام أم هي حقيقة وبالفعل واقفون حولها... لا تجد سبيلا للخلاص من كل هذا أو على الأقل من نصف الخوف إلا بالحشيش ونوع من المهدآت اعتادت تعاطيه لتستطيع أن تسكن عقلها ولتتمكن من النوم سريعا دون صراع مع الأرق... لعل سوزي هي هدفها القادم ولكن لتدع الوقت يمر لكي تتمكن من اقتناء جسدها وقلبها وإضافتهم لقائمة ضحاياها...

* * *

خرج نادر من باب القسم وعبر إلى الناحية الأخرى من الشارع ليجد رشا تظهر فجأة... كانت تنتظره كل ذلك لكي تعرف مصيره وتابعته من بعيد ولم تتركه واقتربت نحوه بلهفة واحتضنت ذراعه قائلة:

- الحمد لله إنك بخير وسابوك تمشي..

أومأ نادر برأسه دون أن يبتسم... راقبت ملامحه المبعثرة وعينيه الزائغتين فاستدارت سريعا لتستوقف تاكسي وظلا صامتين طوال الطريق

obeikandi.com

للبيت... دخل نادر وألقى بجسده على الأريكة وجلست رشا بجواره بعد أن أحضرت البودرة من الداخل وسرنجة وقامت بتحضيرها له وناولته إياها فأمسك بها نادر وتعاطى الجرعة ثم ترك السرنجة معلقة في ذراعه وأشعل سيجارة مغمضا عينيه وهدأت معركة المشاعر في عقله فجأة وبدأت رأسه تنخفض شيئا فشيئا حتى لامست ذقنه أول صدره ليغوص في العالم الموازي... ذلك العالم الذي يعيش فيه معظم الوقت... عالم يشبه موج البحر الهادئ الذي يهدهد عقله من الداخل ببطء وكأنه جالس على أرجوحة تتأرجح به... عالم يخلو من أي أصوات أو كلام... يخلو من أي أحاسيس... ما أن ينزع السرنجة من ذراعه فلا حب ولا كره ولا فرح ولا حزن ولا ندم ولا ألم ولا مستقبل ولا ماضي ولا حتي حاضر.... فقط سكون تام... فتح عينيه رويدا بعد أن تسللت إلي أذنيه موسيقي أغنية (King of sorrow) التي تغنيها (Sade).... ذلك الصوت الذي ارتبط بعالمه الموازي... نظر إلى مصدر الصوت ليجد رشا هي من قامت بوضع الشريط من أجله وهي تنظر إليه مبتسمة... قالت:

- صباح الفل... بقالك ربع ساعة مسقّط...

نظر إلى ذراعه السرنجة ما زالت معلقة في مكانها فنزعها من ذراعه ووضعها أمامه على المنضدة وقام بامتصاص الدماء من مكانها بفمه ولعقه بلسانه وبحث عن السيجارة التي كانت بيده فوجدها أخذتها منه لتضعها في المطفأة قبل أن تحرق يديه فأشعل واحدة أخرى وعاد بظهره للوراء وأغمض عينيه مرة أخرى فاتجهت رشا للمقعد المجاور له وقالت:

obeikandl.com

- إيه طيب!!.. هتفضل ساكت كده؟!!

فتح عينيه ونظر لها دون أن يتحرك من مكانه ثم قال:

- أقول إيه؟

- أي حاجة... بس ما تسكتش كده!!... اسألني حتى جبت الضربايه اللي انت ضربتها دي منين؟

لم يهتم نادر بسؤالها بل قال:

- أنا اتهنت قوي يا رشا... قوي...

- ما لك يا نادر مكبر الحكاية قوي ليه كده!! واحنا أول مرة يحصل لنا مواقف شبه دي؟!!

- أنا أول مرة أضرب في الشارع بالمنظر ده وأول مرة كل الناس تتفرج عليا وانا ماشي إيديا متقيدة ورا ضهري وكل وشي وجسمي دم...

صمت قليلا وفرت من عينيه دمعة وهو ينظر للأرض ويجز على أسنانه ثم أكمل:

- كانوا بيضربوني جامد قوي كأنهم بيفشوا غلهم فيا!! كل واحد بيضرب كأنه بينتقم مني وزي ما يكون يعرفني من زمان وبيني وبينه تار!! طب الأمنا في القسم وده طبيعي إنما الناس العادية كمان؟!!.... ليه؟!!...

حاولت رشا تغيير الموضوع وإخراج المشهد من عقله:

- ما قولتليش صحيح حصل إيه جوه القسم؟ مشوك ازاي؟

- الظابط طلع جدع

obeikandi.com

- إزاي؟

- أنا كده كده ما كانش معايا حاجة ورميت السرنجة قبل ما يتلموا عليا... وتقريبا صعبت عليه...

- حظك حلو

ابتسم وأشار لها إلى وجهه الذي ما زالت عليه آثار الدماء وملابسه الممزقة قائلا:

- حظي حلو طبعا... ما هو باين عليا أهو..

ضحكت ثم قالت:

- طبعا حظك حلو... ظابط تاني كان ممكن يخليك جنبه كام يوم في القسم ويبهدلك أو ممكن يخليك ترشد له عن أى تاجر ويسألك بتجيب من مين ولا يلبسك أي حرز من عنده ويعمل لك محضر وينزل لك الحجز وانت يعني مش عارف!!... إحنا بودرجية يا نادر يعني ما لناش ديه أنا يعني اللي هقولك الكلام ده؟...

أومأ برأسه موافقا ثم سألها:

- جبتي الضرب منين بقى ما قولتليش

ضحكت بمكر ثم قالت:

- إنت عارف إن شكلك سكسي قوي بالدم اللي على وشك وهدومك المقطعة دي

ضحك قائلا:

- بتوّهي مش عايزة تقولي يعني ماشي يا حيوانه... طب معاكي حاجة تاني عايز أخش أستحمى ومش عايز أفصل

obeikandl.com

- فيه حاجة جاية لي في الطريق ع بال ما تستحمي هتكون وصلت لحد هنا ٥ جرام يا عم مرة واحدة علشان تنسى وجع القلب ده... المصلحة بتاعة يوم البار لسه شغاله الله ينور

- قشطة

ذهب إلى الحمام وخلع ملابسه ووضع يده في جيوبه ليفرغها فوجد الورقة التي أعطاها له وليد ضابط المباحث... نظر إلى الرقم لحظات ثم كورها وألقى بها في سلة المهملات ثم نظر للمرآة... نظر إلى وجهه النحيل جدا والسواد الكثيف تحت عينيه وإلى آثار الحقن في ذراعه وخفض رأسه وتذكر كلام وليد له في القسم ثم عاد إلى الوراء فجأة ليضع يده في السلة مرة أخرى مخرجا الورقة ليطبقها ويعيدها إلى جيبه ودخل تحت المياه وتركها تهبط على جسده ورأسه لتغسل وجهه وشعره وجسده مغلقا عينيه...

* * *

أخذ سامح يقلب كرة زجاجية في يده وهو جالس أمام مكتبه فاردا قدميه على الكرسي المواجه له... كان يفكر في ما فعله عمر مع الأمين الذي يراقبه... إنه يبعث لهم برسالة صريحة واضحة إنه يعرف تحركاتهم وإنه أيضا يستهزأ بها... يبدو أن اللواء الفرماوي كان محقا عندما أخبره أنه ليس هدفا سهلا... ما زال لا يفهم لماذا يراقبونه؟؟ لماذا لا يقبضون عليه ويستجوبونه ليعرفوا من وراءه وماذا يفعل في مصر!! ليست المرة الأولى التي سيستجوبون فيها متهما مثله.... ولكن ليس عليه إلا طاعة الأوامر... رن جرس هاتفه فأمسك به ليجد اسم زوجته:

obeikandl.com

– ألو... أيوه يا حبيبتي... لأ مش هتأخر ساعة ولا حاجة بالكتير.. طب إديها التليفون...

انتظر لحظة ليسمع صوت طفلته ذات الثماني سنوات تقول له بصوتها الرقيق:

– وحشتني يا بابي... هتيجي النهارده؟

– أيوه يا روح قلبي هاجي النهارده..

– طيب هات لي معاك الشوكولا اللي أنا بحبها

– حاضر يا روحي... بيباي يا حبيبة قلبي...

أنهى الاتصال ليقرع أحدهم باب مكتبه ثم يفتح ليظهر منه الأمين الأول الذي كان يراقب عمر فيقول له سامح:

– تعالى يا مجدي

أدى مجدي التحية العسكرية ثم اقترب من سامح قائلا:

– إيه يا باشا... سعادتك لسه ما روحتش؟

– همشي كمان شوية... قول لي إيه الأخبار؟

– الأمين مسعد مراقب عمر خطوة بخطوة ما تقلقش سعادتك...

– عرف ازاي يا مجدي إنك ماشي وراه!!... هو انت بتمسك جرنال زي الأفلام العربي ولا إيه مش فاهم؟!!

ابتسم مجدي وهو محرجا من سخرية سامح فقال:

– يا سامح باشا سعادتك عارف كويس إني مش أول مرة أراقب حد وعارف شغلي كويس وكنت متأكد إنه ما لمحنيش ولا مرة... بس مش عارف ازاي كشفني ابن الصرمة!!...

obeikandl.com

- الواد بيستهزق بينا وبيعمل حركات أفلام عربي قديمة!!.... الواد ده شكله مش سهل يا مجدي فتح عينك كويس وخلي مسعد هو كمان يفتح عينه ع الآخر أنا همشي وأي أخبار بلغني بيها أول بأول في أي وقت حتى لو الفجر ماشي؟

أدى مجدي التحية العسكرية قائلا:

- تمام سعادتك يا باشا

أخذ سامح طبنجته من على المكتب ووضعها في حزام بنطاله وراء ظهره ومفاتيح سيارته وهاتفه وانصرف وما أن ركن سيارته أمام بيته ودخل من باب العمارة حتى انتفض البواب قائما ليؤدي التحية العسكرية وكأنه عسكريٌّ عند سامح لم يلتفت إليه الأخير وأكمل طريقه للداخل إلا أن البواب استوقفه قائلا:

- يا باشا

وقف سامح ونظر إليه فاقترب البواب منه ببطء وحذر وهو ما زال رافعا يديه بجوار رأسه في وضع التحية العسكرية ومادا يده الأخرى نحوه بورقة ما قائلا:

- فيه عيل صغير ساب لسعادتك الورقة دي معايا وقال لي أديها لحضرتك

أخذ سامح منه الورقة وفتحها ليقرأ ما بداخلها فينعقد حاجباه فجأة واكفهر وجهه وأمسك بالبواب من ذراعه بشدة قائلا له بحدة:

obeikandl.com

- مين اللي ادى لك الورقة دي؟!!

ارتعد البواب من الخوف والفزع وهو يقول سريعا:

- عيل صغير يا باشا والله راكب عجله... أقسم بالله ما شوفته قبل كده ولا صدفة حتى في المنطقة هنا...

ترك سامح يده ثم توجه إلى شقته بخطا سريعة ودخل مغلقا الباب وراءه ووجد زوجته وطفلته قد خلدا للنوم... جلس على كرسي ثم فتح الورقة مرة أخرى ليقرأ ما هو مكتوب فيها: (أنا مش عايز حاجة من حد ولا حد عايز مني حاجة... الراجل بتاعك التاني سليم أنا بس قرصت له ودنه علشان أتعرف عليك... سيبوني في حالي.. عمر)... اعتصر الورقة في يده متوترا وغاضبا... إنه يهدده تهديدا صريحا بأنه أصبح يعرفه ويعرف عنوان بيته... أمسك بهاتفه ليتصل بالأمين مجدي:

- أيوه يا زفت.... فين مسعد؟؟؟

- مسعد في المأمورية سعادتك بيراقب عمر

- طب كلمه دلوقت حالا وكلمني تاني ع لطول

أشعل سيجارة وأخذ يسحب منها أنفاسا عميقة وسريعة حتى رن جرس هاتفه مرة أخرى فأمسك به متلهفا وهو يقول:

- ها... رد عليك؟

- يا باشا... الحقيقة.... هو... هو في

- ما تنطق يا ابني اخلص!!

obeikandl.com

- في مستشفى في الجيزة ردت عليا الممرضة!! أنا مش فاهم إيه اللي حصل له وإيه اللي وداه المستشفى أنا رايح له حالا أعرف إيه اللي حصل

أنهى سامح الاتصال دون أن يرد على مجدي وألقى بالهاتف على الأريكة بعصبية ووضع رأسه على قبضة يده مفكرا وظل ساكنا للحظات ثم نهض فجأة وهو يقول لنفسه بصوت غاضبا وكأنه يخاطب عمر:

- يا ابن الكاااالب... أنا هعرفك مين هو سامح زيدان...

* * *

فتحت لينا باب شقتها ودخلت لتفاجأ بأن هناك ضيفا يجلس مع أمها... رجلا يبدو في منتصف الخمسينات يجلس واضعا قدما فوق الأخرى ويضحك مع أمها بصوت عال وانتبهوا فور دخولها ونظرت إليها أمها بابتسامة عريضة في غاية الاصطناع وقالت:

- أهي جت... تعالي يا لينا يا حبيبتي سلمي...

تقدمت لينا ببطء وسلمت على الرجل الذي تفحصها بعينيه جيدا... وكادت لينا تمضي لولا أن أمها قالت لها:

- رايحة فين؟ اقعدي معانا شوية... شريف بيه عايز يتعرف عليكي...

لم تفهم لينا شيئا خصوصا مع طريقة أمها اللطيفة المزيفة... توقفت للحظات تنظر لهم ثم قررت أن تجلس فاتجهت لكرسي بجانب أمها ووضعت مفاتيحها وحقيبتها أمامها وقالت أمها وهي تشير لشريف:

obeikandl.com

- شريف بيه صديق عزيز ليا ومن الناس المحترمة قوي وحكيت له عنك كتير وكان نفسه يشوفك ويتعرف عليكي

ابتسمت لينا نصف ابتسامة وهي تنظر لشريف مجاملة إياه:

- فرصة سعيدة يا أستاذ شريف

أشعل شريف سيجارة من علبته الفخمة وقام بعرض سيجارة على لينا ولكنها شكرته وفضت فسألها:

- إيه مبتدخنيش ؟

- لأ ...متشكرة بدخن بس ما بغيرش النوع اللي بشربه...

فتوجه بيده نحو أمها فتلقفت منه السيجارة وأشعل لها بولاعة لا تقل فخامة عن العلبة وتابعت لينا كل ذلك ملابسه الغالية ومفاتيح سيارته ولم يبهرها ما تراه فهو يشبه تماما الكثير من الزبائن الذين يترددون على أماكن عملها... ساد الصمت قليلا وقطعه شريف قائلا:

- ماما على طول بتكلمني عليكي وعلى المزيكا لما شوقتني أشوفك... أنا بحب المزيكا قوي وخصوصا الكمانجة

ردت لينا:

- فعلا!!

- أيوه... كيييف كمانجة

- بتحب تسمع إيه بقى من الكمانجة

- أنا بسمع عمر خيرت على طول

- بس عمر خيرت بيلعب بيانو مش كمانجة

obeikandl.com

توترت أمها وحاولت أن تلملم ما تبعثره لينا قائلة:

- أيوه أيوه شريف بيه يقصد يعني المزيكا بتاعته ما هي فيها كمانجة

ثم نظرت لشريف مبتسمة وأكملت:

- عمر خيرت جميل قوي... ذوقك حلو يا شريف بيه مش غريب عليك

نظرت لها لينا بابتسامة ماكرة قائلة:

- آه عمر خيرت جميل فعلا

ساد الصمت مرة أخرى ودارت لينا بنظرها بينهم ثم قالت فجأة:

- حضرتك صديق قديم لماما يا أستاذ شريف صح؟

ظهرت ملامح التوتر على وجه أمها مرة أخرى وقال شريف:

- يعني من كام سنة كده

- غريبة أصلنا ما اتقابلناش قبل كده خالص ولا حتي سمعت إسم حضرتك

- أنا عايش بره مصر أغلب الوقت... بشتغل تاجر تحف وأنتيكات أنا عندي محل كبير هنا في مصر الجديدة وبسافر كتير أشتري التحف اللقطة من بره وقعدتي بتطول ساعات لما بيكون فيه مزادات ولا حاجة يمكن علشان كده ما شوفتنيش قبل كده

قاطعت أمها حديثهم قائلة:

- تشرب إيه يا شريف بيه

- ممكن قهوة مظبوط

نهضت واتجهت للمطبخ وهي تنظر لشريف نظرة غامضة لم تلمحها لينا... أراح ظهره للوراء في مجلسه وقال:

obeikandl.com

– إنما ماما قالتلي إنك بتشتغلي تقريبا كل يوم بليل في أماكن كتير... فنادق مش كده؟

– أيوه

– شغلانة متعبة برضه... سهر ومشاوير في أوقات متأخرة

– ما فيش شغل ما فيهوش تعب... الفكرة هل الواحد بيحب الحاجة اللي هو بيعملها ولا لأ ساعتها هتفرق وانا بحب المزيكا ما بتعبش منها..

– يعني لو عندك الاختيار يبقى معاكي فلوس كتير وترتاحي من الشغل والمشاوير والسهر هتختاري إيه؟

صمتت لينا قليلا ثم قالت:

– أستاذ شريف حضرتك عايز تقول حاجة معينة؟؟

ابتسم شريف قائلا:

– إنتي حادة قوي في التعامل ما بتاخديش وتدي كتير

– أنا مش محتاجة آخد وادي المواضيع أبسط من كده... حضرتك اللي فيه حاجة عايز تقولها تقريبا ومش عارف تقولها ازاي فحاولت أوفر عليك المقدمات الطويلة بس

كانت لينا قد بدأت تشك في أن شريف جاء ليتزوج من أمها ويحاولان أن يخبراها ببطء وأشعل هو سيجارة أخرى وقال لها:

– أنا معظم وقتي زي ما قلت لك مسافر بره وبكون لوحدي كتير هناك وهنا كمان... أنا كبرت ومحتاج حد ياخد باله مني ومن احتياجاتي... الحقيقة طول الرحلة الطويلة دي من العمر انشغلت أكتر بالمحل والسفر

obeikandi.com

والفلوس ونجحت وبقى عندي فلوس كتير قوي بس نسيت نفسي وبصيت لقيتني كبرت وبقى عندي حاجة وخمسين سنة ولسه لوحدي

- فقررت تتجوز

لمعت عينا شريف وابتسم قائلا:

- بالظبط

ابتسمت لينا ثم قالت:

- وانا موافقة

اندهش قائلا:

- بالسرعة دي... مش محتاجة تفكري شوية تحققي معايا حبة كمان

ضحكت لينا وقالت:

- أنا ما كنتش فاهمة في الأول بس إن الموضوع كده وبعدين انا محتاجة أفكر في إيه؟

- في شغلك

- ومال شغلي بالموضوع مش فاهمة.

ما اعتقدش هتحتاجي شغل... الفلوس كتير ومش هتبقي محتاجة أي حاجة وبعدين سفري الكتير ما اعتقدش هيخليكي تقدري تلتزمي بشغل

- أنا مش فاهمة حاجة... مال شغلي بحياتكم وبسفرك

- حياتنا!!

- هو حضرتك مش المفروض اللي يهمك ظروف ماما مش ظروفي هي اللي هتتجوز مش أنا

obeikandl.com

اندهش وضحك بصوت عال في نفس اللحظة التي دخلت فيها أمها حاملة الصينية عليها القهوة لتضعها أمامه ونظرت له مبتسمة وهي تقول:

- بتضحكوا على إيه بقى ما تضحكوني معاكم

قال لها وهو ما زال يضحك:

- لينا يا ستي فاكراني جاي علشان أتجوزك انتي

اندهشت الأم ثم ضحكت هي أيضا ونظرت للينا التي كانت حائرة بنظراتها بينهم وقالت لها:

- يتجوزني أنا إيه يا لينا!! شريف بيه جاي يتقدم لك انتي

صدمت لينا واتسعت عيناها ونهضت فجأة من مقعدها وقالت لأمها وهي ثائرة:

- إنتى ازاي تحطيني في الموقف ده وازاي تعملي كده من غير ما تاخدي رأيي... يتجوز مين!!

توترت الأم وتوتر شريف من انفعالها وضحكت أمها ضحكة قصيرة عصبية وكأن الموقف لم يتغير وهي تقول لها:

- في إيه يا لينا بتزعقي ليه انتي ممكن تاخدي فرصة وتفكري...

قاطعتها لينا بحدة

- أفكر في إيه!!! ومين قالك أصلا إني عايزه أتجوز!! إنتي بتحرجيني يعني؟!! متهيألي دي حاجة المفروض تاخدي فيها رأيي الأول قبل ما تحطيني قدام الأمر الواقع بالشكل ده أنا مش عيلة صغيرة... ثم حتى لو هتجوز تفتكري هتجوز واحد في سن أبويا؟!!!

obeikandl.com

احمر وجه شريف وتوتر وقالت أمها بصوت عال فجأة وقد أظهرت وجهها الأصلي:

- اتكلمي كويس عيب بلاش قلة أدب الراجل ضيفنا ما يصحش كده

- تقصدي ضيفك انتي أنا ما عزمتش حد

نهضت أمها واقفة وهي تصرخ في وجهها:

- بقول لك عيب كده اخرسي خالص بلاش فضايح

قاطعها شريف محاولا تهدئة الموقف:

- يا أستاذه لينا حصل خير... ماما كانت نيتها كويسة والموضوع مش كبير كده... ما يصحش برضه تزعقي لها قصادي كده دي أمك عيب

توجهت له لينا بنظرات حادة كالسكين جعلته يتوتر أكثر وهي تقول:

- ما اعتقدش من حقك تتدخل في أسلوب كلامي ولا في أي كلام بيني وبين أمي من أساسه ولو هتجيب سيرة العيب يبقى متهيألي عيب عليك انت لما تفكر تتجوز واحدة قد عيالك وتحاول تشتريها بالفلوس... البني أدمين مش أنتيكات ولا تحف تشتريهم لو عجبوك

ثم أكملت بابتسامة لزجة:

- شرفت يا شريف بيه

لملم شريف أشياءه لينصرف واتجهت لينا نحو غرفتها لتغلق الباب وراءها بعصبية تاركة أمها تنادي عليها دون إجابة منها:

- إنتى يا بت انتي!! خدي تعالي هنا يا قليلة الأدب

obeikandl.com

ألقت لينا بنفسها على السرير تحاول أن تتمالك أعصابها وكان جسدها ينتفض من الغضب... لم تمض دقائق حتى فتحت أمها باب غرفتها وهي ثائرة تصرخ فيها:

- إيه اللي هببتيه ده؟!!

نهضت لينا من على السرير لتصرخ فيها بدورها:

- اللي أنا هببته!! إيه اللي انتي بتعمليه فيا ده؟!! هو أنا كرسي ولا طرابيزة في البيت بتتحكمي فيها زي ما انتي عايزة!!! جايبالي واحد يشتريني ويشوفني أسوى كام؟!! إنتي بتعملي معايا كده ليه؟!! ليه بتعامليني كأني ما اسواش حاجة في نظرك هو أنا مش بنتك؟!! فيه أم تعرض بنتها للبيع؟؟

- بس بلاش وساخة ولا قلة أدب... ده راجل محترم وجاي يطلب إيدك في الحلال هيسترك ويعيشك عيشة ما تحلميش بيها

- قصدك يعيشنا... وإيه يسترني دي هو انتي شايفاني ماشية على حل شعري!!

- شغلك يا قليلة الربابة ورجوعك البيت كل يوم وش الفجر بيخلي الناس تجيب في سيرتنا واحنا معناش راجل لو واخده بالك يعني...لازم تتجوزي وتتستري ولما تبقي في زمة راجل يبقى هو بقى يعرف شغله معاكي أنا ما بقتش قادرة لك ولا عارفة ألمك

- تلميني!! تلميني من إيه؟!! مكسوفة من شغلي؟!! أُمال بتشربي سجايرك منين؟؟ وشعرك اللي انتي عاملاه ده عاملاه منين؟... مش من فلوس الشغل اللي مش عاجبك ده!!! بتستعري مني دلوقتي ومن شغلتي!!

obeikandi.com

- إخص عليكي بت قليلة الأدب صحيح... بس هقولك إيه طالعة لابوكي ما عندكيش دم زيه داهية تاخدك زي ما خدته...

قالت ذلك وخرجت من غرفتها فأغلقت لينا الباب وراءها بحدة شديدة وعادت لتجلس على طرف سريرها ثم دفنت وجهها بين راحتيها وأخذت تبكي... تشعر بالاختناق من كل تلك الأحاسيس الكريهة... إحساس أنها سلعة تباع وتشترى وهي إنسانة وفنانة وأقيم من ذلك بكثير ولكن أمها كعادتها تجعلها دائما بتصرفاتها تشعر بأنها أقل من تصورها عن نفسها... تجعلها تشعر من داخلها بأنها معيوبة وأنها ليست جميلة وليس لها تلك القيمة الكبيرة التي تراها في نفسها... طوال كل تلك السنين الماضية كانت تحطمها ببطء وقد قاومت باستماتة وتشبثت بروحها وبالحياة واستقوت بنفسها وبفنها ولكنها بدأت تشعر مؤخرا أن طاقتها استنفدت وقدرتها على العناد والتحدي مع الحياة بدأت تخبو وروحها تنضب وذلك في حد ذاته يخيفها أكثر من خوفها المعتاد الدائم... ذهبت إلى النافذة تنظر منها للسماء وقالت وسط دموعها:

- هتسيبني كده يا رب؟!!... أنا ما بقتش قادرة أستحمل.... أرجوك انقذني... حتى لو بالموت... بس انقذني

رن جرس هاتفها ونظرت للرقم وهي تمسح دموعها بكفها إنها صديقتها هاجر... ليس لها أصدقاء كثيرون... لها معارف كثيرة بحكم عملها ولكن أصدقاءها قليلون جدا لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة عددا... ردت عليها:

obeikandl.com

- ألو... أيوه يا هاجر
- لينا... إنتي فين يا بنتي واحشاني
- وانتي كمان... أنا في البيت
- مال صوتك؟؟ إنتي كويسة؟؟
- أيوه يا حبيبتي كويسة... إنتي عاملة إيه؟؟
- لأ صوتك بيقول إنك ولا كويسة ولا نيلة... إنتي بتعيطي ولا إيه؟؟
- لأ أبدا أنا كويسة والله ما فيش حاجة
- طب أنا جايالك أنا ومادلين نروح نشرب أي حاجة في أي حتة
- ماشي مستنياكم.. باي

وضعت الهاتف جانبا وتنهدت ثم عادت لتقف في النافذة تنظر بعينيها للسماء تبحث فيها عن الأمل....

* * *

خرجت ريم من الحمام ترتدي فقط قميصا طويلا يظهر تفاصيل جسدها الجميل تمشط شعرها بيدها بعد الاستحمام وابتسمت لسوزي التي كانت مستلقية على المرتبة وتغطي جسدها العاري بملاءة خفيفة وابتسمت بدورها فذهبت إليها ريم لتجلس بجوارها وتقبلها من فمها قبلة هادئة ثم تداعب شعرها قائلة:

- صباح الفل يا عسل
- صباح الخير

obeikandl.com

- نمتي كويس؟

- قوي... ما تيجي ننزل نفطر بره ونستغل اليوم الأجازة ده؟

- يلا بينا

ارتديا ملابسهما ونزلا وأثناء خروجهما بالسيارة من المنطقة التي تسكن بها ريم لاحظت سوزي ذلك الشاب الذي نظر نحو ريم ونظرت هي أيضا له نظرة صارمة فتحسس الشاب رقبته وحول نظره إلى الناحية الأخرى فسألتها سوزي:

- مين ده؟

- واد كده كنت اتخانقت معاه من فترة أول ما سكنت هنا

- اتخانقتي معاه ازاي!!

- عادي عورته في رقبته

- عورتيه!! إزاي مش فاهمة؟

- بالموس

وأخرجت من فمها شفرة الموس في حركة سريعة لتريه لسوزي ثم أعادته مكانه مرة أخرى وسط نظرات سوزي المذهولة والمنبهرة في نفس الوقت فهي لو لم تكن مع ريم لما كانت استطاعت أن تدخل تلك المنطقة قالت لريم:

- إنتي شخصية غريبة قوي

- ولا غريبة ولاحاجة

obeikandi.com

وصلا عند مطعم هادي ودخلا ليطلبا الإفطار وظلت سوزي صامتة تنظر نحو ريم وهي مبتسمة مما جعل الأخيرة تسألها:

- إيه بقى هتفضلي تتفرجي عليا كده؟

- مش هتحكي لي؟

- أحكي لك إيه؟

- تحكي لي عنك... أنا ما عرفش حاجة عنك خالص

صمتت ريم لحظات ثم نظرت لسوزي في عينيها قائلة:

- مش عارفة ليه حاسة ناحيتك براحة غريبة يا سوزي

ضحكت سوزي ضحكة قصيرة ماكرة وهي تقول:

- طب ما دام كده احكي لي بقى يلا

ترددت ريم قليلا بسبب إحساسها الدائم أنها تفهمها جيدا ولا تنطلي عليها صيغها الخادعة في الكلام ثم قررت أن تحكي لها... حكت لها كل شيء من بداية علاقتها بأمها وهي صغيرة حتى ما تعيش فيه حاليا من أحلام وكوابيس وأرق وهلاوس وظلت سوزي تستمع لها بذهول وما أن انتهت حتى ساد الصمت للحظات قطعته سوزي قائلة:

- أنا حاسة إني بسمع قصة فيلم

انعقد حاجبا ريم وقالت لها بحدة:

- والله لو مش مصدقة دي مشكلتك... أنا ما كنتش عايزة أحكي أصلا من الأول

obeikandi.com

- إهدي بس أنا ما اقصدش إنك بتكدبي أنا أقصد إنها حكاية صعبة قوي وتوجع عاملة زي الأفلام... إنتي شيلتي حمل كبير قوي في الدنيا

ردت عليها ريم بابتسامة باهتة ونظرت إلى الطبق أمامها في صمت فأكملت سوزي:

- متهيألي موضوع الكوابيس ده له علاقة بكل اللي شوفتيه في حياتك... أنا رأيي تروحي لدكتور يساعدك

- إنتي شايفاني مجنونة ولا إيه!!

- يا بنتي انتي على طول بتنطي في وشي كده!!... الدكتور النفسي ده دكتور زي أي دكتور مش لازم تكوني مجنونة علشان تروحي له... إنما هو هيبقى أكتر واحد فاهم حالتك وحلها... ولا إيه؟

- تفتكري؟

- بصي أنا أعرف دكتور قريب واحدة صاحبة مامتي وأسمع إنه شاطر قوي هجيب لك رقمه وجربي

صمتت ريم ثم أومأت برأسها موافقة ثم قالت:

- مش يلا بينا نرجع ع البيت بقى؟

ضحكت سوزي بدلال وهي تقول:

- ما زهقتيش مني؟

نظرت ريم لها نظرة شهوانية وقالت:

- أزهق منك!! ده كلام برضه ده انتي تتاكلي أكل

obeikandl.com

أنهت جملتها ثم أشارت للنادل طالبة الحساب....

* * *

اقترب مدير البار من محمود وهو ممسك بالصينية في يده واستوقفه قائلا:

- سيب اللي في إيدك يا محمود وتعالى

ترك محمود الصينية على حامل بجواره ومشى وراء المدير حتى خرجا من البار واستدار المدير لينظر له في تردد وشفقة قائلا:

- يا محمود بنتك طلبتك على التليفون من شوية

توترت ملامح محمود وهو يقول:

- فيه حاجة ولا إيه؟ ما ندهتوليش ليه أكلمها؟

- مراتك تعيش انت

ارتعشت نظرة محمود وقدماه وأمسك بذراع المدير الذي تلقف يده بدوره وأجلسه على سور بجانبه وأكمل:

- نرمين كانت منهارة فقفلت معاها وقلت لها بابا هيجي لك حالا... شد حيلك يا محمود البقاء لله...

استجمع محمود قواه لينهض واتجه إلى البيت.... طوال الطريق في التاكسي تتقافز إلى ذهنه ذكرياته مع زوجته منذ أن التقيا أول مرة وأول لمسة يد بينهما ونظراتها له وحبهما وزواجهما وعندما كانت تلد نرمين ولحظة وصولها للدنيا وهي طفلة رضيعة في يدها وكل تفاصيل حياتهما معا لأكثر من أربعين سنة حتى أيام مرضها الأخيرة... عندما وصل إلى البيت

obeikandl.com

وما أن فتح الباب حتى انطلقت نرمين لتلقي بنفسها في حضنه وهي تبكي بحرقة:

- ماما ماتت يا بابا... ماتت...

احتضنها بقوة ثم أجلسها على كرسي وتركها برفق واقترب ببطء من الغرفة التي كانت تنام فيها زوجته وكانت بنت أختها جالسة بجانبها تقرأ لها القرآن ونهضت من مكانها فور أن رأته لتترك له الغرفة... اقترب محمود من جثمان زوجته وترددت يداه وهو يضعها على جبينها الذي ما زال دافئا نوعا ما وأمسك بيدها ليقبلها وهو يقول:

- مع السلامة يا سميرة...

كان العزاء هادئا ويكاد يكون خاليا إلا من بعض الأقارب والجيران وزملاء محمود في البار والمدير ومع نرمين ابنة خالتها شيماء ولينا يشدان من أزرها.... ظل محمود صامتا أغلب الوقت لا يتكلم وردوده على التعازي بالإيماءات فقط ذاهلا وكأنه في عالم آخر وعيناه حائرتان ونظراته زائغة... ما زال غير قادر على أن يصدق رحيلها رغم علمه بأن المرض اللعين كان سيودي بحياتها إن عاجلا أو آجلا ولكن يبقى الفراق من أصعب المشاعر تحملا... يجاهد كي يتماسك أمام ابنته في الدفن وفي العزاء محتضنها وانتظر حتى انتهى كل شيء ورحل الجميع ونامت نرمين وشيماء معها ودخل هو إلى الغرفة التي كانت تنام فيها زوجته طيلة فترة المرض ليمدد جسده مكانها وكأنه يحتضن أثرها ورائحتها وأغلق عينيه لتنزل من عينيه دموعه الصامتة أخيرا....

* * *

obeikandl.com

أشعل نادر سيجارة وهو يحتسي القهوة بعد أن حقن نفسه بجرعته الصباحية ويأتي صوت فيروز يدوي من مذياع بجواره - يمكن حبك جد بس أنا تعبانة) وكان واضعا أمامه الورقة التي أعطاها له وليد وأخذ ينظر إلى الرقم المكتوب عليها ولا يتحرك... هل يتصل؟؟ هل هو بالفعل يريد أن يتوقف عن التعاطي؟؟؟ هل سيستطيع؟؟ هل بالفعل هناك تبطيل؟؟ أم ستكون مجرد محاولة أخرى فاشلة ليس أكثر؟؟... دارت كل تلك الأسئلة في عقله بالأخص أنه حاول كثيرا من قبل أن يتوقف عن التعاطي عن طريق الصلاة والدين ولم ينجح ودخل مستشفيات للعلاج من الإدمان ومصحات نفسية عدة مرات ولم يتمكن فى كل مرة أن يصمد لأكثر من شهرين بأقصى تقدير... وضع يديه على جانبي رأسه ليمسك بها بشدة ويضغط عليها محاولا أن يجمع شتات عقله ويمسح بيده على شعره... القرار بأن يقوم بهذا الاتصال شديد الصعوبة وكأنه يريد أن يحرك جبلا من مكانه... ظل هكذا كما هو لنصف ساعة ثم دخل في غفلة قصيرة من تأثير المخدر ليخرج منها فجأة ويشعل سيجارة أخرى وأمسك بهاتفه وكتب عليه الرقم ببطء... هناك صوت بداخله يصرخ فيه أن ينهي الاتصال قبل أن يجيبه أحد ولكنه لا يدري لماذا لم يفعل ذلك إلى أن رد عليه صوت من الناحية الأخرى:

- ألو

- أيوه... أنا... أنا نادر

- نادر مين؟

- نادر اللي كلمك عليه وليد بيه عوني ظابط المباحث من أسبوع

obeikandl.com

- آآآه افتكرت... إزيك يا نادر عامل إيه؟

- الحمد لله

- عايز تعمل إيه بقى يا نادر قولي؟

- عايز أبطل

- طيب تحب نتقابل إمتى

- بس أنا معييش فلوس ومعييش أي حاجة غير التليفون اللي بكلمك منه ده ولو بعته مش هيجيب خمسين جنيه

- ما تشغلش بالك بالفلوس بس جهز نفسك ولم حاجتك وشوف لو عايز تضرب آخر ضربايه ولا حاجة قبل ما اجي لك وهكلمك بليل تقول لي أجي لك فين ونمشي مع بعض

- أنا عايز حاجة كمان

- عايز إيه قول؟

- عايز صاحبتي كمان تبطل معايا... ينفع تساعدنا احنا الاتنين؟

ضحك وهو يقول:

- لأ ما هو احنا مش رايحين شرم الشيخ يا معلم!!

- أنا بتكلم بجد

صمت الشخص قليلا ثم أجابه:

- طيب هي كمان عايزة تبطل؟.... يعني ده قرارها؟

- مش عارف بس متهيألي لو قلت لها إني هبطل هتحاول معايا

obeikandl.com

- طيب يا نادر لو هي كمان عاوزة ممكن أبعت لها زميلة ليا تاخدها هي كمان على مكان فيه بنات... كويس كده يا سيدي؟

- كويس قوي

- ماشي هكلمك آخر النهار... ده رقمك يا نادر؟

- أيوه

- ماشي يلا سلام

لا يدري لماذا أكمل المكالمة رغم أن الصوت بداخله لم يتركه لحظة طوال الحديث وظل يزعجه ويصرخ فيه بصوت يسمعه بالفعل في أذنه أن ينهي الاتصال ولكن شيئا ما جعله يكمل المكالمة... إنه منهك تماما من سنين الضرب.... فقد كل شيء... حتى روحه وملامحه... لا يعرف نفسه عندما ينظر في المرآة بالفعل هذا الشخص الذي يراه في المرآة ليس هو... لا يمت له بصلة وفي كثير من الأحيان يشعر بالاشمئزاز عند رؤيته فعادة يتجنب النظر في المرآة إلا في أضيق الحدود... كل شيء تغير تماما رغم أنه ما زال في منتصف الثلاثينات ولكنه يشعر وكأنه يبلغ من العمر ألف عام.... آلاف الأحداث والذكريات والمواقف والجنون والإهانة والألم.... لن يتصور أحد... من التفوا حوله ليضربوه ويذهبوا به للقسم لن يتخيلوا أبدا أو يتصورا ما يشعر به أو ما رآه في الحياة أو ما يدور في عقله ولو كانوا يعلمون لأشفقوا عليه فيكفي أن نفسه وعقله ينهالان عليه يوميا بضربات أقوى بكثير من التي تلقاها منهم... لا بد أن ينتهي كل هذا... فليجرب لآخر مرة وإن لم تنجح هذه المحاولة الأخيرة فسينهي التفكير في التبطيل ما تبقى من عمره الذي سيبذل

obeikandl.com

كل جهوده في أن ينهيه في أسرع وقت بزيادة جرعات الهيروين لعله يرحل عن الدنيا ويرتاح ككل أصحابه ممن كانوا يتعاطون معه فمعظمهم أصبحوا تحت التراب الآن.... كانت رشا قد استيقظت وجلست بجواره وهي تدعك عينيها من أثر النوم ثم أخرجت طبقا من أسفل المنضدة لتضعه أمامها وتخرج ورقة من درج بجانبها لتفرغ محتوياتها داخل الطبق ثم تأتي ببطاقتها لتشكل من البودرة التي وضعتها داخل الطبق صفين سميكين بحد البطاقة ثم لعقت ما تعلق بالبطاقة من بودرة بلسانها وأبرمت عملة ورقية ثم وضعت طرفها داخل فتحة من فتحتي أنفها والطرف الآخر عند أول صف وسحبته داخل أنفها بسرعة وقوة ثم بدلت الطرف الأول عند فتحة أنفها الأخرى وسحبت الصف الثاني بنفس الطريقة ولكن عكس الاتجاه وعادت برأسها للوراء وظلت لدقيقة كما هي لا تتحرك ثم أشعلت سيجارة ونظرت لنادر الذي ما زال حائرا يقلب تليفونه على المنضدة بيديه فقالت له:

- ما لك يا ابني؟ عامل كده ليه ع الصبح؟

نظر لها نادر وتأمل وجهها قليلا ثم قبلها من شفتيها قبلة قصيرة فنظرت له رشا ثم قالت:

- ما فهمتش برضه على فكرة؟!! ما لك؟؟

- أنا هبطل النهارده يا رشا

- تاني انت... الحالة جات لك تاني...

- أنا ما بهزرش

obeikandl.com

– يا حبيبي ما انت حاولت قبل كده كذا مرة وما عرفتش بتعمل كده ليه دلوقت مش فاهمة؟؟

– هحاول آخر مرة

– يا نادر إنت فاكر لما اتقابلنا أول مرة في عربية ساي؟... وأنا كنت لسه داخلة السكة جديد وانت اللي كنت بتقضي لنا ولما طلبت منك رقمك ما رضيتش تدهوني علشان أنا شكلي نضيفة ولسه في الأول... ولما قابلتك تاني بالصدفة وكنت أنا اللي بقضي بنفسي قلت لي إني حلوة ولسه صغيرة والطريق ده طريق الموت وما فيش فيه ملفات للرجوع اللي بيمشي فيه ما بيرجعش منه... فاكر؟؟

– فاكر

– طيب تبطيل إيه بقى اللي انت بتتكلم عليه؟!!... يا ابني احنا اتكتب علينا نعيش كده... ده قدرنا... فيه حاجة اسمها بشر وفيه حاجة اسمها بودرجية... بطل ترفيص بقى وما تصدعناش....

– أنا هبطل يا رشا النهارده.. وكلمت حد هييجي ياخدني وكلمته عليكي كمان علشان تبطلي..

انفعلت رشا فجأة وصرخت في وجهه وهي تقول:

– ومين اللي قال لك إني عايزة أتنيل على عيني!! لو عايز تقعد تعمل اللي انت بتعمله ده اعمله لوحدك وما تتكلمش بالنيابة عني إنت مش أبويا ولا حتى جوزي علشان تاخد لي قرار... وما دام انت بتتصرف مع نفسك كده يبقى لو سمحت ما لكش دعوة بيا وروح بطل لوحدك...

obeikandl.com

حاول نادر أن يحتضنها ليهدئها ولكنها أزاحت يده بحدة ونهضت من مجلسها وارتدت ملابسها سريعا وخرجت مغلقة الباب وراءها بقوة... ظل نادر جالسا مكانه بعد أن أخذ جرعة أخرى أكبر من الأولى وكأنه يودع الهيروين الوداع الأخير ولم يشعر بنفسه حتى انتبه فجأة من غفلته على صوت الباب يغلق ورأى رشا قد عادت وتحاشت النظر إليه ودخلت إلى المطبخ ونظر هو للخارج فوجد أن الشمس قد ذهبت ويبدو أنه غفل لأكثر من ساعتين بعد الجرعة الثانية ورن هاتفه فرد:

- أيوه مين؟

- أنا وائل

- وائل مين؟

- وائل اللي انت كلمتني علشان تبطل

- أيوه أيوه إنت فين؟

- إنت اللي فين جاهز ولا إيه؟

نظر نادر ناحية رشا التي خرجت من المطبخ لتستمع إلى حديثه ورده على وائل:

- أيوه أنا جاهز

- طيب تمام قول لي أجي لك فين بالظبط؟

أخبره نادر بعنوانه ثم أنهى المكالمة وقال لرشا:

- تعالي معايا يا رشا

obeikandl.com

– لأ يا نادر... مش رايحة في حتة... عموما هما كبيرهم شهرين بالكتير وهترجع تلاقيني مستنياك زي كل مرة...

صمت نادر وشعر بالحزن... لم يكن يريد أن يتركها وحدها ولكنه لا يدري ما السبب وراء إصراره على تلك المحاولة الأخيرة... نهض من مكانه ولملم ملابسه القليلة جدا في كيس بلاستيك أسود فهو لا يملك حقيبة ولا ملابس تقريبا وانتظر مجيء وائل حتى سمع طرقات على باب الشقة وذهب ليفتح باب الشقة ليجد أمامه شابا أنيقا نظيفا ويبدو فى منتصف الأربعينات تفوح منه رائحة عطر قوية وجميلة يسأله مبتسما:

– نادر؟

– أيوه... مين؟

– أنا وائل

– أهلا بيك... تعالى اتفضل

– لأ معلش خليني بره أحسن... إنت جاهز؟

– أيوه تمام

– وصاحبتك؟

نظر نادر وراءه لرشا الواقفة بالداخل ثم قال:

– لأ مش عايزة تبطل

– طيب يلا بينا

دخل نادر مرة أخرى ليحضر حقيبته ونظر نظرة أخيرة لرشا ثم استدار متجها للخارج

obeikandi.com

- نااادر

هتفت رشا بلوعة ولهفة فالتفت لها فأسرعت نحوه لتحتضنه بقوة وسقطت من عينيها دمعة وهي تقول له:

- خلي بالك من نفسك... هتوحشني قوي

قبلها نادر وربت على وجهها قائلا:

- وانتي كمان هتوحشيني قوي...

ثم انصرف مع وائل مغلقا وراءه الباب...

* * *

تحرك عمر بهدوء في ذلك الشارع شبه المظلم إلا من إضاءة خافتة صفراء قادمة من عمودين إنارة وتوقف عند مدخل عمارة وأطفأ سيجارته ودهسها بحذائه وهو ينظر خلفه بطرف عينيه وعندما تأكد أنه لا يوجد من يتبعه دخل إلى العمارة القديمة ليصعد درجات سلالم قد غير من شكلها الزمن فأصبحت غير متساوية ووصل الدور الأول ليطرق باب شقة بجواره وانتظر قليلا إلى أن سمع صوتا من وراء الباب:

- مين؟

- أنا عمر يا مصطفى

- عمر مين؟

- عمر شوقي بتاع كلية العلوم

سمع صوت مفتاح يدور في الباب من الداخل عدة مرات ثم فتح الباب ليرى أمامه وجه مصطفى ينظر إليه مندهشا وهو يقول:

obeikandl.com

- عمر!!

ابتسم عمر فاندفع مصطفى في حضنه وأمسكه من كتفيه ليتأمل ملامحه وكأنه يتأكد من هويته مرة أخرى وقال مرة أخرى وهو مبتسم:

- عمر

ثم دفع به إلى الداخل سريعا ونظر إلى السلالم فوقه وتحته ثم أغلق الباب وراءه لينظر لعمر قائلا:

- يااااه يا عمر خش تعالى... تعالى أقعد...

وتوجها ناحية كرسيين متقابلين من البلاستيك وكان المكان قليل الأثاث ومتواضعا جدا مليئا بالأتربة وقبل أن يجلس عمر مسح له مصطفى الكرسي بيده وقال:

- معلش بقى المكان مبهدل شوية

- لسه عايش لوحدك يا مصطفى؟

- أيوه أبويا وأمي ماتوا في البلد من ست سنين وانت عارف إني ما ليش اخوات زي حالاتك وما كانش ليا حد في الدنيا غيرهم

- ما اتجوزتش؟

- ما انت عارف يا عمر اللي يعيش عيشتنا دي مش سهل يتجوز... إنما قولي انت اتجوزت ولا إيه؟

- لأ

- أُمال فين أراضيك دلوقت وجيت مصر امتى؟

obeikandl.com

كاد عمر أن يجيبه لولا أن قاطعه مصطفى بابتسامة محرجة وهو يقول:

- معلش فرحتي بيك نسيتني أجيب لك حاجة تشربها عموما مش هقول لك تشرب إيه علشان أنا ما عنديش غير شاي

ابتسم عمر قائلا:

- يبقى شاي

نهض مصطفى وعاد بعد دقائق بصينية عليها كوبان صغيران من الشاي وضعها ونظر لعمر بدهشة وهو يشعل سيجارة ولا حظ الأخير دهشته فقال:

- مستغرب طبعا بشرب سجاير وحالق دقني

- الحكومة مراقباك صح؟

- فعلا بس مش هو ده السبب

- أُمال إيه مش فاهم؟

- صمت عمر قليلا ليزن كلامه ثم قال:

- أنا انشقيت عن الجماعة وسيبت الدعوة يا مصطفى.....

اتسعت عينا مصطفى ووضع كوب الشاي من يده قائلا:

- انشقيت!! إزاي يعني؟

- ما تخافش ما خرجتش من الملة بس هجرت الدعوة نفسها والجهاد

- ليه يا عمر؟؟؟!!... إنت عايش بره... صحيح في حروب بس على الأقل محاط بكم كبير من الإخوة وحياتكم أحسن هناك... ناقصك إيه علشان

obeikandl.com

تعمل كده؟؟... حياة نضيفة وهوا نضيف ودولة إسلامية حقيقية حتى ولو لسه صغيرة وتحت الإنشاء إنما قوية ومعاها جيش وسلاح وبتجاهد في بلاد العجم كإنكم أيام الخلفاء الراشدين بالظبط رضي الله عنهم وأرضاهم... إخوة بتراعوا بعض وأخوات جميلات تتجوز منهم اللي تعجبك وملك يمين كمان من الشقراوات وذوات العيون الخضر لو تحب!! جنة في الأرض.... ليه يا عمر؟؟!!!

– إنت مش فاهم حاجة يا مصطفى أنا بقالي معاهم عشر سنين في الشيشان وكردستان وأفغانستان والعراق كله كدب في كدب...

نهض مصطفى من مكانه متوترا وهو يردد وراءه:

– كدب في كدب!! يعني إيه يا عمر تقصد إيه؟!!

– يعني الناس هناك ما بتحاربش علشان الدين ولا كل الشعارات دي... الحكاية في الآخر مصالح بس...

اتسعت عينا مصطفى في ذهول وامتعضت ملامحه فجأة وهو يقول بحدة:

– من الواضح إن الشيطان لعب بعقلك وبلاد الكفار أغوتك... يا خسارة يا عمر!!

– شيطان إيه بس يا ابني وغواية إيه!! إنت مش فاهم حاجة خالص

انفعل مصطفى فجأة وقال بمنتهى الحدة والغضب:

– مش فاهم... مش فاهم.... إيه علشان عشت لك بره كام سنة يعني بقيت خلاص انت اللي فاهم كل حاجة؟!!!

obeikandi.com

نظر له عمر مستنكرا فلم يكن يتوقع انفعاله وهو يقول:

- تقصد إيه يا مصطفى؟

- أصلك عمال تكررها وكل شوية تقول لي مش فاهم كإنك يعني انت العالم ببواطن الأمور... ما انت أصل لك ما عشتش معانا هنا ولا اعتقلت ولا اتعذبت ولا حسيت بالقهر والظلم من ناس بتتكلم نفس لغتك ومن جنسيتك... اصطفوك بدري بدري وسفروك... الحياة بره ناعمة حتى لو كنت في حرب... الحياة المرفهة بوظتك وخلتك تتفلسف

وترقرقت الدموع في عيني مصطفى فجأة وهو يكمل:

- ما اتكهربتش ولا قلعت عريان و....

تحشرج صوته فجأة وكأن الكلمات رفضت الخروج وأكمل:

- ما عرفتش يعني إيه ما تدفنش لا أبوك ولا امك ولا يعني إيه يموتوا بحسرتهم عليك وما تعرفش حتى تمسح دموعهم بإيديك ولا تقرالهم الفاتحة ولا تصلي عليهم... وعمال تقولي مش فاهم.. أنا اللي مش فاهم!!.. مش فاهم إيه يا عمر؟!!!.... إنت اللي مش فاهم حاجة خالص

ساد الصمت لحظات وعمر ينظر إلى مصطفى وهو متأثر بكلامه ثم مسح مصطفى دموعه سريعا وقال له بحدة:

- إنت جاي لي ليه يا عمر؟؟ عايز مني إيه؟

نهض عمر وسار نحو النافذة لينظر للسماء من خلال الشيش المغلق ثم استدار لمصطفى وقال:

obeikandl.com

- عايز منك خدمة لو لسه فاكر أيام الجامعة والعيش والملح والأيام اللي عشناها مع بعض...

- عايز إيه

- عايز طبنجة وطلقات... وعايز معلومات عن مكان أبو بكر

- انتفض مصطفى انتفاضة خفيفة من الخوف وهو يقول:

- أبو بكر مين؟

- أبو بكر الشيخ اللي جندني أنا وانت زمان في المسجد اللي عند بيتي فاكره؟

- ناوي على إيه يا عمر؟؟

لم يجبه عمر واتجه نحو الباب ثم توقف وقال له:

- مصطفى إحنا صحاب من زمان واللي بينا أكبر من أخوة... ما تخافش... أنا لا شوفتك ولا جيت هنا...

وقبل أن يفتح الباب نادى عليه مصطفى قائلا:

- عمر... راجع نفسك يا أخي واستخر ربك...

نظر له عمر وابتسم ابتسامة هادئة وأومأ برأسه ليطمئنه وانصرف....

* * *

توقف عبد الله زوج زينب بسيارته أمام مسجد مجاور لبيتهم وخلع نعليه ليدلف إلى المسجد ويتوجه لمجموعة تجلس في زاوية جانبية مشكلين حلقة صغيرة وبينهم رجل يرتدي بذلة على عكس الجلابيب التي يرتدونها جميعا فقط يشبههم

obeikandl.com

في اللحية وعلامة الصلاة في جبينه ويقرأ عليهم بعض الأحاديث ويتبادلون تفسيرها وما أن جلس عبد الله بينهم حتى أنهى الرجل المجلس بالدعاء والفاتحة وتفرقوا جميعا ولم يتبق غيره هو وعبد الله فابتسم لعبد الله قائلا:

- كيف حالك يا عبد الله؟

- الحمد لله بخير يا شيخ أبو بكر

- وكيف حال أولادك وزوجتك المصون؟

- كلهم بخير يا مولانا وبيبوسوا الأيادي

- جهزت المراد من الأموال والأوراق؟

- كله جاهز يا مولانا بفضل الله

- طيب الحمد لله ربنا يبارك فيك... هبلغ الإخوة بإذن الله الجمعة الجاية علشان ننوي السفر بعديها بيومين يعني على الأحد إن شاء الرحمن

- ترجعوا لنا بالسلامة إن شاء الله

قال له أبو بكر مرة أخرى وكأنه يطمئن:

- الأوراق يا عبد الله؟؟

- ما تقلقش يا مولانا كل شيء تمام والورق نضيف ومظبوط...

- ربنا يسامحنا بقى على أيام الجاهلية لو كان الواحد اهتدى من بدري ما كانش هيبقى فيه صحيفة سوابق كده

- يا مولانا إن الله يمحو الذنوب جميعا وإنه لغفور رحيم... مش انت اللي علمتنا كده ولا إيه!! ده كفاية الناس الكتير اللي اهتدوا على إيدك وانا

obeikandl.com

منهم وبإذن الله تكون السفرية والدعوة كلها في ميزان حسناتك... أنا كان نفسي أكون معاكم واخد الثواب لولا الشغل اللي ورايا

ربت أبو بكر على قدميه قائلا:

- - اللي انت بتعمله ده يا عبد الله له نفس الثواب كأنك بالظبط سافرت واعتكفت معانا... طيب توكلنا على الله...

نهضا من مجلسهما وودعا بعضهما البعض وعاد عبد الله بسيارته إلى البيت ليأتي إليه مساعده مهرولا ليركن له السيارة فينظر له عبد الله ويسأله:

- جبت الحاجات اللي كانت طالباها منك الحاجة زينب يا سيد؟؟

- أيوه يا حاج... وعدى عليا مدير الحسابات وساب لك الملف ده

أعطاه الملف وأخذ السيارة ليذهب بها نحو جراج العمارة ودخل عبد الله وهو ينظر في الأوراق نظرة سريعة فهو يملك سلسلة من أكبر الشركات الاستثمارية في البلد وصعد حتى الشقة وما أن دخل حتى أسرعت نحوه ابنته حبيبة فأخذها في حضنه وسألها:

- أخوكي فين يا حبيبة؟

- عند جدو وتيته فوق

- وأمك فين أُمال؟

- خرجت ولسه ما جاتش

صمت عبد الله متأففا وأنزلها برفق ثم ربت على رأسها وسألها:

- وذاكرت معاكي دروسك؟

obeikandl.com

- لأ قالت لي لما تيجي بليل

- طيب جهزي كتبك على بال ما أغير هدومي واذاكر لك أنا

ذهبت حبيبة إلى غرفتها وفتح عبد الله الملف مرة أخرى ليوقع على بعض الأوراق ثم أغلقه وأمسك بهاتفه واتصل بزينب ولكنه لم يتلق إجابة فوضع الهاتف وبدا عليه علامات التفكير العميق وملامح وجهه حائرة ويشعر بالضيق... فدوما زينب تخرج وتغيب وتهمل دروس أولادهم وقد نبه عليها أكثر من مرة دون فائدة وأكثر ما يغضبه أنها لا تجيبه عندما يتصل بها أغلب الوقت وتعود لتتصل به كل مرة بحجة جديدة تبرر بها عدم ردها وتعود إلى البيت بحجج أخرى تبرر تأخيرها أو خروجها المفاجئ.... لقد سأم كل تلك التبريرات ولا يفهم ويشعر أن هناك شيئا تخفيه عنه منذ فترة ورفضها الشديد لأن يغيروا مكان إقامتهم فهو يملك أكثر من شقة وفيلا في مناطق أرقى وأفضل وتتحجج هي بأنها تحب المنطقة التي نشأوا فيها وأنها تفضل أن تكون بجانب أبيها وأمها اللذان يرفضان تغيير مكان سكنهما بدورهما ولكنهما كبار في السن ورفضهما منطقي وإنما رفضها غير منطقي وخصوصا أنها لا تراعيهما بالقدر الذي يجعلها تفضل البقاء بجوارهما ثم إنهما ليسا وحدهما فمعهما امرأتان تخدمهما ويدفع لهما جيدا من أجل ذلك!! والمسافات تختصر بالسيارات والسيارات متوفرة بفضل الله ولكنها مصرة على الرفض والبقاء في شقته... أمرها أصبح محيرا له منذ أكثر من سنة والأكثر ريبة أنها لا تلبي طلباته الزوجية إلا نادرا وإذا فعلت فهو يشعر وكأنها تنفذ مهمة مفروضة عليها وخالية من أي أحاسيس!!... أمسك بهاتفه مرة أخرى ليتصل برقم ما ثم يقول:

obeikandl.com

- أيوه يا محمد... إنت فين؟
- في الشركة يا حاج
- طب عدي عليا ع البيت ضروري قبل ما تروح...
- تؤمرني يا حاج..

* * *

فضفضت لينا مع صديقتيها هاجر ومادلين حتى شعرت ببعض الراحة واستمعا لها بإنصات وملامح وجههما متأثرة جدا وقالت لها هاجر:

- سيبي البيت يا بنتي وامشي أنا مش فاهمة إيه اللي مخوفك!!... أنا قلت لك كده كذا مرة....

- مش عارفة يا هاجر كل ما بتيجي لي الفكرة بحس كأني متقيدة كده كأن الخوف رابطني بحبل... وبعدين إيجارات الشقق بقت غالية وعلشان ألاقي حد يرضى يسكن بنت لوحدها لازم مناطق معينة الإيجارات فيها غالية قوي وانا اللي بقبضه ما بيكفيش

- ماهو علشان بتاخد منك نصه

- حتى لو... برضه مش هينفع أسيبها من غير فلوس خالص

- يا ستي ما حدش قال لك كده المهم امشي وبعدين ابقي بعتي لها وإيجار الشقة يتدبر لما تبقي لوحدك هتعرفي تفكري أحسن وهتهدي وذهنك هيبقى أصفى وترتبي أمورك

- - برضه يا هاجر كمان بنت تعيش لوحدها في بلدنا دي حاجة مش سهلة خالص... نظرات الناس ليها والقرف ده كله

obeikandi.com

قالت مادلين:

- يا لينا ما هي على طول بتتخانق معاكي وصوتكم بيطلع بره وفي أوقات متأخرة... تفتكري الناس بتبص لك ازاي؟!! حتى لو ما بيتكلموش في وشك مش هنضحك على بعض ما هي هي... على الأقل في شقة لوحدك هترتاحي من الصداع والضغط النفسي ده كله

ردت عليها لينا:

- بس مهما كان دول جيراني من زمان وعارفينا وأخدوا ع الوضع ده ومش جديد عليهم...

قاطعتها هاجر:

- وضع إيه!! مش فاكرة لما جريت وراكي مرة بالسكينة وزنقتك في البلكونة وقمتي ناطة منها ولولا إنكم في الدور الأول كان زمانك مش قاعدة معانا دلوقت!!... دي ست مجنونة ما تزعليش مني واللي يخليها تعمل كده مرتين تلاتة يخليها تعمل كده رابع وخامس وسادس كمان ومين عالم إمتى هتعملها تاني وساعتها هتيجي سليمة ولا هتروحي مننا؟!!! ما تبقيش سلبية يا لينا إنتي بتشتغلي وبتصرفي على نفسك بقالك سنين وبتعرفي تتعاملي وبتوقفي كل واحد عند حده جوه شغلك وبره شغلك كمان إنما في البيت مستسلمة لإنك تبقي ضحية مش عارفة ليه؟!!!

صمتت لينا وهي تتذكر بحزن ذلك الموقف الذي حكته هاجر فقد تعودت أن تتناسى لكي تستطيع أن تكمل حياتها دون أن تفقد عقلها وشعرت هاجر بالإحراج لذكرها هذا الموقف دون أن تقصد فقالت لها وهي تربت على يدها:

obeikandl.com

– أنا آسفة يا لينا لو فكرتك بحاجة ضايقتك بس والله ما اقصدش إنتي عارفة... أنا بس خايفة عليكي بحكم إني عشت معاكي كل الحاجات دي... إحنا صحاب من واحنا عيال صغيرة...

ابتسمت لينا وربتت على يدها بدورها فقاطعتهما مادلين:

– يعنى وبعدين هو احنا متقابلين علشان نقلبها دراما؟؟

نظرت لها لينا وسألتها متعمدة تغيير الموضوع فهي لا تريد أن تغوص في ذكرياتها الأليمة أكثر من هذا:

– عاملة إيه يا مادلين؟ وطارق عامل إيه؟

– طارق اتجنن وهيقول لأبوه على كل حاجة النهارده

شهقت كل من لينا وهاجر وقالت لينا:

– يا خبر!! طب وبعدين؟؟؟

– ما اعرفش بقى إيه اللي هيحصل بس هو مصر إن الموضوع لازم يبقى في النور ما ينفعش يفضل مستخبي أكتر من كده

– أنا خايفة عليكم قوي يا مادلين... إنتي فاهمة يعني إيه اللي هو هيعمله ده؟!! يعني أكيد باباه هيتصل بباباكي... أهاليكم انتم الاتنين عارفين بعض كويس ومسلم ومسيحية مع بعض في مجتمعنا ده.... إنتي فاهمة قصدي طبعا

– فاهمة يا لينا بس هنعمل إيه بقالنا كتير بنتقابل في السر وبنخرج في السر وبنعمل كل حاجة في السر ومن حقنا نحب بعض في النور زي أي اتنين بيحبوا بعض!!...

oberkamal.com

نظرت لينا لهاجر التي قالت وهي تأخذ رشفة من العصير أمامها:

- بتبصي لي ليه يعني هقول إيه مثلا!!... رايحين في داهية رايحين في داهية ما فيهاش كلام كتير

نظرت لها مادلين وقالت وهي عاقدة حاجبيها:

- هو انتي لسانك ده بينقط دبش كده طول الوقت؟!!

ضحكت هاجر قائلة:

- طب خلاص ما تزعليش أهاليكم هيوافقوا وهياخدوكوا بالحضن وهيعملوا لكم فرح في الفورسيزونز

ضربتها مادلين في كتفها ضربة خفيفة وهي تقول:

- يا غلسة

ضحكت لينا ونظرت إلى ساعتها ثم قالت لهم:

- أنا لازم أمشي يا دوبك الحق الشغل

قالت لها مادلين:

- طب نيجي معاكي نسمع شوية مزيكا... إيه رأيك يا هاجر؟

- يلا بينا واهو يبقى أحسن من القرف والمآسي اللي عمالين تحكوهالي دي

ضحكوا الثلاثة وضربوا هاجر بحقائب أيديهم....

* * *

وقفت ريم أمام باب عيادة الدكتور (سيف) النفسية وترددت قليلا وعادت إلى المصعد ثم توقفت مرة أخرى واتخذت قرارها وعادت لتدخل العيادة لتبتسم في وجه السكرتيرة الجالسة على مكتب الاستقبال وقالت:

obeikandl.com

- عايزة أحجز لو سمحتي

- ٢٠٠ جنيه يا فندم

دفعت لها ريم فقد كان اليوم هو أول مرتب تحصل عليه من عملها وقررت أن تستمع لنصيحة سوزي وأشارت لها السكرتيرة أن تجلس فما زال أمامها نصف ساعة... جلست ريم لتنظر حولها... المكان هادىء وإضاءته خافتة ولا يمتلىء بالمجانين كما كانت تشاهد في الأفلام... تشعر بالتوتر وتفكر ماذا ستحكي له؟؟؟ وما الذي سيطلبه منها؟؟؟ وهل كل ذلك سيجدي نفعا؟؟ هل سيمحو حقا ما فعلته بها السنون والأيام؟؟؟ قاطعت أفكارها السكرتيرة وهي تقول لها:

- اتفضلي حضرتك الدكتور في انتظارك

طرقت ريم الباب لتستأذن في الدخول رغم أن الباب كان مفتوحا ليبتسم لها سيف مشيرا إلى مقعد أمامه وهو يقول:

- أهلا وسهلا اتفضلي

جلست على المقعد نصف جلسة ونظرت إلى سيف نظرة فاحصة لوجهه يبدو في بداية الخمسين على قدر من الوسامة يتخلل شعره الكثير من الشعيرات البيضاء المختلطة بالسوداء في تناسق يعطيه وقارا ويرتدي نظارة بيضاء متماشية مع لون بشرته السمراء وملابسه البسيطة ولكنها مهندمة... ابتسم لها وأخرج سيجارة من علبته ليقدم لها واحدة فأخذتها منه شاكرة إياه فمد لها يده بالولاعة ليشعل لها سيجارتها ثم أشعل سيجارته قائلا:

obeikandl.com

- إيه بقى الحكاية يا ستي بتشتكي من إيه؟

- ولا حاجة

ضحك ضحكة صغيرة وقال:

- طب عال قوي... أُمال إيه اللي خلاكي تيجي لدكتور نفسي؟!

- سوزي صاحبتي هي اللي قالت لي أجي لك

نظر لها متسائلا فأكملت:

- سوزي زميلتي شغالين مع بعض في جيمانيزيوم اسمه بلو جيم وهي قالت إنها تعرفك وجابت لي رقمك من مامتها

بدا عليه التذكر فجأة فقال:

- آآآه سوزي... عرفتها... طب وقالت لك كده ليه؟؟

- حكيت لها شوية حاجات عني فنصحتني أجي لك وقالت لي عليك دكتور شاطر وهتساعدني

ضحك من أسلوبها وقال:

- والله موضوع دكتور شاطر ده مش عارف... إنما انتي ممكن تحكي لي لو عايزة ونشوف نقدر نعمل إيه وما نقدرش نعمل إيه

ابتلعت ريقها من التوتر... فنهض سيف من مكانه وسألها:

- بتحبي المزيكا؟

- أيوه

اتجه نحو اللاب توب ليقوم بالبحث عن أغنية وهو يقول:

obeikandl.com

- أنا أصلي بسمع مزيكا عجيبة شويتين ما اعرفش بقى هتعجبك ولا إيه

وخرج من الجهاز صوت (Diana Krall) تغني (body & soul)

قالت ريم:

- حلوة المزيكا دي أنا كنت بحب الJazz قوي وانا صغيرة بس ما بسمعوش كتير دلوقت...

- طب كويس قوي... يبقى اللي بسمعه هيعجبك... بلدنا أصلها مليانة دوشة طول الوقت ومزيكا وحشه قوي وللأسف معظم الناس بقت بتحب الدوشة دي فاتعودت إنهم بيسغربوا اللي بسمعه... والدتي كانت مدرسة بيانو في الكونسيرفوتوار هي بقى اللي عملت فيا كده ربنا يسامحها

- ليه كده بس دي عملت معاك حاجة كويسة... يا بختك فيه ناس ملقوش أمهات زيها...

- نظر لها نظرة متفحصة بعد جملتها لكسر من الثانية ثم ضحك حتى لا تلاحظ نظرته وقال:

- يعني لو كانت ما سمعتنيش الحاجات دي وانا صغير مش كان زماني دلوقت بني آدم طبيعي زي باقي الناس وبسمع مهرجانات عادي

ضحكت ريم وقالت:

- وهما اللي بيسمعوا المهرجانات دول طبيعيين؟؟ دول أكيد عيانين طبعا

- للأسف اللي طبيعي دلوقت قليل وهو اللي بيبقى غلط وبيتقال عليه مش طبيعي واللي أكتر حتى لو عيان بقى هو الطبيعي... المفاهيم كلها

obeikandi.com

معكوسة... والناس في مجتمعنا بيهاجموا المختلف طول الوقت علشان بيفكرهم بإنهم شبه بعض وهما مش عايزين يحسوا بده ولا يعترفوا بيه

– عارفة اللي انت بتقوله ده كويس قوي وعشت فيه سنين طويلة

شعرت ريم بالراحة في الكلام رويدا رويدا وبدأت تسترسل في أحاسيسها بالاختلاف وكيف بدأت معها منذ البداية والطفولة حتى لحظة دخولها عيادته... أنصت لها سيف جيدا بكل انتباه دون أن يبدي أي رد فعل بملامحه أو حتى بجسده فقط إنصات تام حتى انتهت من كلامها وفوجئت بدمعة تسقط من عينيها فابتسم سيف ابتسامة غامضة فور رؤيته للدموع وسحب منديلين من على مكتبه وأعطاهما لها ثم أشعل سيجارة أخرى وسألها:

– إيه الأدوية اللي انتي قلتي إنك بتاخديها؟

أخبرته بأسماء الأدوية والمهدئات فقال:

– الأدوية دي عليها عامل كبير في الأحلام اللي بتيجي لك وحالة الاكتئاب المستمرة معاكي... ده غير إنهم إدمان يعني مزاجك بقى معتمد عليهم علشان يبقى مظبوط

صمت لحظات وأمسك من أمامه ورقة كتب عليها اسما لدواء وقال لها مكملا:

– الدوا ده امشي عليه بانتظام... حباية واحدة كل يوم بليل هيساعدك في النوم كمان وعايزك تقللي الأدوية اللي بتاخديها بالتدريج يعني لو بتاخدي

obeikandl.com

النهارده حبايتين بكرة خليهم حبايتين إلا ربع ونفضل نقلل ربع في ربع لحد ما نوقفهم خالص...

ثم سحب من درج المكتب ثلاث ورقات وأعطاهم لها قائلا:

- دول شوية أسئلة عايزك تتسلي وتجاوبيهم وهشوفهم المرة اللي جاية الأسبوع اللي جاي في نفس المعاد

- خلاص كده؟!!

ابتسم قائلا:

- أيوه خلاص كده

كانت تتوقع أن يتحدث معها فيما حكته ولكنه لم يفعل ولم يبد حتى أي دهشة لما سمع وظل وجهه هادئا كما كان قبل أن تحكي...!!... شكرته وقبل أن تنصرف ترددت قليلا ثم قالت له:

- معلش يا دكتور سؤال أخير... هو ال ٢٠٠ جنيه دول بيتدفعوا في كل مرة باجي فيها؟

- لأ.... أول مرة بس

شكرته مرة أخرى وانصرفت ونادى سيف على السكرتيرة وما أن دخلت حتى قال لها:

- لو الأستاذة ريم اللي لسه ماشية جت في ميعادها الأسبوع اللي جاي ما تاخديش منها حق الجلسة...

* * *

obeikandi.com

أمضى نادر ستة أشهر كاملة في تلك المستشفى التي أخذه إليها وائل.... كان قد أنهى المدة التي يحتاجها منعزلا عن الحياة كما أخبره وائل في بداية الأمر... وقف أمام باب المستشفى هادئا وقد بدت على وجهه علامات الصحة وزاد وزنه إلى حد ما وتبدو نظرات عينيه ساكنة وهو يضع يديه في جيوبه وينظر للسماء والنجوم فقد كانت الليلة جميلة فالسماء صافية وهناك نسمة هواء لطيفة يشعر بها تمر من بين خصلات شعره فتسري في جسده قشعريرة تجعله يغمض عينيه مبتسما وهي تدغدغه... انتبه على صوت وائل يأتي من ورائه حاملا كوبين من القهوة ومد يده لنادر بأحدهما ووقف بجواره ينظر بدوره للسماء وأشعل سيجارة وظل صامتا للحظات ثم نظر لنادر مبتسما وهو يقول:

- مش جاي لك نوم خالص هاه ؟؟

ابتسم نادر واستدار ليجلس على مقعد وراءه ممددا قدميه أمامه واستدار وائل هو الآخر ليستند على السور ووضع القهوة بجانبه وألقى سيجارة من علبته لنادر ليتلقفها ويشعلها لنفسه ثم قال لوائل:

- بصراحة يا وائل خايف.... خايف أخرج للدنيا والناس والشوارع.... حاسس إني تايه ومن كوكب تاني مش من هنا... مش عارف أنا كنت فين ولا رايح فين.... تعرف؟؟... أنا نفسي أفضل في المستشفى هنا على طول...

- أنا كنت في نفس مكانك ده بالظبط من عشر سنين وبرضه ما كنتش عايز أمشي... صحيح الخروجات القصيرة اللي كنا بنخرجها في آخر شهر بتقلل الصدمة شوية بس ما بتمنعش الخوف لازم تحس بيه... بس كمان لازم تواجهه...

– وابويا... مش عارف أتعامل معاه ازاي... وبفضل أتخيل مشاهد هتحصل بيني وبينه وكلها من خيالي مش حقيقية... بس بتخليني أخاف أكتر...

– أبوك يا نادر عارف إنك مبطل... أنا يمكن ما قولتلكش قبل كده بس هو كان بيدفع حساب إقامتك هنا آخر تلات شهور... لما اتكلمت معاه هو اللي قرر يدفع من نفسه رغم إن أول ما قعدت معاه وقلت له نادر في المستشفى وانا المعالج بتاعه قال لي أنا مش دافع ولا مليم لو ده اللي انت جاي علشانه بس بعد شوية من القعدة والكلام هو اللي قال لي لوحده أنا هدفع...

نظر نادر إلى السماء مرة أخرى حائرا فابتسم وائل وقال:

– أنا مش بقول لك الكلام ده علشان تتعامل معاه بشكل معين أو أغير من مشاعرك.... خالص أنا بقول لك كده علشان كان لازم تبقى عارف... وعموما أبوك ساب لك البيت وقاعد في شقة اسكندرية وهيجي لك أول كل شهر برضه يدي لك الفلوس اللي كنت بتاخدها زي ما هي... إنت مش مضطر إنك تشغل بالك بالقصة دي دلوقت وخد وقتك فيها... اهتم أكتر بتبطيلك وازاي تحافظ عليه....

– يا وائل أنا مش عارف أقول لك إيه على كل اللي انت عملته معايا ده... أنا عمري ما كنت أصدق إني ممكن أبطل بجد...

ابتسم وائل ابتسامة دافئة وقال:

– أنا ما عملتش حاجة أنا عملت معاك نفس اللي اتعمل معايا بالظبط أول ما رجعت من الحرب من عشر سنين فاتوا... الحقيقة إن انت اللي عملت كل حاجة... إنت اللي كنت راجل مع نفسك... أهم حاجة زي ما قلت لك قبل كده

obeikandl.com

الاستمرارية.... ست شهور تبطيل حاجة عظيمة قوي بس إن احنا نكمل مبطلين ونواجه الدنيا بحلوها ومرها ونفضل مبطلين هو ده الأهم بكتير واللي هيساعدك على كده ال (NA) زمالة المدمنين المجهولين اللي كلمتك عليها من شهر... الزمالة دي ساعدتني أول ما اتخرجت من المكان العلاجي اللي كنت فيه وبرضه كنت عامل نفس الست شهور اللي انت عاملهم دلوقت وساعدتني إني أفضل مكمل مبطل لحد دلوقت... هتلاقي ناس كتير هناك شبهك بيعافروا علشان يفضلوا مبطلين وهيقفوا جنبك لو انت بس اديت لنفسك الفرصة إنهم يساعدوك... روح بكرة أقرب اجتماع ليهم من بيتك وشوف في الجدول اللي اديتهولك وجرب مش هتخسر حاجة صدقني... وأنا دايما هتلاقيني جنبك وفي ضهرك لو احتجتني...

نظر له نادر وكأنه يريد أن يسأله عن شيء ما ولكنه تردد وظهر علي وجه وائل ابتسامة تدل علي أنه يعلم بما يدور في تفكيره فقال له:

- رشا لسه بتضرب يا نادر... ابعد عن أي حد بيضرب أو له علاقة بالضرب وبالماضى ده... ده أساس الموضوع كله...

أومأ نادر برأسه موافقا ولم يندهش لمعرفة وائل بما يدور في عقله فليست المرة الأولى خلال الستة أشهر الماضية فلطالما كان يشعر به ويساعده... استعد وائل للمضي وهو يقول:

- أنا همشي بقى علشان الوقت اتأخر... خلي بالك من نفسك... تصبح على خير..

نهض نادر من مكانه احتراما له رغم أن فرق العمر بينهما ليس بالكبير وهو يقول:

obeikandi.com

- وانت من أهله

اتجه وائل إلى سيارته وتحرك مبتعدا وهو يلوح لنادر بيده... عاد نادر بعينيه للسماء وكأنه يحاول كشف غموض حياته القادمة ثم دخل إلى المستشفى ليعود إلى غرفته...

* * *

نادى محمود على نرمين بصوت واهن فجاءته نرمين مسرعة وهي تحمل في يدها كوبا من الماء لتحمل رأسه فوق كفها وتساعده كي يبتلع دواءه ثم تريح رأسه على الوسادة برفق مرة أخرى وتقبل جبينه وتحاول أن تخفي نظرات الحزن في عينيها عليه وعلى قلبه الذي لم يحتمل رحيل أمها فانهار وجعله طريح الفراش هو أيضا... لملمت بعض علب الأدوية الفارغة وبعض المناديل المستعملة لتعود بهم إلى المطبخ وتلقي بهم في الزبالة وتأتيه بمشروب ساخن ولكنه استوقفها قائلا بصوت ضعيف من أثر المرض:

- استني يا بنتي عايز أتكلم معاكي شوية

وضعت نرمين ما بيدها مرة أخرى وجلست بجانبه واعتدل هو في جلسته بصعوبة وهي تساعده ونظر إلى وجهها لحظات ليتأمل ملامحها وابتسم ابتسامة مليئة بالدفء وبادلته نرمين الابتسامة قائلة:

- إيه يا بابا... بتبص لي كده ليه كإنك أول مرة تشوفني؟

- عايزك تسمعيني كويس يا نرمين... أنا أول مرة شوفت فيها ملامحك بعد ما اتولدتي على طول وانتي في إيد أمك الله يرحمها وبتصرخي من العياط حسيت إن قلبي ما بقاش قلبي وإنه فجأة بقى بيدق مش علشان أعيش إنما بيدق

علشان انتي تعيشي.... حسيت إن الحياة كلها اللي أنا عيشتها قبلك ما كانش ليها أي لازمة لحد بس لما انتي جيتي الدنيا... حبيتك انتي وامك أكتر من أي حاجة تانية في الدنيا حتى أكتر من نفسي... ما كانش عندي أي أمل في الحياة غير إني أشوفكم مبسوطين ومرتاحين واكون مطمن عليكم... كنتم كل دنيتي... أول مرة شوفتك دماغي وعقلي وتفكيري لوحدهم بقوا شغالين علشانك وما بقاش تفكيري لنفسي... كله كان في إني ازاي أخليكي مش محتاجة حاجة من حد... ما كانش عندي أي لحظة ممكن اتردد فيها إني أجوع بس تبقى شبعانة أو أمشي عريان بس انتي تلبسي اللي نفسك فيه... أموت وانتي وامك تعيشوا... لو كنت أقدر آخد من أمك مرضها وتفضل هي عايشة سليمة كنت عملت كده عن طيب خاطر لكن ربنا كان له حكمه وحكمته إني أنا اللي أدفنها الأول... أنا يا بنتي ظلمتك من غير ما اقصد... شغلتي في البار وسط الناس السكرانين خلتني أشوف حاجات كتير قوي وناس أشكال والوان وخلتني أخاف عليكي... شوفت بنات كتير من سنك ضاعوا في الدنيا وتاهوا بسبب أهاليهم... كل ده خلاني أتصور إني لما أحاوطك زيادة وأقفل عليكي هحميكي من الدنيا ومن غدرها ومن الوجع ومن المستقبل... بس من غير ما اخد بالي بنيت حواليكي سور والسور ده خلاكي ضعيفة... اوعى تفتكري إني ما اعرفش كل الكلام اللي كنتي بتحكيه لأمك الله يرحمها عن جيراننا والكلام اللي بيلقحوا بيه عليكي واتوجعت زيك بالظبط ويمكن أكتر لإني دايما كنت بحس إن أنا السبب في ده وشغلتي هي السبب... بس مش كلامهم هو اللي وجعني لإني عارف كويس إن كلهم قلوبهم مليانة بالحقد والغل إنما اللي وجعني هو إنك اتأثرتي بيه جامد وما

عرفتيش ولا مرة تدافعي عن نفسك بقوة.... كلامهم ووحاشة قلوبهم خلوكي تدبلي وتعب أمك هد حيلك ودلوقت كمان تعبي... أنا السبب يا بنتي واللوم كله عليا أنا اوعى تلومي نفسك أبدا.... أنا اللي غلطت لما ما سيبتكيش تربي ضوافر في صوابعك تخربشي بيها وقصقصتهالك بنفسي علشان أشوفك جميلة... كنت أناني... صحيح انتي بقيتي جميلة وأجمل كمان مما كنت أتصور بس كان لازم أسيب لك ضوافرك علشان تدافعي بيها عن نفسك وكان لازم أسيبك تروحي وتيجي في الدنيا وتعرفي تبقي قوية وتقفي في وش الناس... إنما السور اللي بنيته حواليكي كان أكبر غلطة غلطتها في حقك... أنا آسف سامحيني يا بنتي...

كانت عينا نرمين تنهمر منها الدموع وهي تحتضنه بكل كيانها قائلة

– أنا بحبك قوي يا بابا... بحبك أكتر من روحي... إنت وماما الله يرحمها كل حياتي... وأهم حاجة عندي في الدنيا وما يهمنيش أي حاجة تانية.... إنت أحسن وأحن أب في الدنيا...

– أنا خايف عليكي قوي... هتعملي إيه بعد مني وهتعيشي ازاي مع الناس دي... الناس بقوا عاملين زي الحيوانات المفترسة بياكلوا بعض ويمكن كمان بقوا أوحش منهم بياكلوا بعض من غير حتى ما يجوعوا!!... خايف عليكي قوي بعد ما اموت...

– بعد الشر عليك ما تقولش كده... ما لوش لازمة الكلام ده

– سميرة وحشتني قوي وحاسس إني هشوفها قريب وهمسك إيديها تاني واحضنها... إمبارح حلمت بيها... كانت زي القمر زي أول يوم شفتها فيه...

obeikandi.com

شعرت نرمين بالخوف وقاطعته قائلة:

- إنت لازم ترتاح شوية زي ما الدكتور قال علشان قلبك... كفاية كلام كده النهارده وحاول تنام شوية

ساعدته على الاستلقاء وقامت بتغطيته جيدا وقبلت جبينه قائلة بابتسامة مختلطة بنظرات عينيها التي تهتز من بقايا الدموع

- تصبح على خير يا حبيبي...

* * *

أخذ سامح يقلب في أوراق أمامه من ملف عمر وتوقف عند بعض المعلومات الخاصة بدراسته في كلية العلوم وترك الأوراق ليعود بظهره للوراء ويهتز بالكرسي يمينا ويسارا في مكتبه ثم طرق الباب ليدخل منه الأمين مجدي فيؤدي التحية العسكرية ونظر إليه سامح للحظات دون أن يتكلم فتوتر مجدي ثم سأله سامح:

- ما فيش أخبار يا مجدي؟

- يا باشا الواد الأرض انشقت وبلعته بعد اللي عمله مع الأمين مسعد ومش عارفين له أثر...

نهض سامح من مكانه ووقف ينظر من نافذة مكتبه للخارج في هدوء مريب وزاد توتر مجدي واستدار سامح لينظر إليه قائلا:

- بذمتك مش مكسوف من نفسك انت وباقي التيران اللي معاك؟!!.. يعني مش بس ما عرفتوش تراقبوه لأ ده علم على واحد فيكم كمان.. أنا ولا كأن شغال معايا شوية نسوان...

obeikandi.com

نظر مجدي للأرض محرجا... أخذ سامح طبنجته ووضعها في حزامه ومفاتيحه وتوجه خارجا من المكتب تاركا مجدي وراءه... ركن سيارته في جراج الجامعة التي كان يدرس بها عمر وتوجه نحو مكتب عميد كلية العلوم واستوقفه موظف يجلس على مكتب بجانب مكتب العميد قائلا:

- أيوه يا أستاذ حضرتك رايح فين؟

نظر له سامح قائلا بوجه بارد:

- داخل للعميد

- وهي وكالة من غير بواب!! نقول له مين الأول؟

- قول له الرائد سامح زيدان من أمن الدولة

انتفض الموظف من مقعده وأسقط الأوراق التي أمامه من الارتباك والخوف واتجه مسرعا نحو مكتب العميد وهو يقول:

- أنا آسف يا فندم... لحظة واحدة حالا هبلغه... نص لحظة بالظبط

لم تمر بالفعل لحظات حتى خرج وفتح الباب لسامح وهو يقول له رافعا يده بجانب رأسه:

- اتفضل سيادتك

دخل سامح ليجد العميد واقفا في استقباله وراء مكتبه وملامح وجهه متوترة وهو يشير إلى المقعد أمام المكتب قائلا:

- أهلا وسهلا يا فندم اتفضل

جلس سامح على كرسي آخر غير الذي أشار إليه العميد وهو يقول:

obeikandl.com

- أهلا بيك يا دكتور

- خير يا فندم؟

- خير يا دكتور..

أشعل سامح سيجارة رغم اليافطة الواضحة تماما على المكتب ومكتوب عليها (ممنوع التدخين) ولم يبد العميد أي اعتراض وأكمل سامح كلامه:

- دفعة ٢٠٠٠.. كان فيها طالب اسمه عمر شوقي محمد السعيد... عايز كل المعلومات اللي عندك عنه وكل المعلومات اللي تخص الدفعة دي سواء ورق أو صور....

- طبعا يا فندم حالا

رفع العميد سماعة الهاتف بجانبه ليتصل بشؤون الطلبة قائلا:

- أيوه يا ذكريا... هات لي كل الملفات والصور اللي عندك اللي تخص دفعة ٢٠٠٠ واطلع لي بيها حالا وأي ملف عندك أو معلومات عن طالب من الدفعة دي كان اسمه عمر شوقي آآ...

ونظر لسامح ليذكره بالاسم فرد عليه سامح بهدوء

- محمد السعيد

- عمر شوقي محمد السعيد يا ذكريا.... أيوه يا سيدي كل حاجة عندك في الأرشف وبسرعة...

وضع سماعة الهاتف مكانها واعتدل في مجلسه ليعدل من ربطة عنقه وكأنها تخنقه وهو ينظر لسامح في توتر ورسم على وجهه ابتسامة لزجة قائلا:

obeikandl.com

- - هو ما له الواد ده يا فندم؟؟ عمل إيه؟

كان سامح يقلب في هاتفه وقال له وهو ينظر إليه بكل برود:

- بشربها مظبوط.. بشرب القهوة مظبوط

كاد أن ينفجر وجه العميد من التوتر واندفاع الدم في رأسه وهو يطلب له القهوة ويطبق فمه تماما...

* * *

لم تقدر لينا على أن ترفض طلب طارق في مقابلتها وأن يمر عليها بعد عملها ليتحدث معها قليلا... فقد أخبرها أنه في أشد الاحتياج لذلك... ورغم أنها تشعر بالإرهاق الذهني والروحي ولم تعد قادرة على الاستماع لأحد أو إلى أي شكل من أشكال المساندة فحياتها كافية جدا بما يملؤها من مشاكل وإزعاج وضجر... رغم شعورها بأنها مثقلة من الداخل وأن أذنها تكاد تكون مغلقة وقلبها أصبح غير قابل لاستقبال أية مشاعر خارجية فهو ممتلئ على آخره ولكن... هي لا تملك غير هؤلاء الأصدقاء الثلاثة ونرمين... رغما عنها لا تستطيع أن ترد سؤالا لأي منهم أو أن لا تلبي احتياجا لهم منها... لن تحتمل شعورا بالذنب أو بتأنيب الضمير وسط كل ذلك الفيضان من المشاعر بداخلها... وصل طارق للمكان الذي تعمل به في تلك الليلة قبيل انتهائها وما أن رأته حتى ابتسمت له ابتسامتها الطيبة المعتادة وأومأت له أن يجلس على منضدتها فقد كانت تتحدث مع شخصين وعندما أنهت حديثها أشارت له أنها ستذهب للحمام سريعا وتعود لينصرفوا... خرجا معا وركبا تاكسي واتجها إلى أقرب مقهى هادئ يعمل في تلك الساعات المتأخرة وسألته بعد أن جلسا:

obeikandl.com

- عامل إيه يا طارق؟

- والله يا لينا مش عارف أقول لك إيه بالظبط ولا أعبر ازاي عن اللي جوايا بس كل اللي أقدر أقولهولك إن أبويا طردني...

- طردك!! إزاي؟

- أول ما قلت له ع العلاقة اللي بيني وبين مادلين اتعصب جدا وزعق جامد وقالي انت بتقول إيه وازاي تعمل كده!! وقعدت أقول له ازاي إيه!! وانا عملت حاجة غلط؟!! أنا بقول لحضرتك إني حبيتها وما توقعتش إن دي حاجة تضايقك للدرجادي خصوصا إنك عارفها وعارف أبوها وصاحب عمرك ومامتها صحابة ماما أنا ما بتكلمش عن حد غريب ما تعرفوش!!... تخيلي يا لينا يرد يقول لي إيه؟؟... قال لي إني مش من حقي الحب ده وإني ضحكت عليها وما ينفعش ده يحصل لإن دي علاقة محكوم عليها بالفشل!! زي ما يكون احنا بنختار نحب مين وما نحبش مين!! ولما سألته ليه؟ قال لي انت بتستهبل!! وانت يعني مش عارف؟؟!! قلت له علشان هما مسيحيين واحنا مسلمين صح؟ قال لي أُمال انت شايف حاجة تانية غير كده؟!! قلت له بس يا بابا ده صاحبك وعمو سمير بالنسبالي زي حضرتك بالظبط وطنط ماري زي ماما وطول عمرنا كده!! إيه يعني هما مسيحيين وهما مسلمين أنا مالي أنا ومادلين مش فاهم؟؟

توقف طارق عن الكلام للحظات اقترب فيها النادل ليسألهما عما يريدان أن يشربا وأعطاه كل منهما اختياره سريعا ثم عادت لينا بنظرها لطارق قائلة:

obeikandl.com

- وبعدين... كمل يا طارق..

- قال لي يا ابني انت فاكرنا عايشين في أوروبا؟ إحنا في مصر واللي انت بتقول له ده ما ينفعش يحصل وبعدين انت مش عيل صغير بشورت علشان أفهمك!! إنت مهندس وراجل كبير بغل!! يعني المفروض تكون فاهم لوحدك الكلام ده إنما انت بتستهبل وضحكت ع البت ومليت عقلها بكلام فارغ وجاي دلوقت تحطنا قدام الأمر الواقع وتودينا كلنا في داهية!!! قولت له:

- أوديكم في داهية!! هو الحب يودي في داهية؟!!

- حب إيه ونيلة إيه!! هي من دين وانت من دين!! إنت حمار ليه ومش فاهم؟!!!

- طب ولو كانت أجنبية كنت هتوافق؟

تأفف الأب ثم قال:

- الأجانب حاجة واحنا حاجة... إحنا هنا في مصر واللي انت بتقول له ده يحبسك ويفتح علينا نار جهنم والهبل اللي بتعمله هيقضي على أسرتين وممكن يتشردوا طول عمرهم وتقول لي حب وشغل عيال صغيرة!!

- الحب مش شغل عيال صغيرة أنا مبأذيش حد

- لا انت بتإذينا كلنا... أنا وامك وبتإذي مادلين كمان وابوها وامها... ده اسمه استهتار وقلة عقل..

- طب سؤال يعني حضرتك ما عندكش مانع في إني حبتها بس المشكلة في المجتمع؟؟ لو كده سهلة نتجوز ونسافر نروح أي بلد تانية نعيش فيها

obeikandl.com

- ولما تخلفوا عيل هتخلوه إيه بقى؟ مسلم ولا مسيحي؟؟

- مش هتفرق معانا الحكاية دي

- لأ هتفرق إنت لسه صغير ومش فاهم حاجة

- لأ أنا مش صغير أنا كبير وحضرتك اللي لسه قايل كده بنفسك

ثار الأب فجأة وقال لطارق بأعلى صوته:

- بقول لك إيه!! ما فيش حاجة اسمها مسلم يتجوز مسيحية وانا مش موافق على الكلام الفارغ ده ومش هسمح لك تودينا كلنا في داهية ولا إنك تبوظ صداقتي بصاحب عمر والكلام ده تنساه فورا وتصرف عنه نظر خالص وكإني ما سمعتوش

- لأ... أنا آسف يا بابا أنا ومادلين بنحب بعض ومش هنتخلى عن حبنا ده علشان شوية عادات وتقاليد متخلفة ومجتمع جاهل... وما تقولش صاحب عمرك بس لإنه لو صاحبك بجد زي ما بتقول ما كنش هيبقى عندك مشكلة مع دينه وكنت هتفرح لنا وتقف في ضهري في وش الدنيا

- إنت قليل الأدب ولو عايز تنفذ اللي في دماغك ده يبقى لا انت ابني ولا عايز أشوف وشك تاني وتلم حاجتك وتغور بره البيت ده حالا

كانت ملامح طارق كلها منفعلة وقد احمر وجهه من الحزن والغضب وشعرت لينا بالتعاطف والحيرة رغم أن ردوده على والده كانت على وشك أن تجعلها تضحك ولكنها كتمت الضحك لكي لا تحرجه... لم تعرف ماذا تقول له فهو ومادلين صديقيها وتحبهما جدا وتعرف أنهما يحبان بعضهما البعض

obeikandl.com

حقا من قلوبهم ولكنها تعرف أيضا جيدا أن أباه على حق... فهذه العلاقة محكوم عليها بالإعدام في مجتمعنا وقد تؤدي لمشاكل كبيرة بالفعل كما قال له... فآثرت أن تتكلم من ناحية أخرى قائلة:

- طب وانت قاعد فين دلوقت؟

- قاعد عند واحد صاحبي عايش لوحده

- مش عارفة أنا شايفة إنك ترجع البيت وتتكلم مع باباك تاني هو بيحبك وخايف عليك ويمكن لو اتكلمت معاه بطريقة أهدا من كده توصلوا لحل

- مش راجع تاني وهتصرف علشان أتجوز مادلين ونسيب لهم البلد دي ونمشي خالص

- طب ومادلين عملت إيه مع باباها ومامتها؟

- هي كمان هتقول لهم بكرة مش عارف بقى اللي هيحصل بس أنا مش هسمح لحد يإذيها ولا يلمس شعرة واحدة منها إن شاء لله لو هرتكب جناية

كان هاتف لينا يظهر رقم أمها تتصل دون توقف كالمعتاد تحضيرا للشجار اليومي الأبدي عندما تعود فضغطت بإصبعها على الهاتف لكي تجعل رنينه صامتا وهي تقول لطارق:

- طب اهدا بس وتعالى نمشي علشان الوقت اتأخر قوي والنهار قرب يطلع وروح انت دلوقت عند صاحبك وبإذن الله ربنا هيحلها لما نشوف إيه اللي هيحصل مع مادلين

obeikandl.com

– أنا آسف يا لينا أنا عارف إني دوشتك وأخرتك ع البيت وانتي تعبانة من الشغل وفيكي اللي مكفيكي من المشاكل والقرف...

– بس يا ابني بلاش هبل إيه اللي انت بتقول له ده إنتم اخواتي انت ومادلين... يلا بينا وربنا هيحلها ويسترها إن شاء الله...

* * *

أخرج نادر يده من نافذة التاكسي ليداعب بها الهواء ويحاول دفعها للأمام عكس تجاهه وعيناه تتأمل الناس وهم يتحركون في الشوارع وقد اقترب من بيته... عقله لا يتوقف عن التفكير في الذكريات وكأنها صور سريعة تمر رغما عنه وراء بعضها البعض وبدأت الذكريات تصبح أكثرها مشاهد للمخدرات ومواقف مر بها أثناء رحلة التعاطي وكلما مر بجانب مكان كان يتعاطى فيه أو يقابل فيه تاجرا أو يسكن به أحد رفقاء الضرب يجد عينيه تلتفت إليه دون أن يشعر... كل الأماكن مرتبطة معه بالمخدرات... فقد تماما القدرة على التحكم في سيل الذكريات وفي عينيه... أشعل سيجارة محاولا تشتيت ذهنه بأية وسيلة وما أن وصل عند البيت حتى تزايدت ضربات قلبه وتملك منه الخوف... تذكر رشا عندما كانت تأتي معه هنا وأباه وكيف كان يصب عليه غضبه وهو صغير وتذكر كيف استنزفه هو بدوره أثناء سنين الضرب الطويلة وقفز إلى عقله المشهد الأخير بينهما عندما دفعه وسقط أرضا... شعر بقبضة في قلبه واختلطت عليه الأحاسيس ما بين غضب وحزن وغل وندم... مشاعر عكس بعضها البعض وتصدر الخوف وتغلب عليهم جميعا ليسيطر عليه تماما لدرجة أن

obeikandl.com

قدميه لا تطيعانه وتسمر أرضا وكأنما أصيب بالشلل.... أخرج هاتفه من جيبه واتصل بوائل:

- ألو أيوه يا وائل... أنا تحت البيت

- حمد لله على السلامة

- أنا خايف قوي لدرجة إني مش قادر أتحرك من مكاني وخايف أطلع... وعندي أفكار ضرب كتير... عمال أفتكر كل حاجة..

- ده طبيعي يا نادر... ما تتخضش... أبوك كده كده مش فوق وفي اسكندرية زي ما قلت لك... اطلع وانا معاك ع التليفون لحد ما تخش البيت..

ظل وائل يتكلم معه ليشتت انتباهه وتفكيره عن المخدرات حتى دخل البيت وقال له نادر:

- أنا دخلت البيت خلاص

- طيب يلا طلع هدومك من شنطتك ووضبهم في دولابك وروق أوضتك كده وظبطها وخش خد لك دش لطيف وزي ما اتفقنا شوف الجدول وأنهي اجتماع NA قريب ليك وروح احضره وقول لي واقف على باب الأوضة إنك أول مرة تحضر اجتماعات... وكلمني لو احتجت حاجة أنا موجود...

- متشكر يا وائل

- يلا خلي بالك من نفسك

obeikandl.com

أنهى نادر المكالمة وتوقف في منتصف الشقة ينظر حوله... يشعر كأنه يرى البيت لأول مرة منذ سنين طويلة والأغرب أنه يشعر بالجدران وكأنها تتنفس ورائحة البيت!!... كيف نسي تلك الرائحة المميزة إنها تذكره بأمه وبنفسه منذ عشرين عاما قبل أن يغرق في عالم المخدرات... نفس إحساسه عندما شعر لأول مرة في المستشفى برائحة القهوة والهواء والطعام وكأنه طفل صغير يولد من جديد ولم يكن يصدق نفسه... كيف سرق منه الهيروين كثيرا من الحواس؟!!.... دخل غرفته ووضع حقيبته على منضدة قريبة ليتوجه نحو النافذة ويفتحها لينظر خارجها نحو الشارع والحديقة الصغيرة الدائرية التي تتوسط البنايات وذهبت عيناه رغما عنه نحو نافذة غرفة لينا... ترى كيف حالها الآن؟؟... استدار ليرى معالم الغرفة جيدا على ضوء الشمس القادم من النافذة وخيل إليه أنه يرى نفسه طفلا وهو يلعب بعجلته الصغيرة وتدخل عليه أمه من الباب لتخبره أن يترك اللعب ويأتي ليتناول طعام الغداء فيترك عجلته سريعا لتسقط على جانبها ويجري نحو الخارج ويقفز على كرسي أمام منضدة السفرة فينهره أبوه وتأتي أمه لتأخذه في حضنها وتجلسه على قدميها لتجعله يهدأ ويتناول طعامه فيقول لها أبوه:

- خليكي كده دلعيه لحد ما يطلع عيل بايظ

- يا راجل الواد لسه صغير فال الله ولا فالك

يعود نادر لوعيه فجأة ليجد نفسه واقفا في منتصف الصالة ينظر إلى المكان الذي كان به منضدة السفرة قديما وترقرقت الدموع في عينيه وعاد إلى غرفة نومه مرة أخرى واتجه نحو سريره وانخفض على ركبتيه ليمد ذراعه

obeikandi.com

أسفله ويخرج اللوحات القديمة الملفوفة حول نفسها ثم علبة كبيرة لينفض من عليها التراب ويفتحها ويتفقد ما بها من ألوان وأقلام فحم وريشاته القديمة وزجاجات الألوان فيغلقها ويضعها بجانبه في حرص ويمد يده مرة أخرى ليخرج الحامل الخشبي الكبير ويضعه في ركن الغرفة كما كان قديما وينظر إليه ليتذكر نفسه وهو شاب في بداية المراهقة جالسا يرسم وصوت محمد منير يغني من ورائه (بالظبط الشعر اللي بحبه الطول واللون والحرية) ووالدته تدخل عليه تحمل في يدها كوبا من عصير الطماطم الذي كان يعشقه من يدها فيقبل جبينها ويقتحم ذكرياته فجأة أبوه وهو يتشاجر معه ويقذف بقدمه الحامل الخشبي علي الأرض ويعنفه بشدة ويذهب هو نحو الحامل متلهفا ليرفعه من على الأرض ويحتضنه وكأنه يعتذر له عن أي ضرر ألم به من ركلة أبيه... خرج من ذكرياته وهو جالس على طرف سريره ليتنهد تنهيدة حارة... فينهض من مكانه ويذهب نحو شرائط الكاسيت القديمة ويختار شريطا لمنير وينفض التراب المتراكم على الشرائط وعلى جهاز الكاسيت القديم ويضع الشريط ليخرج من الكاسيت صوت منير يغني (شبابيك الدنيا كلها شبابيك والسهر والحكاية والحواديت كلها دايرة عليك والكلام كان كان عليك واللي كان خايف عليك انتهى من بين إيديك دي عينيك شبابيك)... نفض عن نفسه الذكريات واتجه نحو حقيبته ليفتحها ويبدأ في ترتيبها وتوضيب غرفته والاستعداد للاستحمام والذهاب لأقرب اجتماع كما قال له وائل....

* * *

obeikandl.com

دخلت ريم العيادة مرة أخرى في الميعاد كما حدده سيف وعندما رآها ابتسم قائلا:

- إزيك يا ريم.. تعالي اتفضلي

ابتسمت وجلست وهي تقول:

- إزيك انت يا دكتور

- مجيتك تاني في المعاد مؤشر صحي معناه إنك بقيتي أحسن

- الحمد لله... الحقيقة أنا نمت امبارح لأول مرة من كتير قوي من غير أحلام وده اللي شجعني آجي تاني

- كويس قوي يبقى أكيد وقفتي الأدوية

- أيوة أول امبارح كان أول يوم من غيرهم ما عدا الدوا اللي انت كتبتهولي بس

- نهض سيف من مكانه ليجلس على الكرسي المواجه لها أمام المكتب وأخرج من علبة سجائره سجارتين أعطى واحدة لريم وأشعلها لها وأشعل الأخرى لنفسه ونظر لها في عينيها بجدية قائلا:

- بصي يا ريم... عايز أقول لك حاجة مهمة قوي...

انتبهت ريم وأكمل سيف:

- اللي حصل ده مش معناه إن الأحلام والأرق والهلاوس دي مش هتيجي تاني إنما احنا عملنا أول خطوة في العلاج وهي إننا وقفنا مضادات الاكتئاب اللي كنتي بتاخديها واللي كانت جزء من السبب... بس فيه حاجات

obeikandi.com

تانية برضه مهمة قوي ويجوز تكون أهم كمان من الأدوية ولو أهملناها تخلي الانتكاسة تحصل تاني وترجعي تتعبي أكتر كمان من الأول...

سألته ريم:

- إيه الحاجات دي؟

- الحاجات دي بتبقى عايشة جوه دماغنا وأرواحنا ومعششة فيها وبتستحوذ على تفكيرنا وأحاسيسنا من غير ما ناخد بالنا من وجودها... وإننا نقدر نشوفها دي أهم خطوة في العلاج وأصعب خطوة وبعد كده كل حاجة سهلة قوي... بس أنا لوحدي مش هقدر أخليكي تشوفي الحاجات دي هحتاج مساعدتك.. لازم تساعديني إني أخرجها اوريهالك علشان مفتاح باب الاوضة اللي هما فيها معاكي انتي بس مش معايا ولا مع أي حد تاني...

- أنا مش فاهمة قوي موضوع المفتاح ده... بس قل لي أنا المفروض أعمل إيه بالظبط؟

- تثقي فيا

- أنا واثقة فيك طبعا ولو مش واثقة فيك ما كنتش جيت لك تاني

ابتسم في هدوء وعاد بظهره للوراء قائلا:

- لأ... إنتي حاطاني تحت الاختبار بس

توترت ملامحها قليلا فأكمل سريعا:

- عموما مش مهم تثقي فيا حالا لإن ده ما ينفعش يحصل أصلا... بس أنا عايزك تتأكدي من حاجة واحدة... خلال السنين اللي فاتت دي

obeikandi.com

كلها عقلك الباطن خلق طريقة قوية قوي لصد الناس عنك أو عن الدخول لجواكي وحواجز علشان ما يقربوش منك قوي... ودايما كل الناس واقفين ورا أسوار كتير على حسب مسافة كل واحد فيهم منك وانتي عايزاه يقرب لحد فين وكل واحد منهم متخيل إنه جوه منك وما يعرفش إنه بره برضه... فيه سور واحد بس ده اللي وراه الأوضة اللي قلت لك عليها... السور ده أنا وراه وعقلك الباطن مش هيسمحلي أعدي السور ده أبدا إلا في حالة واحدة بس إنك انتي اللي تسمحي لي... بدليل إنه بيحاول يشكك فيا دلوقت وبيقول لك (خلينا نشوف آخره إيه)...

توترت ملامحها أكثر لرؤيته ما يدور في عقلها ولم ترد... ابتسم سيف مرة أخرى وهو يقول:

- الأوضة اللي بقول لك عليها دي يا ريم عالم تاني كبير قوي جوه منك... وعايش فيه أشخاص ممكن يكونوا في الحقيقة ماتوا وممكن يكونوا لسه عايشين وأحداث كتيرة بتحصل جواه... إحنا هنساعد بعض إننا ندخل العالم ده ونخرج الأشخاص دي من هناك وشوية الأحداث اللي بتحصل نفرزها ونشوف مع بعض إيه فيها اللي حقيقي وإيه وهم بس يبان شكله حقيقي... ونوضب الأوضة وننضفها ونرتبها وبعدين نقفلها تاني والمفتاح هيفضل معاكي... وفي أي وقت حبيتي نخرج منها ورفضتي نكمل هنخرج فورا... اتفقنا؟

أومأت ريم برأسها موافقة بحذر فقال سيف مغيرا الموضوع:

- حليتي الورق اللي ادتهولك؟

obeikandl.com

- أيوه

وأخرجت الورق من حقيبتها ولكنه استوقفها قائلا أنا مش عايز أشوفه... أنا هدي لك نفس الورق ده تاني بنفس الأسئلة اللي فيه وانتي ماشية بعد الجلسة بتاعة النهارده علشان تحليه تاني بس المرة دي هتحليه وانتي عارفة إني مش هشوفه ولو تحبي تقطعيه بعد كده كمان براحتك... وفتح درج مكتبه ليخرج ورقة واحدة ليعطيها لها قائلا:

- الورقة دي فيها نسب مئوية وأسئلة عن أحاسيسك تجاه حاجات معينة... كلها صح وغلط بس ما فيهاش تفاصيل... جاوبي على النسب اللي فيها وأد إيه صح وأد إيه غلط وهي دي بس اللي أنا هشوفها... يلا بينا نبتدي الجلسة؟

- ماشي

مد سيف يده ليقوم باختيار أغنية من اللاب توب كعادته فيخرج منه صوت (Norah Jones) تغني (Come away with me) في نعومة وهدوء... وبدأ يحدثها عن ألمها ويجعلها تتذكر أدق التفاصيل التي لم تتحدث عنها في المرة السابقة وتخطتها عمدا أثناء كلامها وبدأ يحدثها عن أمها وتحديدا كل مناطق الوجع التي كانت قاسية عليها واستحضر معها اللحظات المؤلمة التي حاول عقلها الباطن أن يجعلها تنساها واحتفظ بها في أعمق مكان بداخلها أو بمعنى أصح جعلها تظن أنها قد نسيتها ولكنها لم تنسها أبدا فقد تلاعب بها وظل يتحكم فيها لتتعامل بعقلها الواعي بناءا على تلك الذكريات وبناءا على توجيهاته دون أن تشعر وتصبح معظم ردود فعلها في الحياة ناتجة عن تلك اللحظات من خيبات الأمل والصدمات الشديدة والأشياء المخزية

obeikandl.com

والإهانات التي تركت شرخا كبيرا في القلب وحزنا شديدا دفينا... ظل ينبش بداخلها ويساعدها أن تتذكر وتحكي وبكت وكان بكاؤها هذه المرة حقيقيًّا جدا وليس كالدموع التي كانت تسقط منها معظم الأوقات فيما سبق فقد كانت تبكي كحيلة لخداع أحدهم أحيانا وكوسيلة للهروب أحيانا أخرى... ولكن تلك الدموع كانت من أعماق قلبها فقد كانت تبكي من أجل نفسها حقا وشعرت بعدها براحة غريبة... ناولها سيف منديلا وهو يقول:

- كفاية كده النهارده وخلينا نتقابل الأسبوع اللي جاي في نفس الميعاد... امشي على نفس الدوا زي ما انتي بس تلات أيام وتبتدي تاخدي نص قرص بس...

نظرت له ريم وهي تنهض نظرة بها شعور بالاطمئنان وقالت:

- متشكرة يا دكتور

ابتسم لها قائلا:

- خلي بالك من نفسك... مع السلامة...

* * *

طرقت مادلين باب مكتب سمير أبيها وفتحت الباب لتجده واقفا أمام المكتبة الكبيرة الممتلئة بالكتب بعرض الحائط وطوله ممسكا بكتاب ما يقرأ به شيئا ولم ينظر إليها فدخلت لتجلس على كرسي وهى تدعك كفي يديها ببعضهم البعض من التوتر... ترى لماذا طلب والدها رؤيتها والتحدث إليها وحدهما في المكتب؟؟؟ هل عرف بوضعها هي وطارق؟؟ بالتأكيد عرف به فهي لم تستطع أن تبلغه بنفسها كما قالت لطارق لقد جبنت ولم تتمكن

obeikandl.com

من أن تستجمع شجاعتها... خلع والدها نظارته ونظر إليها ثم أغلق الكتاب ليضعه مكانه بكل حرص ثم اتجه نحو كرسي أمامها وجلس واضعا ساقا على ساق يتفحص وجهها وظلت هي تقلب عينيها بين عينيه والأرض.. قال لها بعد لحظات من الصمت حطموا أعصابها تماما:

- متهيألي انتي عارفة أنا ندهت لك ليه هنا لوحدنا؟... صح؟

- علشان موضوع طارق

- عمك حسين كلمني في التليفون وحكى لي كل حاجة... كان بيعتذر لي وبيقول لي إنه ما لوش دعوة بالحكاية دي وما يعرفش عنها حاجة وإن لما طارق قال له طرده من البيت...

ظلت نظرات مادلين حائرة تبحث عن أي كلمات تقولها ولكن الكلام تاه منها من الخوف فأكمل هو:

- أنا ربيتك يا مادلين على الحرية والاستقلالية... ربيت فيكي القوة وإنك تقدري تفكري وتاخدي قراراتك بنفسك من غير رقابة مني وما اعتقدش إني عاقبتك في يوم من الأيام وانتي كمان برضه ما خذلتنيش ولا مرة وما استخدمتيش الحرية دي غلط ودايما كنت بتشرف بيكي وبحس إنك صورتي قدام الناس اللي بتباهى بيها... زمان كان نفسي أخلف ولد لكن لما جيتي الدنيا حبيتك واديتك كل حاجة ممكن تحتاجيها ولما كبرتي حسيت إني كنت غلطان إني اتمنيت الولد لإنك اديتيني الحنية واللي الولد ما كانش هيديهالي... حسيت ساعتها إن مشيئة ربنا ليا كانت أحسن من مشيئتي... تفتكري هتفضلي زي ما انتي عند ظني فيكي ولا هتبقى في الآخر سلاح يكسرني ويخليني أمشي باصص في الأرض؟؟

سالت دموع مادلين ولم تجد أي إجابة تصلح أن تجيبه بها وشعرت كأن عقلها قد توقف عن العمل أمام كلمات أبيها... تأكد سمير من أن كلماته قد وصلت لمكانها داخل قلب مادلين فنهض من مكانه وذهب إلى مكتبه ليأخذ من علبة فخمة عليه سيجارا ليشعله ونفث دخانه في سقف الغرفة لينظر نحو مادلين التي تحاشت نظراته تماما وسألها:

- بتحبيه؟

أومأت برأسها في صمت:

- نمتم مع بعض؟

توترت مادلين ولم تجب فاقترب منها وتوقف خلفها ليضع كفه على رأسها مربتا عليها ليطمئنها مكملا:

- أنا عارف إنك شجاعة وعارف كمان إنك بتثقي فيا وإنك عمرك ما هتكدبي عليا.. إحنا طول عمرنا صحاب وصرحا مع بعض.. نمتم مع بعض؟؟

- مش بالظبط... أنا فيرجين وهو احترم ده جدا وما حاولش ولا مرة يغير من ده... بالعكس يمكن ساعات كمان هو اللي كان بيوقفني علشان يحافظ عليا...

ظهرت على وجهه علامات الارتياح وصمت قليلا يفكر ثم قال لها:

- أنا عايز أشوفه... خليه يجيني...

نظرت له في لهفة وكأنها تتأكد مما يقوله فابتسم لها وهو يقول:

- كلميه خليه يجيني بعد بكرة هنا على الساعة ٦

obeikandl.com

ابتسمت ونهضت لتطبع قبلة على خده وهي تقول:

- حاضر هكلمه حالا... عن إذن حضرتك

ما أن خرجت من باب المكتب حتى تلاشت الابتسامة من على وجه أبيها وانقلبت ملامح وجهه للغضب وأطفأ السيجار في المطفأة وكأنه يسحقه...!!....

* * *

وقف نادر أمام باب غرفة اجتماع زمالة المدمنين المجهولين مترددا وخائفا ولمحه شخص يقف أمام الباب في حيرة فاقترب منه قائلا وهو مبتسم ابتسامة مرحبة:

- تعالى خش في مكان جوه

- أنا أول مره آجي

تهللت أسارير الشخص وأجلسه في أقرب مقعد وأشار لشخص آخر في مقدمة الغرفة يجلس على مكتب يدير الاجتماع ويبدو أنه فهم الإشارة فابتسم الشخص الآخر بدوره وقال:

- فيه حد قاعد معانا بيحضر اجتمعاتنا لأول مرة... عضو جديد؟

فقام نادر من مكانه رافعا يده فربت على كتفه الشخص الأول ليجلس قائلا بصوت منخفض:

- ما تقومش تقف خليك قاعد عادي وقول اسمك الأولاني بس

فنظر نادر نحو المدير مرة أخرى وقال:

- أنا نادر

obeikandl.com

فوجئ بكل الحاضرين يردوا عليه في نفس واحد (أهلا نادر) احمرت أذناه خجلا وشعر وكأن حرارته ترتفع والعرق يزداد على صدره عندما نظروا إليه جميعا ذاكرين اسمه... بدأ المدير يقول له وهو ينظر إليه:

- إحنا زمالة من رجاله وستات مدمنين متعافين اجتمعوا مع بعض علشان يساعدوا بعض للبقاء ممتنعين عن التعاطي لليوم فقط... بنجتمع كل يوم هنا وفي كذا مكان هتلاقي عناوين الأوض بتاعتنا في جدول هيدهولك السكرتير

وأشار للشخص الأول الذي استقبله على الباب ثم أكمل:

- إحنا ما بنتقاضاش أجر وما لناش أي رسوم اشتراك أو مستحقات وأي شخص يقدر ينضم لينا ويكون عضو معانا إذا شاف إنه عنده مشكلة مع المخدرات... إحنا ما بنركزش على الاختلافات اللي ما بينا وبنركز على التشابهات وما يهمناش نوع المخدر اللي كنت بتتعاطاه أو كميته أو مدة التعاطي ولا يهمنا فقرك أو غناك أو دينك أو إلحادك أو لونك أو جنسيتك أو حتى ميولك الجنسية... إحنا ما بنهتمش غير بحاجة واحدة بس إنك عندك مشكلة مع المخدرات وازاي نقدر نساعدك في البقاء ممتنعا...

رحب به مرة أخرى وأشار لجميع الحاضرين ليبدأ كل واحد منهم في ذكر اسمه الأول وفترة امتناعه ليعرفوه على أنفسهم ويعطوه الأمل... ووقعت عينا نادر على ذلك الشخص واندهش عندما رآه فقد ذكر اسمه وقال وهو يبتسم له ويغمز بعينيه:

- أنا سالم مدمن... مبطل خمس سنين وسبع شهور ويومين... برحب بيك يا نادر

obeikandi.com

عندما ذكر اسمه تأكد نادر أنه سالم بالفعل فقد كانوا يتعاطون معا دوما منذ سنين ولكنه اختفى فجأة وكان يظن أنه قد توفي بجرعة زائدة أو سجن... تغير شكله كثيرا... نظراته أكثر هدوءا ووجهه أكثر نضارة وملابسه مهندمة ونظيفة... وبدأ الاجتماع وظل نادر يستمع لكل ما يقرأ ويقال ولا يستطيع أن يفهم معظم ما يقولونه حتى انتهى الاجتماع بدعاء دعوا به جميعا في صوت واحد وهم متشابكي الأيدي (اللّٰهُمَّ امنحنا السكينة لنتقبل الأشياء التي لا نستطيع تغييرها والشجاعة لتغيير الأشياء التي نستطيع تغييرها والحكمة لمعرفة الفرق بينهما)... وتهافت عليه الحضور يسلمون عليه ويحتضنونه مرحبين به بحرارة وكأنهم يعرفونه من قبل!!... لم يعرف لماذا اهتموا به كل هذا الاهتمام ولكنه شعر بقدر من الأمان مطمئن.. وظل يبحث بعينيه عن سالم في وسط الزحام حتى جاءه النداء من خارج الغرفة:

- يا نادر... هنا أهو

نظر ناحية الصوت ليجد سالم واقفا مبتسما له فاتجه ناحيته وهو يقول:

- سالم!! مش ممكن أنا كنت فاكرك مت ولا اتسجنت... إنت لسه عايش يا ابن الحرام!!

ضحك سالم قائلا:

- عايش يا سيدى ومبطل أهو... هو ده عموما اللي كان هيحصل لو ما كنتش بطلت... أنا مبسوط قوي إني شوفتك هنا...

- شكلك اتغير قوي يا سالم... نضفت يلا

ضحك سالم مرة أخرى وهو يتأبط ذراعه قائلا:

obeikandi.com

- يلا بينا نمشي نروح نشرب حاجة ع القهوة واعرفك على باقي الشلة فيه ناس هتتخض لما تعرف إنهم لسه عايشين زي ما حصل لي أول ما جيت برضه وشوفتهم في الاجتماع...

توقف فجأة وكأنه تذكر شيئا فسأله:

- أخدت ياض الميدالية البيضا؟؟

- أيوه الراجل اللي كان واقف على الباب إدهالي هي والجدول

قالها نادر وهو يظهر له الميدالية البيضاء المكتوب عليها مرحبا في يده فضحك سالم قائلا:

- كويس قوي أصل دي عيال حرامية كلها وانا عارفهم كويس

ضحك نادر هو الآخر وهو يقول:

- لسه دمك خفيف زي ما انت الحاجة الوحيدة اللي ما اتغيرتش فيك

- طب يلا بينا يا عم أحسن أنا كده هعيط هههههههه... خلينا نشرب كباية قهوة وتحكي لي بقى الدنيا شكلها إيه معاك...

* * *

- نااادر!!

صرخت فجأة رشا وهي تصحو من النوم لتجد نفسها ممدة على الأريكة تنظر حولها... ليس هناك أحد... يبدو أنها نامت دون أن تشعر من كثرة الضرب وحلمت بنادر... مسحت وجهها وأنفها بكفها واعتدلت في جلستها لتنظر إلى المنضدة أمامها... عليها سرنجة مستعملة وطبق به الهيروين المطحون...

obeikandl.com

أصبحت تتعاطى عن طريق الحقن منذ رحيل نادر... أمسكت بالسرنجة في يدها وسرحت بأفكارها... تذكرت والدها وهو يدق الباب فتذهب هي مسرعة لتقف على أطراف قدميها الصغيرتين لتستطيع أن تصل بيديها إلى مقبض الباب وتفتحه وما أن رأت وجه والدها وابتسامته لها حتى ألقت بنفسها في أحضانه... كانت طفلة فائقة الجمال وتمتلئ ملامحها بالبراءة... تعشق والدها وأمها وكانا كل حياتها... أسرة صغيرة متوسطة الحال وهادئة... تتذكر جيدا تفاصيل تلك الأيام الدافئة وتتذكر أمها وهي تحنو عليها وتهدهدها على حجرها وتلعب في شعرها وهما يشاهدان التلفاز... عندما بلغت الحادية عشرة من عمرها بدأت تشعر بعلامات الأنوثة... وطرقت أبواب جسدها أحاسيس جديدة عليها شيئا فشيئا ولاحظت نظرات الصبيان لها خارج المدرسة وهي ذاهبة أو عائدة منها إلى البيت ونظرات أبناء الجيران.... كانت تشعر بلذة فطرية في نظراتهم وتحمر وجنتاها خجلا... وكان ذلك اليوم عندما اجتمع أبوها وأمها مع ذلك الرجل في المنزل... كانت وقتها في السابعة عشرة من عمرها والفرحة تسيطر عليها تماما فالرجل يريد أن يتزوجها... ستصبح سيدة ناضجة كأمها وستعيش قصة حب جميلة كما تشاهد في الأفلام الرومانسية القديمة التي تعشقها... تم الزواج سريعا جدا دون حتى خطبة!!.... كان أبوها وأمها يريدان الاطمئنان عليها في عهدة رجل خاصة أنها فتاة مفعمة بالأنوثة بشكل زائد وهم يخافون عليها من أن يتلاعب بها أحد... فمفاتنها وجسدها الثائر مبكرا سيجعلها مطمعا وعرضة للكثير من الإغراءات بالإضافة إلى أن هذا العريس ميسور الحال وسيجعلها تعيش عيشة رغدة ولم يكن رافضا

obeikandi.com

لأي شروط ومن أسرة معتدلة... وكل ما كان يدور بعقل رشا أن هذا الأمر كله ليس أكثر من هدية كبيرة من والديها فقد اعتادت منهما الهدايا في أعياد ميلادها كل سنة وكانت ترقص من السعادة وهي تفتحها وتبكي أحيانا من الفرحة ولكن... هذه المرة لم تبكي من الفرحة بل بكت من الألم والصدمة فقد كانت الهدية تلك المرة تمتلئ بالحزن... كان ذلك الرجل يتعامل معها على أنها ماكينة للجنس فقط... يفرغ فيها شهوته التي لا تنتهي كل ليلة بطريقة مرضية وسادية تماما وعندما ينتهي منها يدير لها ظهره ويخلد لنوم عميق.... كان الأمر أشبه بالاغتصاب... إنه لا يداعبها ولا يحتضنها ولا حتى يربت على رأسها ولا يرى سوى صدرها وفرجها... لم تكن تعرف ماذا تفعل؟!!... تقضي معظم أوقاتها في البكاء وظلت خائفة لفترة طويلة من أن تحكي لأهلها... حاولت في البداية أن تتكلم معه فما كان منه إلا أن استشاط غضبا وشعر أنها تهينه في ذكورته بكلامها وانهال عليها ضربا فازداد حزنها وخوفها... استجمعت شجاعتها في ذلك اليوم وقصت كل شيء لأمها وأبيها وهي تبكي بحرقة واستنجدت بهم إنها تريد أن تعود إلى بيتها وحضنهما ولا تريد أن تعود إليه مرة أخرى.... وكانت تلك هي الصدمة الثانية والأخيرة فقد قالا لها إنه زوجها وإنها لا بد وأن تطيعه وتتأقلم وقالا كلاما كثيرا عن العيب والحرام والمجتمع والناس حتى جفت دموعها فجأة ولم تعد تسمع ما يقولون فقط تشاهد أفواههم وهي تتحرك ولكنها لا تسمع إلا طنينا مزعجا... كيف باعوها؟!! واكيف ارتضوا لها هذا الهوان؟!!! هل هذان هما أمها وأبوها حقا أم أنهما شخصان آخران لا تعرفهما؟!!!... وعندما علم زوجها بما فعلته

obeikandi.com

انهال عليها بالضرب مرة أخرى لكونها ذكرت ما يحدث بينهما في الفراش وتلك المرة كان يضربها بعنف شديد إلا أنها تلك المرة أيضا لم تشعر بشيء تماما.... لم تبكي ولم تشعر بألم أو وجع وكانت نظراتها متجمدة وكأنها لا تراه...!!... فكرت في الانتحار وفكرت في قتله ولكن الخوف سيطر عليها وكانت أنسب فكرة طرأت في ذهنها هي الهروب... لملمت حقيبة متوسطة بها أهم أشيائها وهربت... ذهبت لتلك الصديقة التي تعيش وحدها ولن يبحث عنها أحد هناك فلا أحد من أهلها يعرفها... وكان هناك في بيتها أول لقاء لها مع الهيروين وبدأت الرحلة التي التقت في بدايتها بنادر صدفة في سيارة سامي صديق مشترك من رفقاء التعاطي وكان هو من يجلب لهم الهيروين فهو من يعرف التاجر... وعندما طلبت منه رقم هاتفه كي تتصل به عندما تحتاج رفض تماما لكونها ما زالت في بداية الطريق!! وبدأت تحبه لما فعله فلم تقابل أحدا في هذا الدرب حتى الآن يحرص على سلامة أحد!!... وعندما تقابلا مرة أخرى بالصدفة لثاني مرة أيقنت أنها لن تتركه وظلا معا وعاشا في تلك الشقة لعدة سنين.... لم تكن تعرف عندما تعاطت ذلك المخدر لأول مرة أنه فخ نهايته مأساوية وعندما حذرها نادر لم تفهم ولم تستوعب ذلك حتى تملك منها الهيروين تماما... كان نادر طيب القلب وحنونا... لم تشعر بالأمان إلا في حضنه... كم تفتقده كثيرا... لم يعد تلك المرة من محاولة التبطيل... بل مرت سنة كاملة ولم يعد... أقنعت نفسها أن الأمر قد انتهى وأنها لن تراه مرة أخرى وبدأت تتعاطى عن طريق الحقن مثله علها تنساه أو تموت وتنهي حياتها فتشعر بالراحة من تلك الدنيا اللعينة.... انهمرت دموعها وعادت من

obeikandi.com

ذكرياتها لتقوم بتحضير جرعة أخرى من الهيروين وتحقنها في ذراعها علها تكون المرة الأخيرة...

* * *

جاء النادل للينا بمشروب النعناع الذي طلبته منه في الاستراحة التي تأخذها في وسط العمل... تذكرت عندما كان محمود يأتيها بالنعناع دون أن تطلبه... تشعر بالحزن لعدم وجوده ولمرضه وكأن المكان كله كئيب في غيابه.... تعرفه منذ أن بدأت حياتها العملية كعازفة وهي لا تزال تبلغ من العمر ستة عشر عاما!!... كانت صغيرة وخائفة وكان هذا العالم كبيرا عليها ولم يكن معها حتى أوراق رسمية تسمح لها بالعمل لولا موهبتها القوية وكان هذا المكان هو أول مكان بدأت فيه رحلتها في العمل وواظب محمود على تشجيعها وطمأنتها منذ البداية ومعاملتها بلطف وكأنها نرمين ابنته وبمرور الوقت كان قد عرف منها كل شيء عن ظروف حياتها مما جعله أكثر مراعاة لمشاعرها ويسأل عليها دوما حتى في غير أيام عملها يتصل بها بالهاتف ليطمأن عليها وعرفها على زوجته وابنته وشعرت معهم بالدفء الذي افتقدته في بيتها والأمان الذي لم تعثر عليه أبدا... عندما ماتت زوجته شعرت كأنها فقدت أمها الحقيقية وتألم قلبها لجمال نرمين الذي بدأ يخبو ومرض محمود جعلها تشعر بالقلق والخوف... الإحساسان اللذان صاحباها طوال عمرها وكان وجوده يقلل منهما وابتسامته الطيبة تهدئ من روعها... خرجت من أفكارها على صوت النادل يخبرها أن المنتج المعروف سليم وهدان يستأذنها أن يستضيفها على منضدته... فنظرت للنادل بابتسامة هادئة قائلة له:

obeikandl.com

– أنا عارفة إنك جديد هنا... بص في المواقف اللي زي دي اللي بيعوز يتكلم معايا هو اللي بيجيني أنا ما بروحش لحد...

ارتبك النادل وقال لها محرجا:

– أنا آسف يا أستاذه أنا ما اقصدش حاجة أنا بس علشان عارف إن الراجل مشهور في الوسط الفني وبيطلع في التليفزيون... إنما والله ما اقصد أي حاجة بالعكس أنا بحترم حضرتك جدا...

ابتسمت لينا ابتسامة طيبة مطمئنة إياه:

– أنا عارفة إنك ما تقصدش إنما بس بفهمك الموضوع شكله إيه معايا علشان تبقى عارف بعد كده مش أكتر...

أومأ النادل برأسه وتوجه ناحية منضدة سليم ليخبره برد لينا وأمسكت هي بهاتفها تقلب فيه حتى جاءها صوت سليم وهدان من أمامها يقول:

– أديني جيت لك يا أستاذه بنفسي

رفعت عينيها نحوه وكان واقفا ممسكا في يده كأسا وفي اليد الأخرى سيجارا كبيرا فردت عليه بهدوء:

– أهلا وسهلا

لمحت بطرف عينيها سريعا امرأتين تجلسان على منضدته تنظران إليها من بعيد شذرا... وضع سليم كأسه على منضدتها وجلس بجوارها على كرسي قائلا وهو يمد يده نحوها مصافحا إياها:

– سليم وهدان

obeikandl.com

صافحته لينا وهي تقول

- لينا

كانت عيناه تأكلان كل جزء مكشوف من جسدها وهو يقول:

- إيه بس العظمة دي كلها... أنا أول ما سمعت عزفك التليفون وقع من إيدي على الطرابيزة من المفاجأة... إنتي مش بس جميلة وزي القمر لأ وكمان عزفك حلو زيك

ردت عليه ببرود:

- متشكرة قوي

- أنا عايز أتكلم معاكي في شغل

- اتفضل

- لأ مش هينفع هنا في الدوشة دي...

وأخرج من جيبه كارتا له وأعطاها إياه مكملا:

- لو تعدي عليا في مكتبي هنكون براحتنا أكتر في الكلام... إنتي ما ينفعش الناس ما تسمعش عزفك ده في كل حتة وتلعبي في الأماكن الصغيرة دي... مستواكي أكبر من كده بكتير... قولي لي بتعرفي تغني؟؟

ردت عليه بابتسامة ساخرة:

- لا والله ما بعرفش أغني... ما بحبش الغنا... ولا اللي بيغنوا...

تجاهل سخريتها وكأنها لا تقصده وقال:

- خلاص نعمل لك ألبوم مزيكا بس

obeikandl.com

نهضت لينا من مكانها قائلة:

- أسفة يا أستاذ سليم لازم أبتدي علشان الاستراحة خلصت...

ارتبك سليم ونهض هو الآخر وأخذ كأسه من على المنضدة وهو يقول:

- طيب عموما شاوري عقلك وكلميني في أي وقت

و عاد إلى منضدته وما أن رأته لينا ينظر نحوها حتى ألقت بكارته في مطفأة السجائر أمام عينيه مما جعله يعقد حاجبيه حانقا واتجهت هي إلى مقدمة البار لتمسك بكمانها وتبدأ في العزف... ومالت إحدى المرأتين الجالستين بجانب سليم على أذنه قائلة له بسخرية وشماتة:

- ما لك يا سليم بيه!! البت دي شكلها عكرت مزاجك

لم يجبها سليم وبدأت المرأتان يغنيان بصوت عال مبالغ فيه ليشوشان على عزف لينا ويضحكان ضحكات عالية مستفزة وكأنهما يسخران من عزفها... فتوقفت لينا عن العزف فجأة لتمسك بالميكروفون وانتبه الحاضرون جميعا على صوتها تقول:

- متهيألي كل الناس اللي موجودة النهارده عارفين كويس قوي إن ده يومي وبييجو مخصوص علشان يسمعوني... لو فيه أي حد مش عاجباه المزيكا هو مش مضطر يقعد...

توتر سليم عندما نظر إليه الجميع فالكل كان ملاحظا ما تفعله المرأتان الجالستان معه... فلملم سليم أشياءه ونهض ونهضت وراءه المرأتان وهما ينظران للينا بغضب وغيظ وتوجهوا نحو باب البار واستوقف سليم المدير

obeikandl.com

ليتكلم معه وبدا من حركات جسده ويديه أنه غاضب جدا ولكن لينا عادت لتكمل عزفها وكأن شيئا لم يكن وعندما انتهت من عملها وقبيل انصرافها اقترب منها المدير وهو يقول:

- إنتي هزأتي سليم وهدان قوي هو صحيح مش زبون مكان بس نجم معروف برضه... بالراحة على الناس شوية يا لينا مش كده!!

قالت له لينا بحدة:

- حضرتك عارف كويس طريقتي في التعامل من زمان وعارف كويس إني ما بعملش كده إلا لما حد يتخطى حدوده معايا بس... ولا إيه؟؟

ابتسم المدير في هدوء وهو يقول:

- المشكلة إني بعزك وبحترمك... عموما ولا يهمك يا أستاذة إنتي صح ولو إن صاحب المكان لو سمعني وأنا بقول لك كده هروح في داهية... بس انتي صح...

ابتسمت لينا وهدأت ملامح وجهها وهي تقول له:

- متشكرة قوي حضرتك اللي من ساعة ما عرفتك وانت راجل محترم وحقاني...

* * *

تذكر عمر وجه مدرس اللغة العربية الأستاذ (راشد) وملامحه التي كانت تجمع بين اللين والحزم في نفس الوقت... تحركات جوانب فمه وعينيه وهو يتكلم تدل على الطيبة في بعض المواقف ومواقف أخرى كانت نظرات

obeikandl.com

عينيه تثير الرهبة وتجعل الطلبة يقفون أمامه بانتباه وانضباط لا يتذكر أنه كان يحمل عصا في يده على عكس باقي المدرسين ولكن نظراته الثاقبة ونبرة صوته الحازمة كانتا تحل محل العصا التي كان يحملها دوما باقي المدرسين ويلوحون بها ويهددون ويضربون إذا لم يتمكنوا من السيطرة عليهم... كان عمر يحبه كثيرا ويحترمه ليس فقط لإخلاصه في مادته التي يشرحها وسهولة توصيله للمعلومة وإدخالها إلى القلب بسلاسة مما يدل على حبه هو شخصيا لها ولما يفعله ولكن لأنه كان دوما يعامله بحب يخلو من الشفقة... الشفقة اللعينة التي كان يمقتها عندما يشعر بها من الآخرين حوله سواء من المدرسين أو من زملائه نتيجة فقره الواضح في ملابسه وأدواته والحاقدين عليه أيضا لتفوقه رغم فقره كان يمقتهم أيضا... كان يسكن في نفس الجانب في قلبه الذي يعيش فيه أمه وأبوه رحمهم الله... كان يشجعه دائما ويفتخر به ولم تخرج من عينيه حتى ولو مرة واحدة بالخطأ أي نظرة سريعة لذلك الشق في نعل حذائه أو تلك الخيوط البالية في ياقة قميصه أو نهايات بنطاله.... توقف أمام تلك البناية القديمة في ذلك الحي القريب من بيته.... كانت نبضات قلبه سريعة من اللهفة وأخذ نفسا عميقا ليدخل إلى البناية ويصل لباب شقة الأستاذ راشد... آخر مرة كان هنا منذ أكثر من خمسة عشر عاما وكان لا يزال في الصف الثالث الثانوي في حالة يرثى لها عقب وفاة أبيه حسرة وكمدا نتيجة اتهامه زورا وبهتانا في عمله بالاختلاس وهو الموظف البسيط المسؤول عن الخزينة في تلك الوزارة الحكومية ليضحي به كبار المديرين ويخفوا سرقتهم... يتذكر جيدا

أن أباه لم يبك... لم يذرف دمعة واحدة بل ظل صامتا وصلبا طوال فترة التحقيقات وتحمل كل الاتهامات الباطلة الملفقة ونظرات مديرينه القذرة له والتي لا تستحي أن تنظر بكل بجاحة في عيني الضحية... يتذكر أيضا كيف كان موته صامتا... نام ولم يستيقظ... لم يحتمل قلبه ولم يرض له ربه الهوان فأخذه إليه في هدوء شديد... لم يجد أحدا وقتها يبكي له فقدانه ويحكي معه عن ألمه سوى راشد الذي فتح له الباب وطيب آلامه بكلمات حانية ويده التي ما زال يشعر بدفئها وهي تربت على كتفه... عندما فتح الباب وظهر راشد ظل عمر ينظر له للحظات.... كم تغيرت ملامحه... كل تلك التجاعيد حول عينيه وبجوانب فمه والشعر الأبيض الذي طغى على رأسه... لم يعرفه راشد وتساءل:

- أيوه

- إزي حضرتك يا أستاذ راشد

ضيق راشد عينيه يحاول التعرف على الطارق وهو يقول:

- الحمد لله يا ابني مين حضرتك؟

- أنا عمر يا أستاذ... عمر شوقي فصل تالتة خامس مدرسة النحاس الثانوية بنين.. مش فاكرني؟

تذكره فجأة راشد وانفرجت ملامحه وفتح ذراعيه مرحبا وهو يقول:

- ياااه أهلا أهلا يا عمر... يا خبر ابيض إزيك يا ابني تعالى تعالى خش اتفضل

دخل عمر وأغلق راشد الباب وراءه وأجلسه في غرفة المعيشة قائلا:

- سامحني يا ابني العتب ع السن بقى أنا ما شوفتكش من ييجي عشرين سنة ولا حاجة عامل إيه يا حبيبي؟

- الحمد لله يا أستاذ

- شكلك اتغير خالص يا عمر... كبرت وبسم الله ما شاء الله جسمك كبير وبقيت عامل زي بتوع المصارعة... إنت بتلعب حديد ولا إيه؟

ضحك عمر وهو يقول:

- حضرتك برضه شكلك اتغير إلا نظرة عينيك زي ما هي كلها طيبة ومودة

ابتسم راشد قائلا:

- ربنا يكرمك يا ابني... قول لي بقى تشرب إيه؟ عندي شاي وقهوة وينسون

- ولا أي حاجة.... مش عايز أتعب حضرتك

- لا يا حبيبي ما فيش أي تعب ده انت منورني... هعمل لك قهوة... عندي شوية بن بقى من اللي وصى عليهم لقمان..

نهض ببطء وأعانه عمر ثم أخذ ينظر حوله كانت هناك مكتبة متوسطة في ركن الغرفة وصوت عبد الوهاب يشدو من المذياع بأغنية (يا جارة الوادي) أدار عينيه لراشد الذي عاد حاملا في يده الصينية عليها الأكواب والسبرتاية ونهض عمر سريعا ليأخذها عنه ويضعها على المنضدة ويشكره راشد وهو يجلس بنفس البطء ثم يبدأ في تحضير القهوة وهو يسأله:

obeikandi.com

- طمني على أحوالك يا ابني فينك دلوقت وبتشتغل إيه؟

صمت عمر قليلا ولم يجد جوابا ثم نظر لراشد قائلا على استحياء:

- أستأذن حضرتك ممكن أشرب سيجارة؟

ابتسم راشد وهو يشير إلى المطفأة ليأتي بها عمر ويضعها أمامه وهو يقول:

- خد راحتك طبعا... وخد راحتك كمان لو مش عايز تجاوب على السؤال أنا بس بطمن عليك مش أكتر...

أشعل عمر السيجارة ووضع له راشد قهوته أمامه فشكره عمر وقال:

- أنا مش عارف يا أستاذ أنا جيت لك ليه بالظبط يمكن كنت محتاج أشوف أي وش حقيقي مش مزيف من سنين طويلة... أو أي وش يفكرني بأبويا وأمي الله يرحمهم... أي حد أحس معاه ولو لشوية صغيرين بهدوء وراحة من جوايا...

تأثرت ملامح راشد وهو يقول:

- ياااه!!... إيه يا ابني ده كله... ما لك بس فيك إيه؟

تنهد عمر تنهيدة حارة قائلا:

- مش عارف أبتدي منين

وبدأ يحكي له كل شيء... كيف أنه بعد تخرجه من الثانوية العامة دخل كلية العلوم وكيف كان يجاهد ليشتري كتبه وليدفع مصاريفه ويعمل في المساء في قهوة لكي يستطيع أن يدبر أموره وأن يشتري الأدوية التي تحتاجها أمه فقد ساءت صحتها كثيرا بعد وفاة أبيه وعن وجوه مديرينه وقاتليه

obeikandl.com

الذين حضروا العزاء وعرضوا على أمه أموالا وقالوا لها أنهم قد تنازلوا عن القضية المرفوعة على المرحوم وكأنهم يتفضلون عليهم وكيف شعر هو بالقهر والظلم الشديد وكيف كاد أن يلقي بالأموال في وجوههم ويطردهم خارج المنزل لولا أمه التي أمسكت بيده في آخر لحظة لتحتفظ بالأموال لأنهم في احتياج لها وأنها تعتبر جزءًا ولو صغيرا من حق أبيه أيا كانت الطريقة التي جاء بها... حكى له عن موت أمه وكيف أن عربة الإسعاف تأخرت كثيرا ولم تتمكن من دخول شارعهم الضيق وكيف حمل أمه على يديه محتضنها ليجري بها في الشارع حتى عربة الإسعاف ولم ينتظر المسعفين وعندما ذهبت بهم السيارة عند باب أقرب مستشفى لم توافق إدارتها على دخول أمه إلا بعد دفع مبلغ تحت الحساب... مبلغ لم يكن يملك منه حتى ربعه... وكيف ظل يصرخ في وجوه الموظفين حتى خرج له المديرون ورجال الأمن ليطردوه هو وأمه التي كانت ممدة على حامل الإسعاف خارج المستشفى وهو يصرخ مفزوعا على أمه التي ماتت فجأة في مكانها على أبواب المستشفى وبهت الجميع وظل هو يبكي ويخرج منه نحيب كنحيب النساء وكيف زاد بداخله الحقد والكره لكل شيء... أجهزة الدولة والنيابة والقضاء والشرطة والصحة وكل ما يحيطه... كل من كان سببا في ظلمه وظلم والديه ولعن الفقر ألف مرة كل ليلة... وعندما تملك منه اليأس تماما ألقى بنفسه في أحضان المسجد المجاور لبيته ليتلقفه (أبو بكر) الشيخ الذي استغل ضعفه وظروفه واحتياجاته والغضب المستعر بداخله ليجنده ويقنعه بأن الإسلام هو الحل وهو الذي سيعيد له حقه الغائب ويبدد كل هذا الظلم

obeikandi.com

السائد في كل مكان وأنه لا بد من الوصول لجذور الشر والظلم والقضاء عليها تماما وكيف أن هذا يتطلب منه جلدا وصبرا وتضحية وأن يبايعهم على الطاعة والولاء ليصبح جنديًّا من جنود الله في الأرض وينصر الدين الحق وسيفا من سيوف الله ليعيد هو وباقي الإخوة موازين العدل في العالم ولن يأتي العدل إلا بالقوة وأن أساس الظلم قادم من بلاد الغرب الكافر... ودس له أبو بكر السم في العسل وقد كان هو من أكثر المجتهدين في الدين وفي الجهاد لدرجة أنهم اختاروه ليسافر إلى الخارج ويجاهد على أراضي العجم... حكى لراشد عن الحروب التي خاضها في الشيشان وفي أفغانستان وباكستان وكمية الدماء التي أريقت والجثث والقتلى والمعسكرات التابعة للمجاهدين وكيف شعر في وقت من الأوقات وكأنه واحد من المجاهدين القدامى في أيام الرسول وكأنه خالد بن الوليد أو عمر بن الخطاب وغيرهم... حتى ذهب لشمال العراق... كان في كل ما سبق يحارب جيوشا وجنودا يرتدون ملابس عسكرية ولم يكن قد تعامل من قبل مع مدنيين... وحكى له عن الأسرة التي دخل إلى منزلهم ليختبئ وكيف عاملوه والحوار الذي دار بينه وبين الأب وكيف اكتشف بعد ذلك الخيانة في قيادات المجاهدين نتيجة شكوكه راقبهم وسمع بنفسه أحدهم يتحدث مع رجل أجنبي عن صفقة سلاح ذاهبة إلى إسرائيل!!... وكيف كانت الصدمة شديدة وظل يراقبهم وكم الخيانات التي اكتشفها جعلته يدرك مؤخرا أنه كان مجرد دمية يتلاعبون بها هو والكثير من الشباب ويستغلون ظروفهم وحماسهم الديني لتحقيق أهداف سياسية لا تمت بصلة للإيمان أو للدين... كيف شعر بأنهم

obeikandi.com

كشفوا أمره فهرب وتلقفته الصحارى والمرافئ حتى استطاع العودة لمصر وأنه يعيش الآن في غرفة صغيرة لا يعلم بمكانها أحد وأن أمن الدولة تراقبه ويظنون أنه جاء إلى هنا من أجل تنفيذ مخطط إرهابي في حين أنه جاء فقط لينتقم ويقتل أبا بكر... وهو يرى الآن بكل وضوح أن هذا الرجل هو أكثر من يستحق القتل فهو السبب الرئيسي في كل ما مر به وكل ما فعله وكل من قتلهم من أبرياء ماتوا على يديه دون ذنب...

أنهى عمر كلامه وساد الصمت للحظات حتى قطعه راشد قائلا:

- رحلة صعبة قوي يا عمر ومش سهل على أي حد إنه يستحمل كل ده ويواجهه... ومش سهل برضه على أي حد إنه يقرر يرجع عن طريق زي الطريق اللي انت مشيت فيه... ده قرار محتاج شجاعة وقوة وقلب نضيف... طول عمري نظرتي فيك كانت في محلها... شاب ذكي وقوي وكنت متنبئ لك بمستقبل عظيم... أعتقد إن مش هو ده بالظبط المستقبل اللي تخيلتهولك بس.... يا ابني بعد شوية سنين عشتهم في الدنيا دي أقدر أقول لك إن المستقبل المادي أو العلمي والشكل الاجتماعي مش صعب أي حد يوصل له... صحيح بالتأكيد بيحتاج مجهود كبير بس أي حد يقدر إنه يبذل المجهود ده ويوصل له.... إنما الشخصية بملامحها المميزة ووزن العقل ولون القلب المريح دول هما الأصعب في الوصول ليهم لإنهم بيحتاجوا لتجارب كتير في الحياة والتجارب دي معظمها بتبقى اختيارات غلط... كل اختيار غلط بيسيب علامة في الشخصية وبيميزها أكتر وانت عندك من العلامات دي كتير... أقدر بكل ثقة أقولك إن دي نعمة من ربنا عليك...

obeikandi.com

ابتسم عمر نصف ابتسامة مكسورة وهو يقول:

- كل الوجع والمرمطة والتوهة دي نعمة!! كل الناس اللي قتلتها بإيدي دول نعمة!! اللي شافوه أبويا وامي نعمة؟!!!... معقول يا أستاذ راشد!!...

وترقرقت دموع في عيني عمر سرعان ما جفت قبل أن تظهر أو تسيل ونادرا ما تخونه عيناه وتفعلان ذلك إلا أن راشد لاحظ تلك الدموع المكتومة فربت على قدميه فشعر خالد بنفس الشعور القديم الذي شعر به عندما جاءه بعد وفاة والده فسالت دموعه رغما عنه وقال له راشد:

- البكا مش عيب يا ابني ولا ضعف... ما تكتموش... البكا بينضف الواحد من جواه وبيغسل قلبه... مش مهم كل اللي فات دلوقت الأهم هتعمل إيه؟؟... تفتكر لو قتلت أبو بكر ده هترتاح؟

مسح عمر دموعه بقبضة يده قائلا:

- لازم ياخد جزاءه ولازم يدوق من نفس الكاس اللي الناس اللي اتقتلوا ظلم دول داقوا منه... لازم يموت قبل ما يكمل صناعة أجيال تانية من العرايس الخشب اللي ماسكة سلاح وعقلها مسروق...

- يبقى ما استفدتش حاجة من التجربة اللي عشتها دي كلها وتبقى فعلا تهت في الدنيا عا الفاضي

- إزاي؟!!

- يا عمر إحنا مش موجودين على الأرض علشان نقوم بدور ربنا... ربنا ما خلقناش علشان نحاسب بعض أو نتحكم في بعض ونكره بعض....

obeikandl.com

ربنا خلقنا علشان نبني ونعمر ونحب ونعيش ونزرع ونعمل حياة.... أنا عارف كويس قوي إن فيه ناس بتتجبر وبتظلم لكن هل تفتكر إن ربنا ما يقدرش يوقفهم عند حدهم لو أراد؟؟.... هو بس ليه حكمة في وجودهم... وكلامي مش معناه نكون جبناء وما نقفش في وش الظلم... إنما فيه مراحل كتير بنحتاج نعيشها جوانا قبل ما نواجه الظلم الخارجي

- إيه المراحل اللي جوانا دي؟؟

- لازم نعيش جوه قلوبنا فترات طويلة ونعرف إحنا شايلين فيها إيه بالظبط؟؟.... لازم نقف في وش الظلم اللي جوانا الأول... ونشوف اللي جوانا حب ولا كره؟؟ حقد ولا تسامح؟؟ انتقام ولا سلام؟؟ شهوة ولا رحمة؟؟... علشان ننضف كل ده ونهزم الظلم جوانا ونتأكد من نوع المشاعر اللي بنحملها جوه قلوبنا بنحتاج حرب قوية وصعبة قوي... حرب ضروس زي ما بيقولوا... بس حرب ما فيهاش رصاص ولا دم ولا جثث... حرب صامتة من غير صوت... حرب بين الخير والشر اللي جوه مننا... لما بينتصر فيها الخير بنكون ساعتها أقوياء بما فيه الكفاية لمواجهة أي ظلم خارجي والقوة دي بتبقى قوة داخلية مش خارجية... قوة الروح... فاكر غاندي؟؟ الثائر الهندي الهزيل؟؟

- أيوه

- غاندي مثلا وناس كتير زيه في التاريخ كانت أجسادهم ضعيفة من بره إنما أرواحهم كانت قوية جدا وصلبة لإنهم انتصروا في معركتهم الداخلية وعلشان كده قدروا يقفوا في وش الطغيان الخارجي بعد كده وقوة روحهم كانت أقوى من جيوش ومن دول بحالها... وما حدش قدر يستغل مشاعرهم

obeikandl.com

ولا يسيطر على قلوبهم ولا يبدل مبادئهم وإيمانهم بشيء محدد لإنهم ما بقاش عندهم نقطة ضعف يتمسكوا منها ولا ماضي مؤلم مش متصالحين معاه ولا حاجة بتوجعهم لما بتيجي سيرتها... بالعكس هما في خلال المعركة اللي جواهم عرفوا كويس قوي قيمة ماضيهم بكل ما فيه من ألم أو خزي وما بقاش بيوجع إنما بقى بيخليهم يبتسموا في هدوء وفخر... وعلى فكرة غاندي ما كانش مسلم ومتهيألي هي دي إجابة السؤال اللي سألهولك الراجل اللي كنت في بيته في العراق وقال لك (هو المسلم بس هو اللي كويس؟؟!!)..

ارتسمت ابتسامة هادئة على وجه عمر فكلام راشد كان مختلفا تماما عن كل ما تعلمه وعن طريقة تفكيره أشبه بجهاد النفس في الإسلام ولكنه لم يتناوله داخل عقله بهذه الطريقة أو من تلك الزاوية من قبل... شعر براحة وهدوء غريب في قلبه لم يشعر به منذ فترة طويلة... أكمل راشد قائلا:

- أنا مش طالب منك غير إنك تفكر كويس في الكلام ده وتعيد وزن قراراتك في الحياة كلها وأنا واثق إنك لو عملت كده هتكون قراراتك مختلفة تماما...

- أوعد حضرتك إني هفكر كويس في الكلام

ونهض عمر من مجلسه مكملا:

- أنا لازم أمشي دلوقت

- ما لسه بدري يا ابني... كلامي ضايقك ولا إيه؟!!

obeikandl.com

- أبدا يا أستاذ راشد بالعكس حضرتك مش متصور أنا كنت محتاج لك ومحتاج أسمعك قد إيه... وقد إيه حاسس براحة من جواية... بس أنا لازم أمشي علشان ألحق ميعاد مهم...

صافحه راشد بحرارة وهو يسأله:

- هشوفك تاني يا عمر؟

ابتسم عمر في حب وهو يقول:

- إن شاء الله...

واتجه إلى باب الشقة لينظر نظرة أخيرة لراشد ويرفع يده محييا إياه وأغلق وراءه الباب...

***

فتحت ريم عينيها ببطء وشعرت باسترخاء تام وذراعاها يضمان سوزي داخل أحضانها التي تكورت بدورها داخل حضنها كالقطة الصغيرة مغمضة عينها وتحسست ريم تفاصيل وجه سوزي وشفتيها بأصابعها ففتحت سوزي عينيها لتنظر لها وتبتسم ابتسامتها الساحرة وابتسمت لها ريم هي الأخرى قائلة:

- صباح الفل

- صباح الخير

قالتها سوزي وتمطعت بدلال لتقبل ريم في فمها وهي تتمطع ثم اعتدلت لتجلس وتأخذ سيجارة من علبتها وتشعلها وهي تقول:

- أنا نمت ما حستش بنفسي... إنتي نمتي كويس؟

obeikandl.com

ابتسمت ريم وأومأت لها برأسها ثم أخذت السيجارة من يدها لتكملها هي وتنهض متجهة نحو سخان المياه وتسأل سوزي:

- تشربي نسكافيه معايا؟

- ماشي

نهضت سوزي بعدها ذاهبة للحمام لتغسل وجهها ثم تعود لتشعل سيجارة أخرى وتجلس على الأرض ساندة ظهرها إلى الحائط بجوار المرتبة تشاهد ريم وهي تعد النسكافية وتهز قدمها واقتربت منها ريم لتعطيها كوب النسكافيه ثم جلست بجوارها ورن هاتف سوزي فأمسكت بهاتفها وما أن رأت اسم المتصل حتى ابتسمت ابتسامة مليئة بالحب ثم ردت على المتصل قائلة

- أيوه يا حبيبي... صباح الفل يا روحي... أكيد طبعا في نفس المعاد اللي اتفقنا عليه... وانت كمان وحشتني قوي... ماشي يا حبيبي مش هتأخر... باى

كانت ريم تتابعها وعيناها مليئة بالغيرة والدهشة وقالت لها بتوتر:

- بتكلمي مين؟

نظرت سوزي نحوها وأجابتها بحذر:

- واحد صاحبي

- واحد صاحبك وبتقولي له وانت كمان وحشتني قوي يا روحي!!

- ما لك يا ريم فيه إيه!!

- ما فيش أصلك بتكدبي وواضح قوي من طريقتك في الكلام والبصة اللي في عنيكي أول ما شوفتي الاسم على التليفون إنه مش صاحبك بس وباين إنه أكتر من كده شوية

obeikandl.com

تحولت ملامح وجه سوزي إلى الجدية وهي تقول:

- وحتى لو فرضنا إنه مش كده فيها إيه؟!!... وبعدين أنا هكدب عليكي ليه أصلا من الأساس؟!!

صمتت ريم لحظات ثم قالت:

- ولا حاجة خلاص

- لأ فيه حاجة يا ريم... ما لك بتعملي كده ليه؟؟

ثارت ريم فجأة في وجهها قائلة:

- ما خلاص خلصنا قلت لك مفيش حاجة... الله!!!

بهتت سوزي من ردة فعلها ونهضت لترتدي ملابسها وريم تدخن سيجارتها في عصبية وكأنها تأكلها لا تدخنها وتتابعها وهي ترتدي ملابسها وتفكر... ما هذا الذي حدث؟!! من المفترض أن ما تفعله سوزي هو ما اعتادت هي فعله!!.. كيف تبدلت الأدوار!! هل أحبتها؟؟ إنها تغير عليها ولم تستطع حتى تمالك نفسها؟!! ما هذا!! هل من المعقول أن تكون أحبتها؟!! إنها كارثة.. كانت سوزي متجهة نحو الباب فاستوقفتها ريم منادية عليها:

- سوزي

توقفت سوزي واتجهت ريم نحوها لتمسكها من يدها وتحضنها مقبلة إياها على خدها قائلة:

- ما تزعليش

obeikandl.com

– أنا مش زعلانة.... بس أنا خايفة منك وخايفة عليكي يا ريم... الموقف اللي حصل ده يقلق... مخليني حاسة إني في زنقة.... المفروض إني في الموقف ده أكون صريحة جدا واحدد تاني شكل العلاقة اللي ما بينا قبل ما نتوه ونجرح في بعض... وفي نفس الوقت خايفة عليكي لإنك مش ناقصة وجع في حياتك وانا ما بحبش أكون سبب في وجع زيادة ليكي... بس مش هينفع ما اعملش كده... إحنا بننبسط مع بعض في السرير بس وصحاب ما فيش ما بينا حاجة وما اعتقدش إني في مرة قلت لك إني بحبك!!

أدارت ريم وجهها لتنظر نحو سيف الذي كان يستمع إليها بإنصات شديد وأكملت وعيونها تترقرق بها الدموع:

– ما تخيلتش إني ممكن يحصل لي كده!!... حسيت كأني باصة في مراية يا دكتور... نفس اللي كنت بعمله بقالي سنين اتعمل فيا في دقايق... ما استحملتش ولقيت نفسي باخد حباية من نفس الدوا اللي كنت وقفته علشان أعرف أنام ودماغي تسكت... رجعت تاني زي ما كنت وفشلت... أنا حاسة بيأس وإحباط جامد ولا كأني عملت حاجة في كل الجلسات اللي فاتت... الأمل راح تاني بعد ما كان رجع لي... ما فيش فايدة...

عاد سيف بجسده للوراء في المقعد للحظات مفكرا ثم نهض ليذهب نحو اللاب توب ليغلق موسيقى ال Jazz التي كانت صادرة منه ويستدير ليجلس على مكتبه نصف جلسة ويقول لريم:

– إنتي مش متضايقة خالص يا ريم من اللي انتي حكتيه ده... ولا مرايا ولا حاجة

obeikandl.com

نظرت له ريم وهي ترد بحذر:

- مش فاهمة؟

ابتسم وهو يقول:

- يعني اللي مضايقك إنك فشلتي في خطتك بس

اهتزت ريم من الداخل وحاولت التماسك حتى لا يظهر على وجهها وهي تقول:

- خطة إيه؟!!

- إنتي يا ريم ما حبتيش البنت دي ولا حاجة، إنتي بس ما عرفتيش تكملي الحكاية زي ما بتكمليها كل مرة والبت ما حبتكيش زي الباقي وحبت حد تاني وده اللي خلاكي تغيري وتتنرفزي... كبريائك خلاكي ما تستحمليش... إزاي يعني تحب حد غيرك؟!! وازاي ما تمشيش ع الخط اللي انتي راسماهولها؟!!... بس مش أكتر... إنما انتي ما حبيتيهاش ولا حاجة... عقلك الباطن عايزك تشوفي الحكاية بالشكل ده علشان ما تشوفيش مشاعرك الحقيقية ويبقى رجوعك كمان للأدوية اللي وقفتيها ليه مبرر منطقي...

ذهلت ريم من دخوله إلى ثنايا عقلها وكشفه طريقة تفكيرها للمرة الألف!! فقام عقلها الباطن بتجهيز حيلة أخرى سريعة لإنقاذ موقفه وهي الوجه البريء الذي يظهر عليه علامات الارتياح وهي تقول:

- يعني أنا ما حبتهاش فعلا!!... يااااه أنا ارتحت قوي دلوقت... يعني معقول كل ده كان وهم وانا مصدقاه برضه زي ما قلت لي قبل كده؟!!

obeikandl.com

ابتسم سيف لتلك الحيلة الجديدة الضعيفة متجاهلا إياها وقال وكأنها انطلت عليه:

- أيوه

- طب والدوا اللي أنا رجعت له؟!!

- عادي حباية واحدة مش هتعمل لك حاجة وممكن النهارده تكملي من غيرها زي ما كنتي مش هتلحقي تدخلي في أعراض انسحاب أو أرق وهتنامي عادي...

نهض من مكانه وجلس وراء مكتبه وهو يكمل:

- أنا هسافر مؤتمر إسبوعين فهنأجل مقابلتنا للمرة اللي بعد اللي جاية

توترت ريم وقالت:

- إنت زعلت مني؟!!

ابتسم سيف للجملة التي تتعارض مع الوجه البريء الذي ظهر في الحيلة السابقة فهو ينقضها تماما... إحساسها بالذنب يدل على كذب عقلها الباطن وعلمها بكذبه فقال بهدوء وهو مندهش:

- هزعل منك ليه بس!! عندي شغل وإسبوع بالكتير وهنتقابل في معادنا

- يعني مش هشوفك الإسبوع اللي جاي!!

نظر سيف نحو عينيها مباشرة فارتبكت وأكملت:

- أقصد يعني أنا اتعودت أشوفك كل أسبوع يا دكتور... أنا خايفة بس

ابتسم سيف للحيلة الجديدة وهو يقول بهدوء:

obeikandl.com

– لأ ما تخافيش... أنا متأكد إنك هتبقي كويسة لحد ما نتقابل... أشوفك الاسبوع اللي بعد اللي جاي...

* * *

دخلت زينب على عبد الله غرفة النوم وهي تحمل هاتفه في يدها لتجده يجهز حقيبة صغيرة فسألته:

– مسافر يا عبد الله ولا إيه؟

– أيوه... طالع يومين في سبيل الله مع الإخوة في المنصورة... واهو بالمرة أزور أبويا وأمي وأقرالهم الفاتحة..

– الله يرحمهم

ناولته هاتفه وهي تقول:

– محمد كان بيتصل على تليفونك

أخذ منها الهاتف لينظر فيه ثم انتظر حتى خرجت من الغرفة وخرج إلى الشرفة وأغلق وراءه الباب ليتصل بمحمد فيرد عليه:

– أيوه يا حاج

– أيوه يا محمد.... وضبت كل حاجة؟

– كله تمام يا حاج... العربية جاهزة تحت الشركة وبعت ست نضفت الشقة اللي في ضهر الشركة وجاهزة علشان تبات فيها اليومين اللي قلت عليهم وفيه أكل في التلاجة وكافة شيء

– طيب يا محمد جزاك الله كل خير... وكل حاجة في الشركة تمام؟

obeikandl.com

- كله تمام يا حاج... بس المهم انت بخير؟؟ مش فاهم لحد دلوقت ليه وصتني لو الحاجة زينب اتصلت بيا أبقى عامل حسابي في الكلام إنك في المنصورة مش هنا واوضب لك الشقة الصغيرة دي؟؟شكلك اتجوزت يا حاج ومخبي علينا

ضحك عبد الله ضحكة صغيرة وهو يقول:

- الله يجازي شيطانك يا محمد... يلا زي ما قلت لك بقى سلام عليكم

عاد عبد الله إلى غرفة نومه ليتمم غلق الحقيبة ويحملها ويخرج من الغرفة ويضعها بجوار الباب منتظرا صعود سيد مساعده ليأخذها ويضعها في السيارة ودخل إلى زينب الجالسة أمام التلفاز وقال لها:

- عايزة حاجة يا زينب؟

نظرت له زينب مندهشة وهي تقول:

- إنت مسافر دلوقت؟؟ بليل كده؟

- أيوه هاخد اتنين من الإخوة معايا ونجهز الأكل والحاجات اللي هنحتاجها في الاعتكاف قبل ما يوصل الباقي بكرة

- طيب يا حاج توصل بالسلامة

- لو عوزتي حاجة كلمي محمد في التليفون علشان هاخد سيد معايا

- ماشي يا حاج

- خلي بالك من العيال يا زينب

- هو انت مسافر شهر يا عبد الله دول كلهم يومين!!

- يعن قلت أوصيكي عليهم وخلاص... يلا السلام عليكم

obeikandl.com

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

أوصلته إلى باب الشقة وهي تقول:

- ما تنسوش دعاء السفر يا حاج... ربنا يستر طريقكم

أومأ لها عبد الله برأسه وانصرف لتغلق الباب وراءه وعادت إلى مجلسها وبعد أن مضت عشر دقائق حملت هاتفها لتتصل برفيقها:

- أيوه يا روحي... فيه مفاجأة حلوة... جوزي سافر دلوقت وهيقعد يومين... هاجي لك بكرة لازم نقضي أكتر وقت ممكن مع بعض براحتنا بقى اليومين دول.... وانت كمان وحشتني قوي... يلا أشوفك بكرة يا حبيبي... باي باي

* * *

عندما دخل نادر إلى البيت وجد أباه يخرج من غرفة نومه.. تسمر مكانه وكذلك والده... ظل الاثنان ينظران لبعضهما البعض في صمت ولم يتمكن نادر من أن يترجم أفكاره التي انهمرت داخل عقله فجأة فتحرك نحو غرفته إلا أن صوت أبيه استوقفه وهو يقول:

- نادر

توقف نادر أمام باب غرفته وظهره لأبيه لا يعرف هل ينظر إليه أم لا ينظر؟؟ هل يدخل غرفته ولا يرد مغلقا الباب وراءه؟ أم يستدير ليرد عليه؟؟؟ وتقلصت أصابع كفه المستندة على جانب الباب لتقبض عليه بقوة من التوتر... هل هو جان أم ضحية؟؟؟ أحاسيسه وأفكاره كموج البحر الهائج

obeikandl.com

ثائرة ومختلطة ببعضها البعض لا يستطيع تمييزها من بعضها وكل ما تمكن من فعله هو التوقف مكانه كما هو... لم يدخل غرفته ولم يستدر لينظر إليه ولم يرد فأكمل والده:

- شكلك كويس قوي يا ابني ما شاء الله... الحمد لله بقيت بخير...

ظل نادر كما هو ثابت مكانه لا يرد فاقترب منه أبوه حتى أصبح خلفه وأغمض هو عينيه وهو يشعر به وراءه ومد أبوه يده كي يلمس كتفه ولكنه تردد قليلا وعاد بيده للوراء مرة أخرى وسالت دمعة من عين نادر لم يرها أبوه الذي قال مكملا:

- أنا... أنا بس كنت عايز أشوفك واطمن عليك وكنت باخد شوية حاجات وهمشي تاني أرجع اسكندرية...

وتهدج صوته وهو يقول مكملا:

- لو حبيت تبقى تيجي تغير جو هناك ابقى تعالى... أنا قاعد لوحدي خالص... عموما أنا سايب لك نص المعاش وزيادة زي ما اتعودت علي درج مكتبك في أوضتك... سامحني لو دخلتها وانت مش موجود...

صمت الأب قليلا وكأنه يريد أن يقول كلاما آخر ولكنه تراجع وعاد إلى باب غرفته ليغلقها وكاد أن يغلقها بالمفتاح كما اعتاد ولكن يده توقفت وتذكر أنه لم يعد بحاجة لذلك فنادر قد تعافى وابتسم ابتسامة خفيفة وترك الغرفة غير مغلقة وحمل حقيبة صغيرة وتوجه نحو باب الشقة وفتحه وقبل أن يغادر استدار نادر فجأة وكأن الصراع بين قلبه وعقله قد انتصر فيه القلب وعقدة لسانه قد انفكت فجأة لينادي عليه:

obeikandl.com

- بابا

توقف الأب ونظر نحوه ليذهب إليه نادر مسرعا ليحتضنه ويقبل كف يده بحرارة وتسقط الحقيبة من يد أبيه ليربت على رأسه وهو يبكي قائلا:

- وحشتني يا ابني... وحشتني قوي

اختلطت قبلات نادر على كف أبيه بدموعه التي بللت كفه ورفع رأسه لينظر في وجهه عن قرب.... مرت سنوات طويلة لم يقترب فيها من أبيه إلى هذه الدرجة منذ أن كان طفلا فتحسس أبوه ملامح وجهه وكأنه يتذكرها بدوره أيضا ثم ربت على خده وهو مبتسم ومطمئن ليحمل حقيبته مرة أخرى وهو يقول:

- خلي بالك من نفسك يا ابني...

وانصرف مغلقا الباب وراءه تاركا نادر يشعر وكأن قلبه يؤلمه من ثقل المشاعر فيجلس على أقرب مقعد له وينظر إلى صورة أمه المعلقة على الجدار أمامه ويمسح دموعه بيديه وينهض ليحمل صورتها من مكانها ويدخل غرفة نومه ليعلقها على جدار بجانب سريره...

* * *

خرج أبو بكر من المسجد المعتكفين فيه في تلك البلدة الأوروبية الصغيرة وقد أخبر الإخوة أنه سيذهب للاطمئنان على أحد أصدقاء الطفولة القدامى الذي هاجر من مصر إلى هنا منذ سنين طويلة وتركهم يتدارسون الفقه وأصول الدين في المسجد ويعلمونه لإخوانهم حديثي الإسلام من الأجانب.... استوقف تاكسي وسار به في شوارع كثيرة حتى أشار له كي

obeikandl.com

يتوقف عند ناصية شارع جانبي ما وترجل من التاكسي وبعد أن أعطاه حسابه وتأكد أنه رحل دخل إلى ذلك الشارع الجانبي الضيق وتوقف قليلا مستندا بظهره للحائط ليتأكد أنه ليس هناك من يراقبه ولن يدخل أحد وراءه وبعد أن اطمأن أكمل سيره ليخرج من الناحية الأخرى للشارع ويعبر الطريق الواسع إلى تلك السيارة الفارهة المنتظرة على الجانب الآخر فيركب بجوار السائق وتنطلق السيارة ولم تمر ربع ساعة حتى وصلا عند باب قصر كبير ليفتح الباب وتدخل السيارة وتسير في طريق دائري مرصوف بعناية وتتوقف بالداخل أمام باب القصر نفسه فيترجل منها أبو بكر ويدخل من الباب إلى البهو الفخم ليستقبله رجل طويل القامة واضح من قسمات وجهه القاسية وجسده العريض مفتول العضلات وذلك السلاح المعلق في حزام تحت إبطه أنه حارس شخصي ومشى وراء أبي بكر حتى خرجا من باب آخر على حديقة خلفية واسعة يتوسطها حمام كبير للسباحة ومقاعد وثيرة ممدد على واحد منهم رجل أجنبي لا يرتدي سوى مايوه وبجواره فتاتان أقل ما يقال عنهما أنهما مثيرتان للغاية يرتديان البكيني ويدلكان ظهره وبجوارهم جميعا كؤوس من الخمر ممتلئة بالثلج فيتوقف الحارس ويقترب أبو بكر بحذر ولا ينتبه له الرجل ويتشتت ذهن أبي بكر للحظات مع مفاتن المرأتين ولكنه تنحنح لكي يستعيد ذهنه ويلفت انتباه الرجل لوجوده فالتفت إليه ببطء ثم اعتدل في مجلسه ابتسم له مرحبا وهو يقول بلغة عربية بلكنة أجنبية:

- إزيك؟ أبو بكر صح؟

obeikandi.com

- مظبوط يا باشا... أهلا بيك

- بقالك شوية كتير واقف؟

- لأ لسه واصل

تناول الرجل كأسا من الخمر وعرض واحدا آخر عليه فاعتذر له أبو بكر... فقال له الرجل ساخرا:

- إيه؟ ما بتشربش أبو بكر؟

- سعادتك عارف يا باشا الخمرة حرام عندنا

فضحك الرجل بصوت عال ثم قال:

- صح... خمرة حرام... لكن سلاح قتل حلال... صح أبو بكر... مظبوط

فضحك أبو بكر ضحكة عصبية قصيرة مجاملة ولم يرد فأشار الرجل للحارس فاقترب وأخرج من جيبه صورة أعطاها لأبي بكر فتفحص هو الصورة قليلا وعقد حاجبيه وكأنه يحاول تذكر وجه صاحب الصورة... يعتقد أنه قد رآه من قبل في مكان ما... فنظر للرجل متسائلا فقال له:

- عمر شوقي.... هرب من الناس تبعنا في العراق.... هو دلوقت في مصر... طبعا عارف هتعمل إيه؟

تذكره أبو بكر فور سماعه الاسم وهو يرد على الرجل:

- عارف يا باشا... هنخلص عليه

- بالظبط أبو بكر.... بالظبط... الفلوس هتتبعت على نفس الحساب بعد قتل زي ما يحصل كل مرة...

obeikandl.com

أومأ أبو بكر برأسه موافقا وانصرف وأخذ الرجل الأجنبي فوطة كبيرة ليجفف بها رأسه وجسده ثم أحاط بها خصره وأخذ هاتفه من الحارس وطلب رقما مصريا ليتفق معه على صفقة هيروين ذاهبة إلى مصر خلال أسبوعين مؤكدا على الميعاد ومكان الوصول لكي يخفف الطرف الآخر على الهاتف من التواجد الأمني في هذا المكان في التوقيت المتفق عليه...

* * *

كان سامح جالسا على أريكة بجوار مكتبه وممدا قدميه على منضدة أمامه ينظر لصورة يظهر فيها عمر ومصطفى وهما ممسكان بكأس ما ويضحكان يبدو أنهما قد فازا به في مسابقة رياضية ما في الجامعة وسمع طرقات على باب مكتبه ليدخل الأمين مجدي مؤديا التحية العسكرية فينظر إليه سامح وهو يقول:

- تمام سعادتك عرفنا مكان مصطفى وليه ملف عندنا يا باشا كان شغال معاه أحمد بيه سعيد قبل كده

- طيب ومستني إيه؟!!

- أوامر سعادتك يا باشا الحملة جاهزة وهنروح نجيبه

وانصرف مجدي وأمسك سامح بهاتفه ليتصل برقم أحمد بيه سعيد:

- ألو.... أحمد بيه.... صباح الفل يا باشا... عامل إيه؟.... تعيش بخير الحمد لله... لامؤاخذة يا باشا هنزعجك معلش كان فيه طلب كده بس صغير... تسلم يا باشا... كان عندك واد من بتوع التكفير من فترة اسمه مصطفى الدهشان... هنتقل عليك يا باشا في الملف بتاعه بس... آه... تمام

كده متشكرين يا باشا صباح الفل...

أنهى سامح المكالمة ونادى على الأمين الذي يقف بالخارج وعندما دخل قال له:

- هتروح يا ابني لحد مكتب أحمد بيه سعيد الأمين اللي هناك هيدي لك ملف هاتهولي...

خرج الأمين وعاد بعد عشر دقائق بالملف ليفتحه سامح ويقلب فيه ويقرأ أجزاء منه ويطلع على ما فيه من صور... نصف ساعة ودخل عليه مجدي مؤديا التحية العسكرية وهو يقول:

- تمام سعادتك يا باشا... مصطفى في أوضة التحقيقات...

أغلق سامح الملف ونهض من مكانه متجها لغرفة التحقيقات ودخل وأغلق الباب وراءه وجرجر كرسيا عن عمد ليجلس أمام مصطفى المقيد في كرسيه من يديه وقدميه ورأسه مغطى بالكامل بغطاء أسود به ثقبان فقط عند فتحتي الأنف ومربوط على مكان فمه رباط أسود قوي لمنعه من الكلام ويرتعش من الخوف الذي ازداد فور سماعه صوت الباب يفتح ويغلق وخطوات قدمي سامح وصوت سحبه للكرسي والولاعة وهي تفتح وتغلق وقال سامح فجأة بعد دقائق من الصمت انهارت فيهم أعصاب مصطفى:

- حمد لله على السلامة يا درش

ازدادت رعشة جسد الأخير فأكمل سامح بلهجة ساخرة لاستنزاف أعصابه:

- حد ضايقك وهما بيقبضوا عليك؟؟... فيه حد مد إيده عليك

ولاحاجة؟؟؟

ثم وضع يده على ركبته فانتفض مصطفى وهو يكمل:

- لو حصل حاجة قول لي علشان أعرفهم شغلهم التيران دول... أنا ما بحبش أأذي حد ولا أقل من كرامة حد... ما تخافش... أنا بحب اللي بيتعاون معايا... إنما ساعات بيبقى فيه ناس إنت عارف دماغهم ناشفة شوية فبنضطر نلينها لهم بس إنما بيبقى غصب عننا والله.... وبعدين يا درش ما انت مش غريب يعني واحنا مش جداد عليك إنت صاحب مكان... مش كده ولا إيه؟؟

نهض سامح من مكانه ودار حول مصطفى ليزيد من توتره ثم وضع يديه على كتفه فانتفض مصطفى فزعا وكاد أن يسقط بالكرسي لولا أن سنده سامح وهو يربت على كتفه قائلا:

- لأ ننشف كده إحنا لسه قدامنا وقت طويل هنضعف من أولها ولا إيه؟!!... تاخد سيجارة؟؟

فهز مصطفى رأسه يمينا ويسارا رافضا فأكمل سامح:

- معاك حق والله التدخين ده عادة وسخة أصلا... عمر شوقي فين يا درش؟؟

انتفض مصطفى وأخذ يهمهم همهمات غير مفهومة فقام سامح بفك الرباط الأسود عن فمه فانطلق صوته بلهفة ورعب:

- والله ما اعرف... والله العظيم ما اعرف هو فين... عدى عليا من أسبوعين وقعد نص ساعة ومشي

obeikandl.com

- كان عايز منك إيه يا مصطفى؟

- كان عايز طبنجة وطلقات

تردد مصطفى للحظات بينه وبين نفسه في ذكر سؤال عمر عن أبي بكر فهو في موقف لا يحسد عليه أمن الدولة ستعذبه وأبو بكر سيقتله شر قتلة لو أتى بذكره فهو يعرفه جيدا وزاد خوفه أكثر فأطبق فمه وقاطع سامح تفكيره بعد أن شعر بأنه يخفي شيئا:

- بس كده؟

- والله كده بس واتخانقت معاه وطردته كمان

ضحك سامح بصوت عال ثم قال:

- ما فيش فايدة فيك يا درش.... مع إنك قديم وصاحب مكان زي ما قلت لك إنما برضه فاكر نفسك هتعرف تحور!!

كاد مصطفى أن يتكلم مبررا موقفه إلا أن سامح أعاد الرباط على فمه مرة أخرى ونادى على الأمين بالخارج ليأتي مسرعا فيقول له:

- واجب الضيافة بقى... إنت عارف مصطفى حبيبنا من زمان مش عايزينه يقول علينا بخلا ولا حاجة... هاه؟

وخرج سامح منصرفا تاركا إياهم بالداخل ليبدأ الأمين حفلة الترحيب مع مصطفى....

* * *

- تشرب إيه يا طارق؟

قالها سمير أبو مادلين وهو يمد يده نحو طارق بعلبة بها بونبوني فأخذ

obeikandl.com

طارق منها واحدة وهو يقول:

- متشكر يا عمي مش عايز أشرب حاجة

- ليه يا ابني؟ علشان احنا مسيحيين ولا إيه؟ ما تقلقش ما بنحطش في اللي بنشربه مية قسيس ولا حاجة زي ما الناس بتقول

قالها وضحك بصوت عال فنظر له طارق باستغراب قائلا:

- حضرتك أنا يا ما شربت وأكلت عندكم!!... أنا متربي في بيتكم مش فاهم إيه لازمة الكلام ده أنا فعلا مش عايز أشرب حاجة!!

قال سمير مبتسما ابتسامة ماكرة:

- ما انا عارف أنا بهزر معاك بس... لسه بتحب تقرأ؟؟

- أيوه

- قريت الإنجيل قبل كده؟

توتر طارق قليلا ثم أجابه:

- لأ

- ليه؟

احتار طارق في الرد للحظات ثم قال:

- يمكن ما جاتش الفكرة في دماغي بس ما عنديش مانع أقراه عادي

- تعرف يا طارق... أنا قريت في القرآن كويس... كتاب لطيف قوي وملهم فيه آيات كتير مهمة بتفيد الإنسان في حياته...

ساد الصمت للحظات وسمير ينظر في عيني طارق الذي كان متوترا جدا لا يعرف النقطة التي يريد سمير الوصول إليها من الحوار وأكمل سمير

obeikandl.com

كلامه وهو يمد جسده للأمام متكئا على ركبتيه:

– فيه آية فيه بتقول لك (لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون)... المسيحيين في حكم الإسلام يعتبروا مشركين بالله وكفرة... حتى فيه آية تانية بتقول لك (كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)...

اندهش طارق لحفظه الآيات فهو نفسه لا يعرفها!! فقال:

– الحقيقة أنا مش حافظ القرآن بصراحة بس كل اللي أعرفه إن احنا ممكن نتجوز ست من دين تاني عادي مش حرام... واعرف إن سيدنا محمد نفسه كان ليه زوجة قبطية....

– طب ولو كان حرام كنت هتتجوزها برضه؟؟

– يا عمي أنا ما اعرفش الآية اللي حضرتك قلتها أصلا ومش متدين قوي للدرجادي ولو حضرتك بتلمح كل ده لنيتي من ناحية مادلين علشان تتأكد منها... فأنا بحب مادلين قوي وحتى لو كان جوازي منها حرام كنت هتجوزها برضه...

وضع سمير ساقا على ساق وقال بهدوء

– بس هي ما ينفعش تتجوزك يا طارق

تغيرت ملامح طارق للخوف وقال:

obeikandl.com

- ليه؟؟

- علشان إحنا عندنا ما ينفعش... في المسيحية ما ينفعش... لازم تتجوز مسيحي زيها...

صمت طارق وشعر بالحيرة تزداد داخله ولم يرد وابتسم سمير وهو يكمل:

- إلا في حالة واحدة

قال طارق متلهفا:

- إيه هي؟

- تتعمد

- يعني إيه؟

- تتعمد بروح القدس وتعرف المسيح... يعني تبقى مسيحي يا طارق

انتفض طارق من المفاجأة فلم يكن يتوقع ذلك الحل ولم يطرأ حتى على عقله وعندما تأكد سمير من أنه حقق هدفه من النقاش أكمل كلامه قائلا:

- ده الحل الوحيد... وانت شاب مهذب واحنا عارفينك كويس ومتربي وسطنا مش باقي بس غير إنك تبقى واحد مننا بروحك...

- طب وبابا وماما؟

- ما لهم؟

- هيوافقوا على ده؟

- إنت سيبت لهم البيت خالص علشان مادلين

obeikandl.com

- أيوه بس.... البيت حاجة والدين حاجة تانية... ربنا؟؟

- عموما يا طارق أنا عن نفسي ما عنديش مانع إنكم تبقوا مع بعض... بس موافقتي مش كفاية.. حتى لو كنت ليبرالي شوية بس أنا ما اقدرش أقف قدام الكنيسة والمجتمع المسيحي... لازم تساعدني لو كنت فعلا بتحب مادلين وخايف عليها...

ارتبك طارق ولم يجد أي إجابة فابتسم سمير ونهض من مكانه إيذانا بانتهاء المقابلة وهو يقول:

- خد وقتك ولما تقرر وتحدد موقفك قول لي.... آه... نسيت أشكرك إنك حافظت على بنتنا وسيبتها فيرجين زي ما هي...

احمر وجه طارق خجلا لاكتشافه معرفة سمير بما دار بينه وبين ابنته فنهض سريعا من مكانه واستأذنه في الرحيل وخرج من غرفة المكتب متجها نحو باب الشقة لتخرج مادلين من باب غرفة أخرى لتنظر إليه ويبدو في عينيها آثار البكاء فيتوقف طارق لحظات نظر فيها لها ثم نظر لأبيها الواقف أمام باب مكتبه هادئا ثم أكمل طريقه منصرفا وقلبه ممتلئ بالحزن وبالحيرة....

* * *

تعالت ضحكات لينا وهي تمزح مع زملائها الموسيقيين في البروفة... فقد أخبرها المتعهد عن حفلة قادمة في الغردقة فتقابلوا للتحضير لها بعد ميعاد عملها أو قبله تبعا لمواعيد الأستوديو الذي يؤجرونه... لم تلاحظ هاتفها الذي كان يرن فقد وضعوا جميعا هواتفهم على الوضع الصامت لكي ينتبهوا لما يعزفونه من موسيقى ويسجلونه ويحفظونه... لمحت أن هاتفها كان

يرن فأشارت لهم بالتوقف للحظات قائلة:

- معلش يا جماعة ثواني بس علشان دي أمي بس لازم أرد.... ألو... أيوه يا ماما... ما كنتش واخدة بالي كنت عاملة التليفون سايلنت... أنا في البروفة ما انتي عارفة

كانت تحاول أن تتكلم بشكل هادئ وطبيعي كي لا تلفت نظر زملائها للمشاكل التي تعيش فيها ولكن صراخ أمها وصوتها كان عاليا لدرجة وصوله لمسامعهم من هاتفها في هذه الغرفة المبطنة الجدران التي يجلسون فيها والتفتوا جميعا إليها فشعرت بالإحراج ونهضت خارجة وأغلقت باب الغرفة وراءها وهي تقول لأمها بحدة:

- إنتي بتزعقي ليه دلوقت مش فاهمة؟؟

- بزعق ليه!! الساعة كام؟؟ إنتي مش واخدة بالك يا ست هانم ولا إيه؟؟!! بروفة إيه لحد دلوقت!!

- يعني إيه بروفة إيه!! ما تبطلي بقى أسلوبك ده وكفاية قرف

- قرف!! اخرسي يا قليلة الأدب... بروفة إيه اللي شغالة لحد دلوقت... بتتصرمحي فين على حل شعرك انطقي

بدأت الدموع تتساقط من عيني لينا وصوتها يعلو وخرج اثنان من زملائها ليطمئنوا عليها فوجدوها تصرخ في الهاتف فتوقفوا مكانهم ولم تلاحظهم لينا وهي تقول:

- حرام عليكي كفاية بقى.... إنتي عايزة مني إيه.. صرمحة إيه اللي بتتكلمي عليها ما انتي كنتي بتعملي بروفات زمان وكنتي بتغني وعارفة إن البروفات

بتتأخر!! ولا انتي عايزة تشتميني وتهزقيني وخلاص... كفاية بقى كده أنا زهقت..

- أيوه يا بت ابلفيني بشوية المسكنة دول... لما ترجعي أنا هشوف شغلي معاكي يا بنت ال...

لم تكمل أمها الكلمة فقد أغلقت لينا الخط في وجهها وجلست على كرسي بجوارها تبكي واقترب منها زميلاها ليقول أحدهم:

- في إيه يا لينا؟؟ إنتي كويسة؟؟

مسحت لينا دموعها بعد أن انتبهت لوجودهما لتداري على الموقف وترسم ابتسامة على وجهها قائلة:

- آه... أنا كويسة ما فيش حاجة... ماما بس كانت قلقانة عليا شوية اتأخرت أصلي نسيت أقولها إني عندي بروفة بعد الشغل

اضطرت أن تكذب لتحافظ على ماء وجهها فأشار زميلها إلى الآخر أن يتركهما وحدهما فعاد الآخر إلى داخل الغرفة مغلقا الباب وراءه وتركهما ليجلس بجوارها قائلا:

- في إيه يا لينا؟؟ أنا عارف إن فيه حاجة كلنا سمعنا صوت مامتك وهي بتزعق في التليفون وبتشتم

صمتت لينا وأشاحت بوجهها وبكت فربت هو على كتفها قائلا بتأثر:

- إحنا صحاب من زمان ويا ما اشتغلنا مع بعض تقدري تتكلمي معايا لو عايزة

قالت لينا وهي تحاول أن تتحكم في دموعها لتتوقف وتمسحها بيدها:

- ربنا يخليك أنا عارفة... بس الحكاية تفاصيلها كتير وانا ما بقتش

obeikandl.com

قادرة أحكي خلاص

- اللي يريحك بس أنا عايزك تعرفي يا لينا وتتأكدي إني بعزك جدا وبحترمك وكل الناس اللي جوه في البروفة برضه بيحترموكي قوي كإنسانة وكفنانة... طول الفترة اللي عرفتك فيها عمري ما شوفت منك أو سمعت عنك من أي حد حاجة مش كويسة.... بالعكس يمكن الناس كلها في الوسط بتاعنا سواء عازفين أو مطربين اللي يعرفوكي بيقولوا عليكي من ضهرك إنك من أكتر الناس في شغلانتنا جدعة ومحترمة وفنانة بجد وحقانية.... اوعي تخلي أي حاجة في الدنيا تكسرك أبدا... أنا بقول لك الكلام ده علشان تاخدي بالك من نفسك وما تضعفيش أبدا....

ابتسمت لينا ونظرت إليه قائلة:

- أنا متشكرة قوي...

ابتسم بدوره قائلا:

- مش محتاجة تشكريني على حاجة... ده حقك وانا ما قولتش غير الحقيقة... عموما امشي انتي دلوقت ونكمل اللي ناقص في البروفة اللي جاية...

نهضوا وعادوا إلى الغرفة لتلملم لينا أغراضها ونظرت إلى باقي الفرقة فنهضوا جميعا متعاطفين معها وسلموا عليها بابتسامات تحمل المساندة والحب وكأنهم يقولون بنظراتهم لها كما قال زميلهم بالخارج وهي تستأذنهم في الرحيل.... طوال الطريق في التاكسي ظلت لينا تسترجع علاقتها بأمها وكلام صديقتها هاجر... أصبح لا بد من أن تترك البيت وترحل... فاض بها الكيل ولم تعد قادرة على التحمل أكثر من ذلك.... تستنزف كل طاقتها

obeikandl.com

في تحمل إيذائها شبه اليومي وتسلطها وأموالها التي تؤخذ منها والطاقة السلبية الهائلة التي تخترقها رغما عنها في كل ليلة تعود فيها للمنزل... إنها لا ترغب سوى في استقرار نفسي وبدني وهدوء... مكان تشعر فيه بإحساس البيت والأمان.... سنوات من الشجار والشتائم والصوت العالي المزعج والتحكمات والاتهامات الباطلة دون أي مبرر.... بجانب طبيعة عملها التي تجعلها تواجه كثيرا من الشخصيات المتطفلة كذلك المنتج اللزج.... كثير جدا من الضغوط في أحكام الناس ونظراتهم لمجرد كونها تعمل ليلا!!... في البيت وفي الشارع وفي العمل فقط لا شيء غير الضغوط... أصبحت على وشك الانهيار تماما... لا بد من قرار... ولكن من أين تأتي بالأموال التي تساعدها كي تبدأ حياتها وتؤجر مكانا جديدا؟.... الإيجار والمقدم والأجهزة كل ذلك سوف يكلفها كثيرا إنها تحتاج ما لا يقل عن خمسين ألفا من الجنيهات وهي لا تملك كل هذا المبلغ... كانت قد وصلت عند باب الشقة وفتحت الباب ودخلت لتجد أمها في انتظارها... أصبحت تكره ملامح وجهها فحاولت تجاهلها وهي تتجه نحو غرفتها إلا أنها استوقفتها قائلة:

- خدي يا بت انتي تعالي هنا

توقفت لينا ثم استدارت لتنظر لها قائلة وهي تتحكم في أعصابها:

- ممكن أخش أنام أنا تعبانة ومش قادرة أتخانق النهارده... خلينا نأجل الخناقة دي لبكرة...

- إنتي بتتريقي عليا يا حيوانة يا قليلة الأدب!! قصدك إيه؟؟ قصدك إني ست نكدية يعني وغاوية خناق!! ليه يا حبيبتي ما انتي رايحة جاية براحتك

obeikandi.com

أهو وهو حد عارف يكلمك ولا يحكمك!! داخلة البيت الساعة ٤ الصبح عايزة إيه أكتر من كده!! هو انتي هتلاقي أم زي كده فين؟!! ده لو أم غيري كانت قطمت رقبتك وكسرت عضمك... وكمان مش عاجبك!! أما صحيح بنت كل...

- ما بس بقى كفاااااية

صرخت لينا فجأة بصوت عال لدرجة أن أمها جفلت وهي تكمل:

- كفاية بقى كفاية حرام عليكي!! إنتي إيه؟!! إنتي ما عندكيش قلب؟؟ هو انا مش بنتك؟!! إنتي دمرتيني... كل يوم شتيمة وخناق والجيران على طول سامعين صوتك وعارفين كل حاجة عننا وفضايح وفلوسي كلها واخداها... يا شيخة ده انتي لو لقياني في الشارع مش هتعملي فيا كده!! أنا كل يوم بداري الجرح اللي في رقبتي علشان الناس ما يشوفوهوش ويسألوني إيه ده ومن إيه.... علشان ما يقولوش إن أمي هي اللي عملت فيا كده... عايزة تبيعيني لأي واحد معاه فلوس من الألاضيش اللي بتعرفيهم علشان تاخدي من ورايا قرشين وخلاص!!!... كل ده وساكتة وما بتكلمش وعمالة أزق فيكي بس علشان تسيبيني في حالي... بس تسيبيني في حالي... وبرضه مش عايزة... زي ما تكوني نادرة ندر إنك تموتيني بالبطيء.... حرام عليكي حراااااام....

استجمعت أمها نفسها لكي لا تنهزم وصرخت بدورها:

- أيوه يا بت أيوه خدوهم بالصوت.... خفت أنا كده وكشيت!! إنتي فعلا زودتيها قوي ولازم أقطم لك رقبتك

قالتها وجذبت لينا من شعرها فصرخت من الألم وهي تمسك بيد أمها وبدأت تتعالى طرقات على باب الشقة وأصوات الجيران بالخارج يتساءلون

عما يحدث والأم تجذب لينا من شعرها بقوة أكثر فسقطت أرضا وهي تقول:

- أهم الجيران اتلموا أهم تحبي أفتح الباب واقولهم مين اللي فاضحني واخليكي تسمعي بودانك بيقولواعليكي إيه وعلينا إيه؟؟

كانت لينا تصرخ وتحرك يدها لتحاول أن تجد شيئا لتدافع به عن نفسها وما أن شعرت بشيء في متناول يدها حتى أمسكت به وغرزته في يد أمها فصرخت الأخيرة بدورها صرخة شديدة وتركت شعرها لتنهض لينا وتنظر لها فتجد أن ما غرزته في يدها هو نفس المبرد الذي جرحتها يوما به... فزعت لينا للمشهد وانهمرت دموعها وأسرعت بعصبية نحو الباب الذي ما زالت الطرقات تزداد عليه لتفتحه فجأة وتنظر في وجوههم جميعا وتصرخ:

- إيييييييه... عايزيين إييه... ما حدش له دعوة بينا... حرام عليييييكم.... غوروا في داهية...

وفزع الجيران من صراخها ورد فعلها الحاد جدا وتفرقوا جميعا لتغلق هي الباب بقوة في وجوههم وتعطي الباب ظهرها لتقع أرضا ببطء وهي تمسك رأسها وتبكي بحرقة شديدة... تبكي كل البكاء الذي لم يكن قد اكتمل من قبل...

* * *

ظلت ريم طوال الأسبوعين تفكر هل هي تحب سيف حقا!! أم أنها فقط تشعر بفراغ لغياب سوزي التي أصبحت تتعامل معها فقط في حدود الصداقة العادية جدا وتوقفت أية علاقة جنسية بينهما وفي العمل تتعامل معها رسميا كمديرتها... الحق أنها ليست فتاة سيئة وكانت صريحة معها ولم

تخدعها ولم تنخدع هي أيضا ولم تتعامل معها بأي شكل يدل على غضبها مما حدث بينهما من خلاف شخصي... كانت في طريقها للجلسة مع سيف بعد مرور أسبوعين... تشعر من داخلها أنها تفتقده حقا... ترى هل هو متزوج؟؟ لم تسأل نفسها هذا السؤال من قبل ولكنها لم تلاحظ أي خاتم في يده يدل على زواجه وكيف وهو على هذا القدر من الوسامة والذكاء يعيش بلا امرأة في حياته؟؟ قد يكون مطلقا أو أرملا؟؟ ترى هل عنده أطفال؟؟ سرحت في تساؤلاتها وتوقعاتها حتى وصلت عند باب مكتبه ودخلت وهي تطرق الباب المفتوح كعادتها وتستأذنه في الدخول وكان هو جالسا على المكتب يقرأ في كتاب وكالعادة تخرج من اللاب توب بجواره موسيقى ال Jazz الهادئة كانت الأغنية لمطربة اسمها (Sara Lazarus) تغني (smile)... رفع سيف وجهه عن الكتاب لينظر نحو ريم ويبتسم وهو يخلع نظارته قائلا:

- أهلا ريم اتفضلي

دخلت ريم وهي مبتسمة وجلست لتنظر إليه وهي تقول:

- إزيك يا دكتور؟

- شكلك أحسن ووشك رادد واضح إنك رجعتي تنامي كويس وتاكلي كويس

- أيوه... وما رجعتش تاني للأدوية القديمة وعرفت أوقف من تاني يوم زي ما قلت لي

- هايل يا ريم... وأخبار البنت اللي كنتي بتحكي لي عنها آخر مرة إيه؟؟... لسه فيه مشاكل ما بينكم؟؟

obeikandl.com

– لأ خالص إحنا ما بقناش مع بعض بس... كان عندك حق لما قلت لي إن أنا اللي كنت عايزة أثبت لنفسي إني ما اترفضش بس وهو ده اللي ضايقني إنما أنا ما بحبهاش ولا حاجة..

ابتسم سيف قائلا:

– لأ ده احنا اتحسنا قوي... والأسئلة الأخرانية حلتيها؟

– أيوه... أنا مستغربة حاجة واحدة بس عايزة أسألك عنها من المرة اللي فاتت

– إيه هي

– إحنا لحد دلوقت ولا مرة اتكلمنا عن إني بنام مع الستات... ولا مرة لمّحت في كلامك للجنس مع إني كنت فاكرة إن هو ده السبب في تعبي!!

أشعل سيف سيجارة ونهض من مجلسه ليغلق باب المكتب ويجلس أمامها ويقول:

– المشكلة عندك مش في ميولك الجنسية... المشكلة في سلوكك وردود أفعالك في العلاقات العاطفية سواء الطرف التاني راجل أو ست... المشكلة مش مع الطرف التاني... المشكلة كانت دايما عندك انتي... علشان كده تركيزي كان كله على الماضي وعلاقتك بوالدتك لأنها أساس المشكلة كلها والأسئلة اللي كنت بديهالك علشان تحليها بتفرد قدامك المشاكل في هيئة أسئلة مباشرة ساعات وغير مباشرة ساعات... ساعدتك على مواجهة الأجزاء المدفونة جوه منك وإنك تخرجيها للنور على ورق ونتكلم مع بعض

obeikandl.com

فيها... الحاجات دي جوه منك كانت عاملة زي الحِمل... كأنك ماشية طول عمرك بشوالين كبار مليانين طوب على ضهرك بيتقلوا رجلك وبيتعبوكي ويخلوكي عصبية وردود أفعالك مع الناس كلها حادة وناتجة عن الحمل نفسه أكتر من سلوكيات الناس نفسها... إحنا كل اللي عملناه مع بعض إن احنا فضينا الشوالين دول وما بقاش على ضهرك أي حمل..

- فعلا أنا حاسة إني خفيفة... من جوه ومن بره لدرجة إني عايزة أرقص...

نهضت ريم فجأة من كرسيها وبدأت ترقص وتدور حول نفسها وكانت تخرج من اللاب توب موسيقى (Bach violin concerto in A minor firs movement by Bobby McFerrin)... ضيق سيف عينيه وهو يتابعها ويفكر فيما تفعله واقتربت منه ريم فجأة لتشده نحوها وهي تقول:

- أرقص معايا

حاول سيف أن يزيح يدها ببطء وهدوء من حول رقبته إلا أنها ضمته نحوها وهي تقول وقد بدأت تشعر بالإثارة:

- إنت خايف مني يا سيف؟؟ ليه مش عايز ترقص معايا؟؟ أنا عايزة أرقص معاك!!

كان سيف يحاول التملص منها وهي تكمل:

- ما تبعدنيش عنك.. وانا بحبك وعارفة كمان إنك بتحبني... باين في عينيك

أمسك سيف يديها بقوة وأزاحهما عن رقبته وهو يقول:

- اهدي يا ريم... اهدي واسمعيني

obeikandl.com

ظلت تحاول الإمساك به وهو يتملص منها وأزاحها ليذهب نحو اللاب توب مغلقا الموسيقى ونظر لها قائلا بلهجة حادة وهو يقترب منها ليمسكها من كتفيها ويجلسها:

- فوقي يا ريم... فوقي واهدي

نظرت له ريم وهي مصدومة للحظات ونظرات عينيها تائهة في عينيه وفجأة انخرطت في بكاء شديد وهي تقول:

- أنا آسفة... أنا آسفة

أخرج سيف محقنا به مهدىء وشمر عن ذراعيها وحقنها لتهدأ شيئا فشيئا وأنهضها وهو يسندها حتى وصل بها إلى الأريكة ليمددها عليها وذهبت هي في نوم عميق من تأثير المهدئ... وعدل هو من شعره وهندامه وعاد للجلوس وراء مكتبه لينادي على السكرتيرة ويطلب منها كوبا من القهوة... ثم أشعل سيجارة... كان متوقعا آخر هجمة للمرض ومنتظرا حدوثها إنه يحاول الإيقاع به هو شخصيا لكي لا يسمح لريم بالنجاة وكي تعود كما كانت... المرض النفسي كالفيروس يحاول الهجوم أحيانا للبقاء على قيد الحياة وكان هو الذي يشكل التهديد الرئيسي والأخير لحياته ولكنه كان منتبها ومستعدا لهجمته ودفاعه عن نفسه... وهذه هي آخر مرحلة من مراحل المرض وأولى مراحل التعافي الحقيقية... ابتسم سيف في هدوء ليعيد تشغيل الموسيقى ويفتح الكتاب أمامه مرة أخرى منتظرا عودة ريم لوعيها في خلال ربع ساعة على الأكثر وعودتها أيضا لحياتها ونفسها لأول مرة منذ سنين طويلة...

* * *

obeikandl.com

اشترى نادر علبة سجائر من الكشك واستدار ليرتب أمواله ويضعها في جيبه وفتح العلبة ليشعل سيجارة ولمح تلك السيارة تتوقف على الناحية الأخرى من الشارع ليهبط منها السائق سريعا ويدخل بناية مجاورة وتلتفت الفتاة التي كانت تجلس بجواره نحو نادر فيتسمر مكانه... إنها رشا... اتسعت عينا رشا فور رؤيته ولكن نادر لم يتحرك من مكانه ولم تتحرك هي الأخرى من السيارة بل ظلا ينظران لبعضهما البعض... شعر نادر بقدميه تهتزان وشعر بخليط من الخوف واللهفة في نفس الوقت!! لم تكن المرة الأولى التي يصادف فيها أحد أصدقاء الضرب القدامى وعادة لم يكن يجيب نداءهم إذا نادى عليه أحدهم وأحيانا كان يعدو في الشوارع كالمجذوب أو اللص هربا من المواجهة إذا كانت حتمية وأصبح أهدأ بعد مرور سنتين من التعافي... يتجنبهم ولكنه لا يتوتر مثلما كان يفعل وفي الأغلب أصبحوا هم من يتجنبونه لكي لا تذكرهم رؤيته بوضعهم المؤسف وضعفهم ولكن... إنها رشا... رشا لم تكن مجرد صديقة ضرب بل كانت رفيقته وحبيبته أيضا وفي نفس الوقت أخطر شخص عليه الابتعاد عنه كما كان يخبره وائل... الصراع كان يحطم عقله من الداخل ونتج عنه أن قدميه خرجا عن سيطرته فاستند بيده على السيارة المركونة بجانبه وظلت عيناهما تتابعان بعضهما البعض ودار بينهما حوار بالنظرات لم يره أحد غيرهما فقد كان نادر يقول لها:

- وحشتيني قوي يا رشا... قوي

- وانت كمان يا نادر وحشتني قوي... إنت مش متخيل وحشتني قد إيه!! أنا ضايعة من غيرك...

obeikandi.com

- شوفتي أنا عرفت أبطل... طلع فيه ملفات نرجع منها أنا كنت غلطان... فيه رجوع من الطريق ده... مش مكتوب علينا الموت والضرب ولا حاجة!!...

ابتسمت عينا رشا وسقطت منها دمعة وكأنها تسمعه وتقول:

- يا ريتني سمعت كلامك ساعتها ما كنتش هبقى نفسى ألمس وشك دلوقت ومش عارفة.... أنا مبسوطة علشانك قوي يا نادر وفرحانة لك... شكلك حلو قوي ووشك منور....

كان السائق قد خرج من البناية مرة أخرى وبدأ يتحرك بالسيارة واعتدل نادر في وقفته وكأنه يقول لها:

- استني يا رشا ما تمشيش... تعالي معايا... لسه فيه فرصة... تعالي معايا...

ولكن السيارة انطلقت وظلت عينا رشا تتابعان عيني نادر للوراء حتى اختفت السيارة وسط الزحام والناس...

- إيه يا رشا إنتي شوفتي حد تعرفيه ولا إيه.؟

سأل الشاب السائق رشا فقالت له وعيناها ممتلئتان بالحزن:

- لا أبدا ولا حاجة... ده واحد كنت بشبه عليه بس..

وصلا بالسيارة عند ميدان ما فتوقفا وظلا يتلفتان حولهما حتى لمحا ذلك الشاب قادما نحو السيارة مسرعا ليفتح الباب الخلفى ويركب قائلا:

- يلا بينا يلا...

obeikandl.com

فتحركوا بالسيارة وفتح الشاب ورقة كبيرة بحرص بها قطع من الهيروين كالطوب الصغير فنظر له السائق نظرة سعيدة وهو يقول:

- العب بقى يا معلم... يا حلوياتك... قسم وروقنا بسرعة

فنظر له الشاب في مكر قائلا:

- فلوسكم الأول يا حبيبي... البكا على راس الميت

تململ السائق وهو يقول:

- ياعم واحنا هننصب عليك!!... ما تخلص إحنا تعبانين بنموت..

نظرت له رشا وهي تمد له يدها بالأموال وتقول:

- امسك يا عم وخلص والنبي

تلقف الشاب الأموال من يدها قائلا:

- أيوه كده... الله عليكي

وأعطاها الورقة بعد أن أخذ منها نصيبه وأخرجوا جميعا السرنجات وقاموا بتحضيرها وحقنوا أنفسهم... لم تمض عشر دقائق حتى مالت رأس رشا للوراء بشكل حاد فجأة وسقطت السيجارة من يدها فنظر لها السائق بتوتر وهو يقول:

- رشا... رشا؟؟

لم ترد عليه فأخذ السيجارة الساقطة منها وألقاها بالخارج وأخذ يهزها بقوة ويضربها بكفه على خدها ولكنها لم تستجب وبدأت تخرج من فهما رغوة بيضاء واختفى معظم بؤبؤ العين وصعد للأعلى... بدأ السائق يفزع وانتبه الشاب وراءهم فقال:

obeikandl.com

- فيه إيه يا معلم؟.. البت أفورت ولا إيه!!

- شكلها كده

- يادي الفصلان... طب خش أي شارع جانبي يكون فاضي بسرعة...

وما أن وجدا شارعا جانبيا هادئا حتى توقفا وهبط الشاب من الخلف وفتح باب رشا وأخذ يحاول أن يعيد لها وعيها ويمسح وجهها بالماء والسائق يحاول معه بدوره دون أي فائدة... لا يوجد نبض ملحوظ... فنظر الشاب نحو السائق قائلا:

- تعرف بيتها فين؟

- لأ

- أُمال تعرفها منين؟

- اتعرفت عليها عند تاجر كده واحنا بنقضي من فترة وكانت لوحدها معهاش حد ووصلتها بالعربية ونزلت في شارع عمومي مش عند بيت معين... لا أعرف هي منين ولا بيتها فين... نوديها مستشفى؟

- إنت اهبل عايزنا نخش في سين وجيم ونتحبس!!

- أُمال نعمل إيه!! بسرعة قبل ما حد يشوفنا ولا نلاقي المباحث فوق دماغنا

فتش الشاب جيوبها فلم يجد أي أوراق أو بطاقة...ثم فكر لثوان ونظر حوله جيدا في الشارع من الناحيتين... لا يوجد أحد فقال:

- طب يلا انزل ساعدني بسرعة

- هنعمل إيه؟

obeikandl.com

- هنحطها جنب الحيطة يعني هنكون هنعمل إيه؟

اتسعت عينا السائق وتردد للحظات إلا أن الشاب قال له في حزم شديد وبحدة:

- يلا يا عم انت اخلص... قبل ما نروح في داهية

فنزل السائق ودار حول السيارة ليحملاها ويضعاها بجوار الحائط كأنها جالسة ووضعا سرنجتها المستعملة في يدها واستعدا للرحيل إلا أن السائق قال له فجأة:

- أخدت البودرة منها؟

فعاد الشاب نحوها سريعا ليأخذ الهيروين من جيبها ويعود كالطلقة ليركب مكانها في السيارة لينطلقا بها مبتعدين تاركين رشا وحدها وقد فارقت الحياة ببطء شديد في شارع جانبي مهمل لا يوجد به أحد إلا بعض القطط الضالة التي نظرت إليها وكأنها حزينة على تلك الفتاة التي كانت يوما ما ترقص الشمس مع ابتسامتها...

* * *

منذ مقابلته لراشد وعمر يفكر في كلامه طوال الوقت... هل ما سيقوم به سيغير من الوضع شيئا؟؟ هل سفك مزيد من الدماء حل؟؟ هل قتل أبي بكر سيغفر له ذنب من قتل فيما سبق؟؟ يبدو أن كل معالم الأشياء في عينيه وشكل الأفكار في عقله كان معكوسا لسنين طويلة... لا بد أن تلك الرحلة التي عاشها منذ ولادته في الدنيا لها حكمة أخرى غير كل تلك الحروب وكل ذلك الألم... كم طفل تيتم وكم زوجة ترملت وكم أم أصبحت مكلومة أو

obeikandl.com

ذهب نور عينيها من الحزن على وليدها بضغطة من إصبعه على الزناد؟؟؟ عندما يكبر هذا الطفل اليتيم دون أبيه كيف ستصير ملامحه وكيف سيشعر وكيف سيكون شكل حياته؟؟ هل سيكون مشابه له عندما يكبر ممتلئا بالحقد والسخط على المجتمع وعلى من قتل أبيه وعلى نشأته يتيما وحيدا دون ذنب اقترفه فيصبح معول هدم آخر جديدا في جانب مختلف من الحياة؟؟؟ ذلك الطفل سيحمل نفس مشاعره؟؟؟ إنهما يشبهان بعضهما البعض كثيرا؟؟؟ هل ماتت الأم والزوجة وراء فقيدهما حزنا عليه؟؟ تماما كما ماتت أمه حزنا على أبيه؟؟ هل من الممكن أن تكون طلقة واحدة قد تصيب أسرة كاملة وتقتلهم جميعا وليس فردا واحدا كما ترى العين؟؟.... هل قتل أبي بكر سيمنع هذه السيناريوهات من الحدوث؟؟... للأسف قد قتل من قتل ومن نجا فقد نجا وانتهى الأمر... إحاسسه بالذنب وغضبه الجديد هو نفس غضبه القديم لم يختلفا في شيء سوى في السبب فقط... إن راشد على حق كما كان دوما... الحل داخلي وليس خارجيا... المشكلة منذ البداية لم تكن مع أحد آخر غيره... كانت دوما بينه وبينه... لقد استسلم للحقد بداخله وانتقم من البشر اعتقادا منه أنهم السبب في فقره وفيما حدث لأمه وأبيه وذلك اعتراضا على القدر وعلى مشيئته أيضا ولا يمت لأي تعاليم دينية بصلة.... لقد اختلطت عليه الأمور وأصبح لا بد أن يمضي راحلا... لم يعد له مكان هنا... ليرحل من مصر ويذهب إلى أي مكان آخر بعيد فهو يعرف دروبا كثيرة ليخرج بها من هنا ومعه ما يكفي من أموال هرب بها من العراق... وليعيش وحده بعيدا عن كل هذا الصخب وكل

obeikandl.com

تلك المعارك الكاذبة... يعيش ليهذب نفسه ويبحث بداخلها عن الحقيقة.... عن حقيقته وأن يحاول تطهيرها من كل ما علق بها من آثام حتى يلقى ربه... لعله وقتها يفهم كل شيء ويعرف الحقيقة كاملة ولعله يسامحه ويحكم في أمره فهو الوحيد المطلع على كل شيء وهو الوحيد من لا تضيع عنده الحقوق ولو كان مذنبا فهو راض بحكمه وعقابه بنفس راضية.... سيذهب في الميعاد لمقابلة مرسال مصطفى الذي بعثه إليه بالطبنجة والطلقات ليخبره أنه لا يريدهما ويبلغ مصطفى عن طريق المرسال أنه لن يكمل ما نوى وسيرحل عن البلاد مرة أخرى ويرجوه أن يسامحه على آخر مقابلة بينهما فهو لم يكن يقصد أي تعال من كلامه وأنه سيظل دائما ممتنا له على صداقته فلم يكن له طوال حياته أي أصدقاء غيره... وذهب عمر بالفعل في الميعاد أمام ذلك المطعم وتوقف ليأكل ما اشتراه من طعام إلى أن جاء شاب ليقف بجانبه ويضع طعامه على نفس السور وبجانب الطعام وضع كيسا أسود وهو يقول دون أن ينظر له:

- أنا رسول مصطفى

أجابه عمر دون أن ينظر إليه بدوره:

- وانا عمر

هم عمر أن يخبره بأنه لن يستلم الطرد وبالرسالة التي ينوي إيصالها لمصطفى إلا أن المرسال قال له وهو يأكل أيضا:

- مصطفى اتمسك من تلات أيام وأمن الدولة عايزينك انت وبيدوروا عليك... الحاجة في الكيس الاسود

obeikandl.com

صدم عمر من الخبر ولم ينطق بما كان يريد قوله وشعر بقلبه يعتصر حزنا على مصطفى فهو السبب فيما يحدث له الآن من عذاب فتلجم لسانه وجز على أسنانه غضبا وقال المرسال ما قاله ثم لملم طعامه وانصرف تاركا الكيس الأسود وظل عمر ينظر لدقائق نحو الكيس ثم مد يده ليأخذه وينصرف بدوره حاملا ما بداخله من غضب جديد...

* * *

لم تذرف نرمين دمعة واحدة وكأن دموعها انتهت ولم تعد عيناها قادرتين على إنتاج دموع أخرى تكفي للتعبير عما تشعر به... فقد رحل آخر من لها في الحياة وبكل بساطة وهدوء وفي لمح البصر!!... استيقظت من نومها لتجد أباها قد أصبح مجرد جسد بارد لا يوجد به روح... لم تصرخ... لم تبكي... وكأن الذهول كان أقوى من استجابتها.... هل قررت السماء أن تأخذ منها كل ما تملكه في الدنيا خلال شهر؟؟!! فقط ثلاثون يوما؟؟!!!... لماذا؟ وماذا فعلت لتستحق هذا؟!!!.... دارت في عقلها كل تلك الأسئلة التي لا توجد لها أي إجابات.... كان رد فعلها الوحيد هو مكالمتها لابنة خالتها وكان صوتها هادئا تماما بشكل مقلق جعل الأخيرة غير قادرة على الفهم... فقط (ألو... بابا مات)... اتصلت شيماء ابنة خالتها بلينا لتأتي وبعض الأقارب القليلين جدا فلا يوجد لهم الكثير من الأقارب... وظلت نرمين صامتة في الصلاة وفي الجنازة وفي العزاء وحتى بعد انصراف الجميع... لم يتبق معها غير شيماء ولينا وباتوا معها ليلتها وكانت لينا قد تركت بيت أمها بعد ما حدث وذهبت لإحدى صديقاتها حتى تحاول أن تحدد مصيرها وأحاسيسها المشتتة وعندما علمت بالخبر ذهبت مسرعة وباتت معهم

obeikandl.com

فهي خارج بيتها في جميع الأحوال ولكن الحفلة التي كانت تحضر لها هي والفرقة في اليوم التالي ولا بد أن تترك نرمين لثلاثة أيام... اعتذرت لها وهي محرجة منها إلا أن الأخيرة ابتسمت لها في هدوء وتقبلت اعتذارها بشكل أثار حيرتها!!... هل هذا الهدوء هو الذي يسبق العاصفة؟؟؟ إن الصدمة شديدة عليها بالفعل ولا بد أن تنفجر إن عاجلا أو آجلا... كانت تود لو تترك الحفلة وكل شيء وتظل بجوارها لولا أن التذاكر قد بيعت بالفعل والمتعهد قد تقاضى الأجور ولم يعد في إمكانها إلغاء الحفلة... أوصت شيماء عليها ورحلت... واضطرت شيماء أيضا أن تعود لبيتها ولأولادها التي تركتهم وحدهم مع زوجها ولأن إجازتها عن العمل قد انتهت وطمأنتها نرمين بأنها بخير ورفضت تماما عرضها عليها أن تأتي لتبيت معها وأصرت على البقاء وحدها بشدة فهي لا بد أن تجمع أشياء والدها ووالدتها وتنهي بعض الأوراق وتفكر فيما ستفعل وهل ستنتقل لتعيش في مكان آخر أو قد تسافر يومين في مكان ما لتستجمع شتات نفسها... قالت ذلك واطمأنت عليها ابنة خالتها ورحلت... وأصبح البيت خاليا تماما إلا منها وحدها.... جلست على الأريكة لتنظر نحو صورة أبيها وأمها ونظرات عينيها خاوية ومتجمدة!!... كثير من الأسئلة التي اختلطت عليها فلم تخرج في نهاية الأمر سوى في هيئة صمت... صمت مهيب وكأنه صندوق قديم ضخم مليء بالأقفال الصدئة ملقى في قاع بحر عميق منذ مئات السنين تتجنبه حتى الأسماك وتلتف من حوله في طريقها.... مرت ثلاثة أيام وكانت تتصل شيماء بها فلم يرد عليها أحد من هاتف المنزل وعندما حاولت على هاتف نرمين المحمول وجدته مغلقا... بدأت تقلق فاتصلت بلينا التي كانت قد عادت لتوها من حفلة الغردقة وقالت لها:

obeikandi.com

– نرمين ما بتردش عليا يا لينا على البيت وموبايلها مقفول... أنا قلقانة عليها

– مش يمكن تكون سافرت زي ما قالت لنا؟؟ أنا كلمتها أول امبارح بليل وأكدت لي إنها مسافرة كام يوم اسكندرية

– طب ما انا مش عارفة أطمن عليها ازاي إحنا ما لناش قرايب في اسكندرية وأنا مش عارفة هي بايتة فين هناك... وبعدين حتى لو كده قافلة تليفونها ليه؟!!!

– طب إيه رأيك شايفة إيه؟؟؟... تعالي نروح نعدي عليها ونسأل البواب.. ممكن يكون عارف هي فين أو تكون سايب لنا معاه خبر...

تقابلا ووصلا عند البناية وصعدا وطرقا باب الشقة عدة مرات فلم يجبهما أحد فنزلا مرة أخرى ليبحثا عن البواب فوجداه جالسا عند زميله في البناية المجاورة وسألاه ولكنه قال أنه لم يرها منذ ثلاثة أيام وقد تكون خرجت دون أن يلمحها ولكنها لم تترك معه أي خبر أو رسالة لأحد... ازداد قلقهما بشكل كبير خصوصا أنهما تذكرا هدوءها وردود أفعالها العجيبة قبل مغادرتهم لبيتها وأصرا على أن يصعدا مع البواب ليحطما باب الشقة ورغم أن البواب كان معترضا لأنها مسؤولية وتعتبر جريمة إلا أنهما ثارا في وجهه وقالا له أنهما المسئوولتان أمام القانون ولن يتركاه وسيذهبان معه للقسم... صعدوا جميعا وقام البواب بكسر الباب ودخلا سريعا وما أن شاهدا ما أمامهما حتى صرخت ابنة خالتها وسقطت لينا على مقعد وراءها غير مصدقة ما تراه... فقد كانت نرمين جالسة على الأريكة كما هي ولكن رأسها ساقط على صدرها

obeikandl.com

ويداها ساقطتان بجوارها وقدازرقت أصابعها... لقد ماتت وهي جالسة مكانها منذ يومين... لم يسأل عليها أحد... لم يحاول أحد الاطمئنان عليها....!!!.... لعنت لينا الحفلة والموسيقى وكل شيء وهي تبكي ندما لأنها تركتها وحدها ولعنت شيماء بيتها وعملها ويا ليتها أصرت أكثر على أن لا تتركها وحدها... ماتت نرمين وحيدة كما عاشت وحيدة.... ماتت دون صوت أو استغاثة أو أي اعتراض... ماتت في صمت كما عاشت في صمت... كم هي قاسية تلك الحياة وغير عادلة... كان مشهد نزول النعش الذي يحمل جثمان نرمين مهيبا رغم أن كل من كانوا يحملونه أو يحيطون به لا يتخطون العشرة أشخاص... وفتحت جميع أبواب الشقق المجاورة لها ليقف كل الجيران ينظرون للنعش خوفا وحزنا ولكن بعد فوات الأوان فمعظمهم أكل من لحمها وخاضوا في عرضها... ورغم أن المشهد قد خلا من زينب إلا أن وجهها كان يخيم على ملامح وجوههم جميعا.... دارت لينا بعينيها اللتين ملأتهما الدموع في وجوههم ببطء ونظراتها تحمل الاحتقار والكراهية وخفضوا جميعا عيونهم فور مرور نظراتها عليهم منكسين رؤوسهم مذنبين وكأنها تقول لهم:

- ماتت خلاص... ماتت اللي كنتم بتعلقوا عليها خطاياكم وذنوبكم... هتناموا مرتاحين ازاي بعد كده؟؟!!!

ولكنهم لن يعجزوا عن إيجاد ضحية جديدة ليلقوا عليها بأحمالهم ويمتصوا دماءها فيطمئنون أنهم أنقياء من الدنس وهم كل الدنس... وكل الإثم....

* * *

obeikandl.com

خرجت ابنة سامح من المدرسة وذهبت نحو السيارة التي تقلها دائما وتتبع أباها وعندما ركبت وجدت السائق مختلفا فليس هو من تراه منذ سنة كاملة فسألته:

- أُمال فين عمو فارس؟؟ إنت صاحب بابا؟؟

استدار السائق بوجهه نحوها مبتسما بهدوء وقال لها:

- أيوه يا سكر أنا جيت بدل عمو فارس علشان تعبان شوية

ابتسمت في براءة قائلة:

- اسمك إيه؟

- اسمى عمر

في نفس الوقت كان سامح يدخل مكتب اللواء الفرماوي مؤديا التحية العسكرية ليقول له الفرماوي:

- تعالى يا سامح

تقدم سامح ليجلس على المقعد أمام مكتبه ليكمل الفرماوي قائلا:

- إيه الأخبار؟ الواد اللي اسمه مصطفى ده اتكلم؟

- ما يعرفش حاجة يا باشا

انفعل الفرماوي فجأة وهو يقول:

- يعني إيه ما يعرفش حاجة!!! إيه الأرض انشقت وبلعته يعني؟!! مش عارفين نجيبه وهو في بلدنا ولا إيه؟!!

قال سامح بثقة:

obeikandl.com

- يا باشا هجيبه سعادتك والله لو كان فين... هجيبه

رن جرس هاتف سامح فنظر إلى المتصل ليرى رقم زوجته فقال للفرماوي يستأذنه:

- بعد إذن سعادتك يا باشا

أشار له الفرماوي مشوحا بيده أن يرد بطريقة تدل على أنه ليس الوقت المناسب فرد سامح:

- أيوه يا حبيبتي أنا في شغل دلوقت هكلمك كمان شوية.... إيه بس فيه إيه!!!... اهدي وقولي لي فيه إيه؟؟.... يعني إيه ما جتش لحد دلوقت وما كلمتيش فارس ليه؟؟... تليفونه مقفول؟!!!.... طب اقفلي وانا هتصرف

أنهى الاتصال وما أن أنهاه حتى رن جرس الهاتف مرة أخرى ليظهر رقم الأمين مجدي فرد سامح:

- إيه يا مجدي؟

جاءه صوت مجدي متوترا:

- يا باشا مصيبة

نهض سامح من مكانه والفرماوي يتابعه ووجهه يتساءل عما يحدث وسامح يقول بحدة:

- فيه إيه يا ابني حصل إيه؟؟

- عمر اتكلم علي تليفوني وقال إنه سايب فارس السواق في مكان متقيد وسليم وخطف بنت سعادتك وبيقول نسيب مصطفى يسلمنا البنت

obeikandl.com

- إيييييييه!!! إنت بتقول إيه!!!!

أنهى سامح الاتصال وسأله الفرماوي وهو ينهض بدوره:

- فيه إيه يا سامح؟؟

- الواد خطف بنتي يا باشا... الواد ده اتجنن وهموت أمه... هموته يا باشا

قال الفرماوي:

- اهدا طيب وروح على مكتبك دلوقت... إحنا لازم نعالج الموقف بحكمة... هنوفر لك كل الإمكانيات اللي تحتاجها ما تقلقش يا سامح إحنا في ضهرك... وبنتك هترجع لك سليمة ما تخافش... بس لازم تتعامل مع الموضوع بالعقل إنت ظابط...

نظر سامح في عيني الفرماوي قائلا بحزم:

- لو شعرة واحدة اتلمست من بنتي... هضربه بالنار

لم يرد الفرماوي أمام لهجة سامح القوية وخرج بعدها سامح من المكتب دون أن يؤدي التحية العسكرية.... وما أن وصل عند مكتبه حتى وجد الأمناء مجدي ومسعد في انتظاره فوجه سؤاله لمجدي:

- الرقم اللي اتصل منه يا مجدي؟

- يا باشا الرقم مرفوع من الخدمة بس الواد ساب العنوان اللي فيه فارس.. يا باشا ممكن يكون عامل لنا كمين

قال سامح بحدة وكأنه لم يسمعه:

obeikandi.com

- هات العنوان

أعطاه مجدي الورقة التي كتب عليها العنوان فخطفها سامح من يده وانطلق خارجا من المكتب وانطلق وراءه مجدي ومسعد ومجدي يقول:

- استنى يا باشا إحنا جايين معاك

وصل الثلاثة عند باب تلك الشقة في تلك المنطقة الشعبية طبقا للعنوان الذي تركه لهم عمر ووقفوا شاهرين الطبنجات بحذر وجميع السكان يشاهدونهم بخوف من وراء الأبواب وفتح سامح الباب عنوة بقدمه ودخلوا ليدوروا في كل ركن في الشقة ولم يجدوا أحدا... لا أثر لفارس ولا حتى أية ملابس أو أشياء تخص عمر ويبدو من الطعام المتروك مكانه باردا أنه رحل من هنا منذ يوم أو يومين على الأرجح... ركل سامح الأطباق وكرسيا بجواره ليقلبهم من مكانهم على الأرض بعصبية وغضب ثم نظر للأمناء قائلا:

- كل الجيران اللي في العمارة يتقبض عليهم لازم أجيب الواد ده النهارده قبل ما النهار يطلع يكون في إيدي فاهمين ولا مش فاهمين

ولمح فجأة تلك الورقة الملقاة في المطفأة المليئة بالسجائر فالتقطها ليفردها ويقرأ ما هو مكتوب عليها:

(فارس في مستشفى العجوزة وبنتك معايا سليمة ما تقلقش... مستنيك...)

وترك له العنوان... وضع سامح الورقة في جيبه وانطلق خارجا بسرعة ليجري وراءه مجدي ومسعد...

* * *

اتصل نادر بوائل وسالم وهو مرتبك تماما فقد جاءه اتصال من بواب شقتهم بالأسكندرية ليخبره بوفاة والده المفاجأة... أتاه الاثنان فورا ولم يتركاه وحده بل ظلا معه لحظة بلحظة في السفر وفي كل مراسم الدفن وحتى في استخراج الأوراق اللازمة كانا معه حتى انتهى كل شيء حتى اطمئنا أنه قد تماسك وأخبره وائل أن يكن حذرا فمن أشد التجارب التي تمر على المدمن المتعافي هي الفقدان... فقدان أي حبيب قريب من القلب والخوف الناتج عن الإحساس بالوحدة... سالم أيضا قال له:

- خليك جوه اجتماعات ال (NA) يا نادر... كل يوم تحضر اجتماع وانا هكون معاك وكلنا هنكون جنبك.... أهم حاجة ما تقعدش لوحدك كتير....

كانت كل الأصوات في عقله تنجرف به نحو آلام الوحدة والخوف وسيناريوهات مظلمة عن المستقبل وتلك الوخزة التي تقبض قلبه ولكنه عمل بما قاله له أصدقاؤه الجدد والتصق بالاجتماعات لم يكن يريد تحت أية حال من الأحوال أن يعود إلى المخدرات أو أن يسيطر عليه ضعفه... بعد وفاة والده بأسبوع مر عليه بالبيت صديق لوالده لم يكن يعرفه فقط رآه في الدفن ولاحظ أنه يبكي على والده وكأنه أخوه فتح له باب الشقة وقال له:

- اتفضل

دخل الرجل وأغلق نادر الباب وأشار إلى أريكة قريبة قائلا:

- اتفضل حضرتك ارتاح

جلس الرجل وهو يقول:

- متشكر يا ابني

obeikandi.com

جلس نادر بجواره وساد الصمت للحظات والرجل ينظر حوله وكأنه يشتم رائحة أبيه في المكان ويتمتم بأشياء بصوت هامس يبدو أنه يقرأ له الفاتحة ويدعو له فقطع نادر الصمت قائلا:

- تشرب إيه حضرتك؟

ابتسم الرجل في هدوء قائلا:

- ولا حاجة... أنا عارف إنك ما تعرفنيش

- شفت حضرتك في الدفنة...

- أنا صديق قديم قوي لبابا من أيام ما كنا عيال صغيرين وجاي لك علشان أسلمك أمانة أبوك سابهالك معايا

انتبه نادر وعلامات وجهه تحمل تساؤلا عن طبيعة الأمانة فأكمل الرجل وهو يخرج من جيبه ورقتين ويعطيهم لنادر:

- دول الأمانة... سابهم معايا قبل ما يموت بشهر تقريبا أو أقل وقال لي أديهم لك لو جرى له حاجة... الله يرحمه كان قلبه حاسس

أنهى الجملة وترقرقت في عينيه دموع لم تسقط ونهض يستأذن نادر في الرحيل وما أن رحل حتى جلس نادر ونظر في الورقتين ليجد إحداهما رقما كبيرا واسما لفرع بنك معروف والأخرى رسالة بخط والده مكتوب فيها:

(لو بتقرأ الكلام ده دلوقت يا نادر فأكيد أنا ما بقتش موجود في الدنيا ومشيت... وده هيبقى أنسب وقت أقول لك فيه الكلام اللي دايما كنت كل ما انوي أقولهولك أخاف واتردد... أنا كنت غبي يا ابني ومش مقدر النعمة اللي ربنا ادهاني... بس البني آدم ما بيعرفش قيمة الحاجة غير لما بتروح منه....

obeikandi.com

علشان كده أنا ما عرفتش قيمة أمك إلا بعد ما ماتت وما عرفتش قيمتك غير بعد ما المخدرات سرقتك مني.... جايز أنا ما كنتش بحبك زي ما كان المفروض أحبك أو زي ما كنت تستحق مني... ما عرفتش أحبك كفاية... كنت فاكر إن القسوة والشدة جزء من الحب وإنهم هيخلوك راجل وتتحمل المسؤولية بس كنت غلطان... لإنهم ضيعوك... صحيح ربنا كرمني إني أشوفك كويس تاني قبل ما اموت ورجعك ليا من الدوامة اللي كنت فيها... بس التجربة الصعبة اللي انت مريت بيها علمتني كتير وخلتني أشوف حاجات ما كنتش شايفها قبل كده... وكان دين عليا لربنا إني أعترف لك الاعتراف ده ما دام رجعك ليا من تاني... سامحني يا ابني على أي حاجة عملتها معاك جرحتك أو كسرت قلبك.... أنا حوشت لك من وانت صغير مبلغ في السر يساعدك إنك تبدأ حياتك من جديد وتحاول من تاني تحقق أي حلم أنا وقفت بينك وبينه في يوم من الأيام هتلاقي رقم الحساب في الورقة التانية... بس أنا طالب منك طلبين صغيرين... تخلي بالك من نفسك كويس وتبقى تفتكرني بالخير كل ما آجي في بالك زي ما بتفتكر أمك وادعي لي كتير إن ربنا هو كمان يسامحني وابقى زورني من وقت للتاني...)

كانت عينا نادر ووجنتاه غارقتين في الدموع وقال بصوت منخفض وكأنه يحدث أباه:

- أنا اللي أسامحك؟؟!! سامحني انت ده أنا بهدلتك كتير قوي!! ربنا يرحمك يا بابا...

وقبل الرسالة بشفتيه وكأنه يطبع قبلة أخيرة على جبين والده ويده....

* * *

obeikandl.com

في اليوم التالي لسفر عبد الله صعدت زينب بأولادها لتتركهم عند والديها وخرجت وفور أن تحركت بسيارتها حتى تحركت وراءها سيارة من مسافة غير بعيدة يقودها زوجها عبد الله... وصلت زينب عند البناية التي يسكن فيها رفيقها وصعدت لشقته ودخل وراءها عبد الله ليقف أمام باب المصعد ونظر إلى رقم الدور حيث توقف بزينب... توجه إلى غرفة البواب ونادى عليه:

- سلامو عليكم... حد هنا

خرج له البواب سائلا:

- أيوه... أؤمر يا شيخ

- ما فيش شقق هنا للإيجار؟

- فيه يا بيه

- وكام الإيجار؟

- على حسب فيه من تلتلاف لحد خمستلاف

- هو الدور فيه كام شقة؟

- تلاتة... لو تحب تتفرج ممكن بكرة الصبح أكون بلغت صاحب العمارة

أعطاه عبد الله إكرامية في يده قائلا:

- أشكرك يا أخي... أجي لك بكرة باذن الله...

- تؤمرني يا باشا

obeikandl.com

خرج عبد الله وجلس في سيارته وانتظر خروج زينب وخلال انتظاره قام بالاتصال بمساعده:

- أيوه يا محمد... خد العنوان ده عندك

- تمام يا حاج

- عايزك تعرف لي مين اللي ساكن في التلت شقق اللي في الدور الرابع وترد عليا النهارده بليل

- أوامرك يا حاج

خرجت زينب آخر النهار وتحرك وراءها عبد الله حتى عادت إلى البيت وبعد أن انصرف عبد الله وعاد هو الآخر إلى الشقة التي يبيت فيها وراء الشركة اتصل به محمد:

- أيوه يا حاج... شقة ١٠ ساكن فيها راجل ومراته كبار في السن لوحدهم خالص... وشقة ١١ فاضية للإيجار... شقة ١٢ ساكن فيها شاب بيشتغل مهندس معماري... ومعايا كشف فيه أسماؤهم كلهم ومعلومات عنهم بالتفصيل.. أعديه عليك؟

- الشاب اللي هو المهندس ده ساكن لوحده يا محمد؟

- أيوه يا حاج مأجر الشقة بقاله سنتين وشوية تقريبا

- طيب يا محمد... تمام كده بعدين هبقى آخد منك الكشف ده

أنهى الاتصال وهو حزين ممتلئ بالتوتر ومرهق فقد أنهكته الشكوك وغدا سوف يحسم الأمر فقد تكون زينب على علاقة ما بالزوجين المسنين وهو لا

obeikandl.com

يعلم بذلك وتساعدهما في شيء ما أو أي عمل إحسان أو لأي سبب كان... كان يرجو الله ألا يكون ظنه في محله وأن تكون كل أحاسيسه إثما من عمل الشيطان... في صباح اليوم التالي ذهب عبد الله عند البيت وانتظر وتكرر نفس ما حدث بالأمس وعندما دخل عبد الله العمارة وراءها تلك المرة صعد إلى الدور الرابع بعد زينب بدقائق وقام بطرق باب الشقة التي يسكنها الزوجان المسنان ففتح له بعد برهة الرجل متسائلا فابتسم له عبد الله وهو يقول:

- السلام عليكم يا حاج... لامؤاخذه أنا بس جاي علشان ألحق زوجتي وادي لها موبايلها أحسن نسيته معايا

- موبايل إيه يا ابني وزوجتك مين؟

اعتصر قلب عبد الله وابتلع ريقه وهو يقول:

- زوجتي... الست المنتقبة اللي لسه داخلة عندكم من خمس دقايق

اندهش الرجل وظهرت على ملامح وجهه علامات الحزن والتعاطف معه وهو يقول:

- ما فيش حد يا ابني جالنا من خمس دقايق لا منتقبة ولا بشعرها... يظهر إنك غلطت في الشقة

وأغلق الباب في وجهه واستدار عبد الله بجسده واقترب من شقة الشاب ودقات قلبه تزداد بسرعة كبيرة ويتصبب عرقا وكل الدماء تصعد إلى رأسه في غضب وحزن شديد وتوقف أمام الباب لحظات ثم استجمع قراره وانصرف عائدا للبيت منتظرا عودة زينب وهو جالس يعتصر المسبحة في

obeikandl.com

يده... دار المفتاح في باب الشقة ودخلت زينب لتجد عبد الله جالسا ينظر إليها فابتسمت قائلة:

– الله... إنت جيت يا حاج... حمد لله على سلامتك

صمت عبد الله ولم يرد وظل ينظر لها والشرر يتطاير من عينيه وعقله يستعر فقالت له:

– ما لك يا عبد الله... شكلك تعبان من السفر.. فيه أكل في التلاجة معلش بقى هو أكل جاهز من بره علشان بس كنت عند أم أيمن وما لحقتش أطبخ... خرجه انت على بال ما ادخل الحمام واطلع أجيب العيال من فوق

رد عليها ببطء:

– العيال مش فوق.. ولا أبوكي ولا امك فوق

– يعني إيه مش فوق؟؟ أُمال راحوا فين؟

– خرجوا مع محمد يفسحهم شوية علشان بقالهم كتير ما بيخرجوش وما حدش بيهتم بيهم.. ومش هيباتوا هنا النهارده هيرجعوا على شقة التجمع...

شعرت زينب بالتوتر من كلامه وطريقته ولكنها أخفت توترها وردت عليه:

– والله فيك الخير يا حاج... ربنا يكرمك زي ما انت مراعينا كده... طب أدخل أنا الحمام بقى علشان ألحق أحضر لك ال....

obeikandl.com

قاطعها عبد الله فجأة وهو ينهض من مكانه ويقترب منها:

- كنتي فين يا زينب؟

- يعني إيه كنت فين ما انا قلت لك كنت عند أم أي....

قاطعها مرة أخرى ولكن تلك المرة بصفعة قوية مفاجئة جعلتها تسقط أرضا وهي تنظر إليه برعب وهو يكمل بصوت عال جدا:

- كنتي فيييييين؟؟؟

انفجرت من عينيها الدموع وهي تقول بصوت خائف ومتقطع:

- فيه إيه؟!! فيه إيه يا عبد ال....

قطع كلامها بصفعة أخرى ليمسكها من غطاء شعرها فينخلع فيمسكها من شعرها بقوة ويرفعها بعنف لتقف وهي تصرخ من الألم ويقول لها بصوت مجروح وثائر وهو ينهال عليها بالصفعات:

- ليه؟؟؟.... ليه؟؟؟.... بتخونيني أنا يا زينب؟؟؟.... بتخونيني أنا يا بنت الكلب

بدأت زينب تنهار من كثرة الضرب وهي تصرخ مستغيثة وقد وصلت أصواتهم للجيران الذين التفوا خارج باب شقتهم يطرقونه بشدة متسائلين عما يحدث وعبد الله مستمر في صفعها على وجهها وهو يقول:

- عملت لك إيه علشان تعملي فيا كده؟!!... ناقصك إيه؟؟؟!!!... ده أنا عملت لك كل حاجة وما حرمتكيش من أي حاجة في الدنيا تقومي تعملي فيا أنا كده؟!!!... ده جازاتي؟!!.... تفضحيني وتمرمغي سمعتي في الأرض؟!!!....

obeikandi.com

استطاعت أن تفلت من يده ولم تجد أمامها مهربا منه سوى باب الشقة فانطلقت نحوه تفتحه ليدخل منه الجيران يسألون عما يحدث وعبد الله يذهب نحوها يحاول الإمساك بها وتحاول هي الاستنجاد بهم فوقفوا حائلا بينه وبينها قائلين:

– اهدا يا حاج عبد الله مش كده!!... إيه بس اللي حصل!!! ده شيطان ودخل ما بينكم... ما تفرجوش الناس عليكم عيب... الحاجة زينب ما تستاهلش منك كده برضه!!

فانفعل عبد الله فجأة وهو ينظر لهم جميعا قائلا:

حاجة!!!

ثم ضحك بعصبية وهو ينظر لها نظرة كلها استحقار وغل وهي تنظر له وكأنها تستجديه ألا يفضحها أمام الناس الذين يحاولون وضع غطاء الرأس عليها مرة أخرى لسترها إلا أنه أكمل قائلا بأعلى صوته:

– ما لوش لازمة الحجاب اللي انتم بتلبسوهولها ده... الحاجة دي ست مومس

فزع الجميع وتسمروا في مكانهم وأخذت زينب تلطم على خديها وعلى صدرها وهو يكمل:

– أيوه... مومس...

وهدأ صوته فجأة وتهدج وكأنه سيبكي وهو يكمل:

– موووومس.... وبقول قدامكم كلكم أهوه إنها طالق... طالق مني... طالق...

obeikandi.com

ثم نظر نحوها مرة أخرى وهو يقول بصوت عال مرة أخرى:

عيالك دول مش هتشوفيهم تانى... وامشي اطلعي بره روحي للي كنتي عنده... برررررره اطلعي برررره

وكان يحاول الوصول إليها مرة أخرى إلا أن الرجال أمسكا به ودفعوه نحو الداخل والنساء ينظرن إليها شذرا ويمصمصن الشفاه وهي تقلب عينيها في وجوههم ثم أزاحت أيديهم الممسكة بها بعيدا عنها لتخرج من الشقة هاربة من نظراتهم التي اخترقتها كالخناجر ونظرت فجأة نحو باب شقة نرمين بجوارها المغلقة بعد موتها وخيل إليها أنها واقفة تنظر لها بنظرات نارية وتملكها الفزع الشديد فانطلقت مسرعة تركض وتنزل السلالم ليسقط عنها نقابها مرة أخرى وهي تعدو ليصبح وجهها عاريا أمام الجميع....

***

ظل طارق يمشي في شقة صديقه التي يعيش فيها منذ شهرين ذهابا وإيابا متوترا وقد دخن كثيرا من السجائر فقد اتصلت به مادلين لتوها ولم يكن قد سمع صوتها منذ أسبوعين فهي تتصل به سرا كلما استطاعت من هاتف أمها دون أن يعرف أحد... عرف منها أن أباها قد حبسها في البيت وأخذ منها هاتفها وهددها إن لم تنس أمره تماما فسيلجأ إلى نفيها في أي دير بعيد لتعيش فيه ما تبقى من عمرها... يفتقدها كثيرا ويشعر بالغضب الشديد فالجميع يقف بينهما وبين حبهما ومشاعرهما... تلك التجربة جعلته يرى أهلهما بشكل مختلف فقد عرف منها أن أباها وأباه تشاجرا معا واتهم سمير أباه بأنه كان على علم بالأمر منذ فترة ولم يفعل شيئا وتطور الشجار بينهما لمنحنى عنصري أن أباه لم يهتم

obeikandi.com

بالأمر كما ينبغي أو بمنعه لأنهم مسيحيون!! وعرف أيضا أن أباه انفعل جدا ولم يستطع تقبل فكرة اتهامه وطريقة كلام سمير معه وانكشفت وجوههم الحقيقية فهم لم يكونوا أصدقاء يوما كما كانوا يظهرون لسنين طويلة!!.... أخبرته مادلين أنها ستخرج أخيرا مع أمها ليذهبان إلى الكنيسة في عيد صيام العذرا بعد إقناعها لأمها بأنها قد ضجت من تلك العزلة وعلى الأقل لو ذهبت إلى الكنيسة تلك الساعات القليلة فقد تشعر ببعض من الحرية والمتنفس وترى الناس والشوارع وأن تأتي معها وتحاول إقناع والدها بذلك... وقد وافق والدها تحت ضغط محاولات أمها وقال بحزم:

- ماشي.... هي ساعة زمن وتكونوا راجعين هنا تاني وتخلى عينك عليها كويس... أنا كده كده اتفقت مع جرجس ابن عمها على الجواز خلاص هو بيحبها من زمان وعايزها وكلمني كذا مرة في الموضوع قبل كده... شهر بالكتير وتروح بيت جوزها ويبقى هو بقى يتصرف معاها بعد كده

فكرة زواجها وأنها تعيش مع شخص آخر غيره تجعله يشعر بأن قلبه يتمزق من الداخل.... كيف يفعل بها هذا؟!!... كيف سيزوجها من رجل لا تحبه؟؟ وماذا سيفعل هو في ذلك؟؟؟ كيف سينقذها من هذا المصير المؤلم؟؟؟ لا يعرف وعقله يكاد يتحطم من كثرة التفكير... اتفقا على أن يذهب هو أيضا للكنيسة غدا في ميعاد الصلاة على الأقل يراها ولو من بعيد... فقط يرى وجهها وعيونها وابتسامتها التي لا تفارق مخيلته ليلا ونهارا... في اليوم التالي توجه طارق نحو الكنيسة وقد وصلت مادلين وأمها قبله بخمس دقائق وعندما دخل وراءهما كان الزحام كبيرا والأنوار مضيئة في كل مكان

obeikandi.com

وأصوات تراتيل الصلوات تحلق حول أذنه وهو يدور بعينيه يمينا ويسارا في وجوه الناس ويتخطاهم بجسده بحثا عنها حتى لمحتها عيناه من بعيد تقف بجوار أمها تبحث عنه أيضا بعينيها وعندما التقت نظراتهم توقف طارق ولم يشعر بذلك الرجل الذي اصطدم به صدمة خفيفة ونظر إليه بغضب لتوقفه المفاجئ... ارتسمت الابتسامة على وجهيهما وكانت عيناهما تقول كل شيء... كانا يركضان نحو بعضهما البعض بعيونهم لتلقي مادلين بنفسها في حضنه وتبكي وهو يضمها إليه بشدة ويملس على رأسها وشعرها الناعم بيديه أن لا تخافي واهدئي فأنا هنا.... أنا معك... وظلا يدوران حول نفسهما مع نغمات التراتيل وكأنهما يرقصان رقصة صوفية بديعة وهادئة في وسط بيت الرب قلما أجاد بها الزمان المليء بالعنف والضجر... لم يلمح كل منهما خلال نظراتهما التي أخذتهما من عالمهم لعالم آخر ذلك الرجل الذي اصطدم بطارق فقد سقطت من جيبه كرة معدنية غريبة الشكل ويخرج منها بعض الأسلاك وقد تدحرجت بعيدا عنه بقليل وتوتر هو للغاية وهو يتابعها وزاد توتره وهو يذهب نحوها يحاول استردادها سريعا عندما رأى ذلك الطفل الصغير المتشبث بيد أمه وهو يقول لها ويشد يدها ليجذب انتباهها نحو الكرة قائلا:

– ماما ماما... كورة

فتخرج أمه من صلاتها وتلتفت نحو ما يشير إليه لتلمح تلك الكرة عجيبة الشكل والرجل يذهب نحوها متلهفا فتوجست خيفة وأمسكت بطفلها بقوة تضمه إليها وما أن توقف أحد العابرين في الزحام في طريق

الرجل حتى دفعه الأخير بقوة فسقط العابر أرضا بشدة وشعرت السيدة بأن هناك خطرا ما في شكل الكرة العجيب وملامح الرجل الغاضبة والقاسية ودفعه للرجل الآخر أرضا بعنف ليسقط أرضا فينظر الجميع نحوه حينما وصل هو عند الكرة وأمسكها بقوة لينظر لهم جميعا فصرخت السيدة وهي تشير نحوه وساد الهرج والمرج ولمح طارق ما يحدث ففزعت عيناه وتحرك في اتجاه مادلين ليحميها ولكن القدر لم يمهله فقد جذب الرجل سلكا ما من أسلاك الكرة وانتهى كل شيء في ثوان... دوي هائل وهزة عنيفة مصحوبة بنيران متطايرة وشظايا لتقتل كل من كانوا حاضرين في محيط القنبلة ويتحطم زجاج الكنيسة بأكمله وملأ الدخان كل شيء وبعد دقائق بدأ الدخان ينزاح رويدا حتى وضحت مشاهد الجثث الممزقة في كل مكان واختلطت الأشلاء ببعضها البعض... وانتهت التراتيل التي كانت تشدو بالمحبة والسلام وقتل من كانوا يرتلونها ومن تبقى حيا وقف مذهولا ينظر حوله غير مصدق أن كل تلك الجثث كانت لأناس يصلون من أجل المحبة منذ دقائق معدودة وكانوا يسلمون على بعضهم البعض فرحين وسعداء.... لم يعرف من تبقى حيا أن هناك وسط الجثث مشوهة الملامح جثتين لقلبين كانا كل ما تمنوه من الحياة أن يحضنا بعضهما البعض في أمان وحتى عندما ماتا لم يمنحهما الوقت مهلة كي تتشابك أيديهم فظلت كل يد فاردة أصابعها نحو الآخر لا تتمكن من لمسه.... ولم ير أيضا من تبقى حيا وجوه أسرتين لم يكونا في الكنيسة بعد الانفجار بساعتين... وجه أبي طارق وهو يتلقى الخبر بالهاتف فيسقط الهاتف من يده وتتهدج ملامحه وتسقط الدموع من عينيه

obeikandi.com

وملامح وجه أم طارق وهي مفزوعة لا تدري ماذا حدث فتتلقف الهاتف الذي سقط من أبيه لتسأل المتصل وما أن علمت بالخبر حتى صرخت صرخة تدمي القلوب... ووجه سمير وهو يتلقى الخبر بالهاتف بدوره فينهي الاتصال ويضع الهاتف على المكتب ويظلم وجهه ويظل ثابتا مكانه للحظات وينظر نحو الكتب التي تملؤ مكتبته الكبيرة.. كتب مقارنات الأديان والفلسفة وكتب الديانات الأخرى وكتب العلم والأدب ويزيحهم بيده بقوة ليسقطوا على الأرض ويصرخ منفجرا فجأة:

- آآآآآآآآه....

ثم يسقط على ركبتيه أرضا ليبكي بحرقة دافنا وجهه في يديه وهو يتأوه ثم يرفعه ببطء لينظر نحو الصليب المعلق على الحائط وعيناه مغرقتان بالدموع... دموع سقطت منهم جميعا بعد فوات الأوان....

* * *

رفع الفرماوي هاتفه واتصل برقم ما وعندما جاءه الرد من الناحية الأخرى قال:

- الحملة هتتحرك دلوقت... ما تقلقش يا باشا الحكاية هتخلص خالص النهارده...

أنهى اتصاله ورفع سماعة هاتف مكتبه ليقول:

- أيوه يا ابني القوات كلها تتحرك مع سامح بيه وتبلغوني باللي بيحصل أول بأول

obeikandi.com

وضع سماعة الهاتف وأشعل سيجارة لينفث دخانها في سماء المكتب... في نفس الوقت كان سامح قد ركب سيارته بملابسه العادية فقط يرتدي فوقها السترة المضادة للرصاص ومعه خمس مدرعات ممتلئة بالضباط والعساكر التابعين للأمن المركزي وقوات مكافحة الإرهاب ليتجهوا نحو العنوان الذي تركه عمر لسامح في المطفأة.... كان المكان في شقة من دور واحد في منطقة منعزلة عن الناس وشبه خالية من السكان بالمقطم وما أن اقتربت القوات حتى ترجلوا من المدرعات وانتشروا في المكان كله وحاصروه تماما واقترب من باب الشقة سامح ومعه ثلاثة من ضباط المكافحة وقد حاولوا منعه من الاقتحام معهم وإقناعه بأن ينتظرهم مع باقي القوات فهم الأقدر على التعامل مع تلك المواقف ولكنه أصر تماما على التعامل منفردا والاقتحام وحده فابنته التي بالداخل وهو لا يريد أن يعرضها لأي خطر وأن الأمر كله بينه وبين عمر.... ودخل سامح من الباب بعد رضوخهم لرغبته وأوامر القيادة بتركه يفعل ما يريد... كان الباب مفتوحا نصف فتحة وتقدم منه داخل الشقة بحذر شاهرا بندقية آلية وعندما وصل إلى غرفة جانبية لا يوجد بها نوافذ وتعتبر بعيدة عن مرمى نيران القوات بالخارج تماما دخلها بحذر وتسمر مكانه عندما رأى عمر جالسا على كرسي وابنته واقفة أمامه حائلا بين عمر وبين مرمى بندقيته وقال عمر فور رؤيته لسامح:

- أهلا سامح باشا... أخيرا اتقابلنا

- سيب البنت يا عمر هي ما لهاش ذنب ومصطفى هخرجه

obeikandl.com

كان عمر ممسكا بذراع ابنته وفي يده الأخرى مسدس ولكنه لا يوجهه نحوه ولا نحو ابنته بل كان ساندا يده التي تحمله على فخذه وموجها فوهته للأرض وقالت ابنة سامح لأبيها ببراءة:

- بابا وحشتني قوي... عمو عمر قال لي نستناك هنا لحد ما تيجي تاخدني علشان الحرامية كانوا عايزين يخطفوني وانت كنت بتقبض عليهم...

نظر لها سامح وزاد توتره وهو ينظر لعمر الذي قال بهدوء:

- اسمعني كويس يا سامح باشا... أنا ما أذيتش بنتك وما أذيتش أي حد في البلد دي أنا عملت كده علشان تسيب مصطفى وعلشان نتقابل في مكان أنا مأمن نفسي فيه بس... أنا هسيب بنتك حالا بس اديني الأمان

- عايز إيه اخلص؟

- عايز أتكلم معاك... وزي ما انت شايف أنا أول ما هسيبها إنت ممكن تضربني بالنار عادي وحتى لو عرفت أفلت منك وخرجت من هنا هموت في أقل من ثانية بالجيش اللي بره ده كله.... بس صدقني لو سمعتني هيكون أفيد بكتير من قتلي... وبعد ما تسمعني أنا تحت أمرك... وحاجة تانية كمان... تضمن لي الإفراج عن مصطفى... كلمة شرف منك...

- موافق بس سيب البنت زي ما قلت...

نظر عمر في عينيه للحظات كأنه يقرأ ما بهم من نية ثم ترك ذراع البنت ليدفعها نحوه برفق فأسرعت نحو أبيها الذي ضمها إليه بلهفة وقبلها من جبينها وقالت له:

obeikandl.com

- يا بابا عمو عمر ده طيب قوي جاب لي شوكلاتات كتير وفسحني امبارح بليل وجاب لي الفطيرة بالسكر اللي بحبها... خليه معانا على طول بدل عمو فارس ما كانش بيضحك خالص ولا بيهزر معايا وعلى طول مكشر....

ابتسم عمر في هدوء لكلامها ونظر لسامح الذي ما زال شاهرا بندقيته في وجهه ثم رفع عمر يديه للأعلى علامة الاستسلام وهبط بالتي تحمل المسدس ببطء حتى وصل بها للأرض ووضع المسدس أرضا ليركله بقدمه نحو قدمي سامح... الذي لم يفهم شيئا ونهض عمر ومشى بهدوء لجانب الغرفة ليأخذ علبة سجائره مشعلا سيجارة منها ونظر لسامح قائلا:

- أنا جيت مصر هربان من الجماعات.... انشقيت عنهم بعد ما عرفت أسرار كتير عن خيانتهم وإنهم لا بيدافعوا عن دين ولا عن حق وإنهم مجرد تجار سلاح ومخدرات وبغاء ودعارة ورقيق أبيض كمان... أنا عرفت حاجات ممكن لو انت عرفتها تحس بنفس إحساسي وممكن كمان تسيب شغلك خالص....

ضحك سامح ضحكة ساخرة قصيرة وهو يقول:

- هما دول بقى الكلمتين اللي انت عايز تقولهم لي!! إنت عبيط يلا!!

قال عمر بهدوء:

- تحب أقول لك أسماء ما حدش يعرفها غيركم؟؟ وشوية معلومات مستحيل أكون عارفها إلا لو أنا شغال معاكم فى الداخلية؟

وذكر له عدة أسماء وبعض المعلومات التي جعلت سامح يندهش ويخفض بندقيته لأول مرة منذ دخل إلى الغرفة فأكمل عمر:

obeikandl.com

– يا باشا ما تزعلش مني في اللي هقولهولك ده... بس احنا الاتنين زي بعض بالظبط... إحنا الاتنين مغفلين... أنا كنت فاكر إنى بحارب الباطل وبنصر الحق والعدل تحت راية الدين.... وانت فاكر إنك بتحمي الأمن وبتنصر الحق برضه والعدل بس تحت راية القانون.... واحنا الاتنين في الآخر عرايس بيتلعب بينا... ولما بنقدم بيجيبوا عرايس جديدة غيرنا.... إنت تاخد مكافآة نهاية خدمة محترمة تأمن بيها مستقبل بنتك وتاخد سلطة وتعيش اللي باقي من عمرك في نوادي الشرطة تتمشى الصبح كل يوم علشان ضهرك هيتعب لما تعجز... وانا هموت سعيد وراضي علشان بعد ما أموت أكيد هخش الجنة ما انا شهيد بقى... وهما يبقوا أغنيا ووزراء ورؤساء وملوك ويحطوا أسامينا في لوحة شرف لحد ما الأسماء تتمسح مع الزمن وما حدش يفتكرنا وهما أسماءهم تتكتب في كتب التاريخ على إنهم أبطال وزعماء وشيوخ ملهمين ورجال دين ورجال دولة ورجال المرحلة.... أنا جيت مصر علشان أقتل واحد اسمه أبو بكر.... ده أول واحد جندني وأقنعني بالفكرة المزيفة دي كلها... فكرة الجهاد... وكنت ضعيف وقتها والفقر والغلب عموا عينيه وملا قلبي الحقد والكره وتخيلت إن بالجهاد وبالسلاح هحارب السبب في اللي حصل لي وحهزمه.... إنما للأسف اكتشفت إني كنت بحارب الهوا... وكنت خلاص رجعت حتى عن فكرة إني أقتله وقررت أمشي من مصر خالص لحد ما أوصل مكان ما حدش يعرفني فيه واعيش مع نفسي لحد ما اموت... أول ما عرفت إنك قبضت على مصطفى كان لازم أتصرف واقابلك... كان لازم مصطفى يخرج هو ما

لوش ذنب في حكايتي دي كلها... مصطفى مغفل هو كمان.... لسه مصدق الحكاية... مسكين خسر عمره كله في أي كلام... عذاب ومعتقلات وبهدلة وحرمان عالفاضي....

كان سامح قد هدأ تماما وهو ينصت لكلام عمر وبدأ يصدقه فقط يجيب على جهاز الإرسال من حين لآخر ليبلغ القوات أن الوضع آمن ثم قال لعمر:

- تعرف مكان أبو بكر ده؟

- سهل أوصل له بس ما بقاش له لازمة خلاص

- أنا عايزه... سلم لي نفسك وهحميك... أوعدك هحميك وهقبض على أبو بكر...

ابتسم عمر ابتسامة ساخرة وهو يقول:

- يبقى ما فهمتش حاجة من اللي أنا قلته يا باشا...

- ما لكش دعوة سيب الموضوع وانا هعرف أقبض عليه... ده شغلي وانت هتساعدني...

نظر عمر للبنت التي قالت له مبتسمة

- أيوه تعالى معانا يا عمو عمر... خليك معايا أنا وبابا علشان تفسحني تاني..

ابتسم لها عمر ابتسامة مليئة بالطيبة المختلطة بالحزن ثم نظر لسامح قائلا:

obeikandi.com

– أنا كده كده اتورطت خلاص وما بقاش ينفع أهرب... ما عنديش اختيارات تانية غير إني آجي معاك ولو اني عارف اللي هيحصل... بس لله الأمر من قبل ومن بعد...

سلم عمر نفسه لسامح وتحركا معا نحو باب الشقة وسامح ممسكا به من ذراعه برفق في نفس الوقت كان شخص ما لا يظهر منه سوى ذراعه يصوب بندقيته القناصة من فوق سطح بناية بعيدة عن المكان نحو باب الشقة وما أن خرج منه سامح وابنته وعمر حتى صوب الرجل فوهة بندقيته على رأس عمر وأطلق الرصاصة... هي طلقة واحدة استقرت في رأسه فسقط فورا وهو ممسك بذراع سامح الذي فزع هو ابنته وحاول إسناده ولكنه سقط على الأرض مفارقا الحياة... نظر سامح لجثة عمر في ذهول ثم نهض لينظر نحو كل القوات المذهولين بدورهم وينظرون حولهم باحثين عن مصدر الطلقة وسامح يصرخ فيهم بصوت عال وهو ثائر جدا:

– مين اللي ضرب نار!!!! مين اللي ضرب نااااار؟!!! مييييين!!!

ثم عاد ليجلس بجوار جثة عمر وابنته تهزها وهي تبكي وتنادي على عمر الذي لن يجيب مرة أخرى.... من بعيد كان صاحب الطلقة يلملم بندقيته في هدوء مبتعدا بعد أن نفذ مهمته وترك طلقته لتستقر في الرأس... الرأس التي تجرأت وفكرت في الخروج عن السياق....

* * *

وقف نادر أمام قسم الشرطة وتذكر مشهده وهو مقيد بملابسه والأهالي وهم ممسكين به وكم الصفعات التي تلقاها منهم ومن الأمنا وشعر بالخوف

obeikandl.com

واهتز قلبه ولكنه تمالك نفسه فهو اليوم متعاف منذ أكثر من سنتين ولا يوجد شيء حقيقي يستحق الخوف فقط المرض بداخله الذي يتمثل في الأفكار الوهمية والسيناريوهات المتوقعة التي يرسمها تفكيره والتي عادة لا تمت للواقع بصلة ولكنها تبدو له أنها حقيقية... تعوده على الخوف من الشرطة خلال سنين التعاطي جعلته يشعر أنه متهم... استجمع ثقته بنفسه ودخل إلى القسم وتوجه نحو السلالم وصعد إلى المباحث وسأل أول أمين رآه عن وليد بيه عوني فأشار له الأمين نحو غرفة مكتبه... طرق نادر الباب ثم فتحه ليجد وليد جالسا على مكتبه وحين نظر إليه سأله قائلا وهو يلملم أوراقا أمامه:

- أؤمر؟

اقترب نادر من المكتب بتردد وهومبتسم ثم قال:

- حضرتك مش فاكرني؟

نظر له وليد بتركيز ثم ابتسم فجأة قائلا:

- آآآآه... افتكرتك طبعا... تعالى أقعد تعالى

ونهض وليد من وراء مكتبه ليسلم عليه وأجلسه على مقعد بجوار المكتب وجلس أمامه مكملا:

- شكلك بقيت كويس قوي وتخنت

ابتسم نادر وهو يقول:

- أنا مبطل بقالي سنتين وتلات شهور وخمس أيام

- جدع... أنا مبسوط علشانك.... أيوه كده يا عم... إنت كده راجل محترم.. برافو عليك يا بطل

obeikandl.com

- ما كنتش عمري هعرف أعمل كده لولا وقفتك جنبي

- ما تقولش الكلام ده ولا أي حاجة... إنت زي أخويا الصغير وأي حد معرض إنه يعيش التجربة المؤلمة دي... بس مش أي حد بيحاول يخرج منها وعنده إرادة

- أنا جيت لك علشان أشكرك وعلشان أدعوك لحضور مؤتمر إحنا منظمينه في قاعة في الاستاد عن التعافي من الإدمان وكلنا فيه من المدمنين المتعافين ويشرفني لو قبلت الدعوة وجيت

و مد يده له بدعوة في ظرف شيك باسمه.. أخذها منه وليد وابتسم قائلا:

- طبعا دي حاجة تشرفني...

قال نادر مكملا كلامه:

- فيه حاجة تانية كمان

- قول... معلش أنا هسألك الأول على اسمك وما تزعلش مني ما اقصدش أي حاجة إنت عارف طبعا أنا بشوف ناس قد إيه كل يوم

- اسمي نادر... أنا مش زعلان ولا يهمك أبدا أنا فاهم الظروف طبعا

- طيب قبل ما تقول تشرب إيه يا نادر

ونادى على الأمين بالخارج بصوت عال فقال نادر:

- ولا أي حاجة أنا مش عايز أعطل حضرتك أنا بس عايز أقول لك على حاجة كمان وهمشي على طول

دخل الأمين فأشار له وليد بالانصراف قائلا:

obeikandl.com

- خلاص يا ابني

ثم نظر لنادر مرة أخرى مكملا:

- قول يا نادر

أخرج نادر من جيبه ورقة وأعطاها له بها بضعة أسماء وهو يقول:

- أنا قابلت في رحلة الضرب دي ظباط كتير وانت الوحيد يمكن اللي عاملتني بإنسانية وبحسك شبهنا كده مش مغرور مع إنك تخوف في طريقة كلامك زيهم إنما قلبك طيب وده اللي شجعني أقول لك الكلام ده... الكام اسم اللي في الورقة دول ظباط أنا شفتهم بعيني قبل كده وهما بيتكلموا مع تجار المخدرات علشان ياخدوا منهم شهرية ويسيبوهم يشتغلوا براحتهم وساعات منهم اللي كان بييجي بنفسه أو بيبعت أمين ياخد شنطة فلوس وكان نفسي أعمل حاجة باللي أعرفه ده وما لقيتش طريقة غير إني أقول لك واسلمك الورقة دي

نظر وليد في الأسماء المكتوبة في الورقة وعقد حاجبيه وتغيرت ملامح وجهه ثم طبقها ونظر لنادر قائلا وهو يعطيه سيجارة ويشعل واحدة لنفسه:

- بص يا نادر... أنا ظابط مباحث بقالي سنين وياما شفت في الدنيا وانت أكيد فاهم أنا ممكن أكون شفت قد إيه... الضمير اللي جواك ده حاجة كويسة قوي طبعا وحافظ عليه لإنه هيساعدك في حياتك... إنما الدنيا هتفضل فيها ناس كويسة وناس مش كويسة مهما حاولنا نغير ده... انسى يا نادر اللي فات وعيش حياتك لي جاي إنت ضيعت كتير من عمرك ومحتاج تهتم بحالك وبمستقبلك وتعوض الوقت اللي فاتك وده أهم بكتير

obeikandl.com

وعموما يا سيدي إنت عملت اللي عليك وسلمتني الورقة انسى بقى حياة المخدرات بكل اللي حصل فيها... ولو احتجت حاجة كلمني في أي وقت...

نهضا من مجلسهما وصافح نادر وليد بحرارة وامتنان وانصرف وعاد وليد ليجلس وراء مكتبه لينظر في الورقة... ثم نهض منصرفا من القسم وركب سيارته واتجه نحو بيت والديه وبعد أن دخل وعانق والدته وقبل يدها توجه إلى غرفة نوم والده حيث كان ممدا على سريره وعندما رأى وليد اعتدل في مجلسه بصعوبة فاقترب منه وليد بسرعة ليقبل رأسه ويده قائلا وهو يساعده في الاعتدال:

- إزي صحة حضرتك يا بابا؟

- الحمد لله يا ابني إنت عامل إيه؟

- الحمد لله

نظر له والده مليا ثم قال:

- ما لك يا وليد؟؟ مراتك وعيالك كويسين؟

- أيوه يا بابا الحمد لله

- وشغلك؟

- كله تمام.. أنا بس كنت عايز آخد رأي حضرتك في حاجة... حضرتك قضيت عمرك كله في الداخلية وعلمتني ازاي أكون إنسان قبل ما اكون ظابط وإني أداة لتحقيق العدالة وإن شغلي ده مسؤولية كبيرة

- قول يا ابني فيه إيه؟

obeikandl.com

حكى له وليد قصة نادر سريعا حتى زيارته الأخيرة له ثم قال:

- الأسماء اللي في الورقة دي أسماء زمايل ليا كانوا دفعتي في الكلية وأسماء أساتذتي في المباحث اتعلمت منهم أول ما ابتديت شغلي!!

وجز على أسنانه وهو يشعر بالحزن سائلا أباه؟

- أعمل إيه؟؟!!

صمت الأب قليلا وابتسم في هدوء وهو يقول:

- اعمل يا ابني ما يمليه عليك ضميرك وواجبك الأمني... علشان لما تبقى في سني وتقعد قعدتي دي تموت وتقابل ربنا وانت نضيف ومرتاح

ابتسم وليد بطيبة وهو يقبل يده مرة أخرى قائلا:

- بعد الشر عليك يا حاج ربنا يديك الصحة ويبارك لنا فيك

وخرج وليد من غرفة والده ليخرج إلى الشرفة ويمسك بهاتفه واتصل برقم ما وما أن أتاه الصوت من الناحية الأخرى حتى قال:

- علاء بيه... صباح الفل يا باشا... الله يخليك يا حبيبي... وانت كمان واحشني والله... كله تمام... إنت لسه في قطاع التفتيش صح؟... طب يا باشا أنا كنت عايز أقابلك... خير كله خير... ما فيش حاجة ما تقلقش... متشكرين يا باشا صباحك زي الفل...

وأنهى وليد الاتصال لينظر للورقة نظرة أخيرة ثم وضعها في جيبه بعناية...

* * *

obeikandl.com

دخل سامح مكتب الفرماوي وهو ممسك في يده جريدة ونظر له الفرماوي قائلا:

- أهلا سامح تعالى... حمد لله على سلامة بنتك...

نظر له سامح ولم يعر جملته انتباها وهو يفرد الجريدة ليضعها أمامه على المكتب وهو يقول بحزم:

- هو إيه ده يا باشا؟؟

نظر الفرماوي للجريدة التي تحتوي على خبر عريض يحكي عن الكشف عن هوية الجثة مشوهة الملامح التي قامت بتفجير الكنيسة وصورة كبيرة لعمر!!

أعاد الفرماوي نظره نحو سامح وهو يقول بهدوء:

- هو إيه ده اللي إيه يا سامح؟

انفعل سامح فجأة قائلا:

- الخبر يا باشا اللي منشور!!... عمر اتقتل جنب مني!!... متهيألي سعادتك وكل ظابط وعسكرى كانوا في الحملة عارفين كده كويس قوي... وعارفين كمان إنه اتقتل وسطينا من غير حتى ما نعرف مين اللي ضربه بالنار!!!

نهض الفرماوي من مكانه منتبها فجأة وعاقدا حاجبيه وهو يرد على سامح بلهجة شديدة:

- جرى إيه يا حضرة الظابط... أنا ملاحظ إن لهجتك في الكلام وطريقتك مش عاجباني!!!... إنت نسيت انت واقف قدام مين ولا إيه!!!... إنتباه يا حضرة الظابط

انتبه سامح في وقفته ببطء على مضض وملامح وجهه غاضبة والفرماوي يكمل وهو ينظر مباشرة إلى عينيه:

obeikandl.com

- الظاهر كده إن تشجيعي ليك وتقديري فهمته غلط

تململ سامح وهو يقول:

- يا فندم سعادتك مش...

قاطعه الفرماوي قائلا بنفس اللهجة الشديدة:

- اسمع يا ابني كويس... علشان من الواضح إنك نسيت إنك ظابط أمن دولة ونسيت شغلك والقضية اللي كنت شغال عليها أثرت على أعصابك... أنا بشجعك وبقدرك علشان ذكاءك وتفوقك في شغلك وكمان علشان أبوك الله يرحمه كان صاحبي ويا ما اتعلمت منه في شغلنا... بس لازم أفكرك إنك راجل عسكري وعليك إنك تطيع الأوامر... ومش لازم الراجل العسكري يكون فاهم كل أبعاد الأمور علشان يطيع الأوامر... إحنا بنشتغل ليل نهار علشان نحمي البلد... وساعات بيبقى تنفيذ الأوامر بسرعة هو الحل الوحيد لإنقاذ وضع ممكن يدمر البلد وساعتها لو كل ظابط عايز يفهم هو بينفذ الأوامر ليه الأول كانت البلد خربت.... كل واحد فينا ليه دور بيأديه على أكمل وجه وليه مساحة بيتحرك فيها ما ينفعش يخرج منها ولا يتعداها....

أشعل الفرماوي سيجارة وخفض من حدة صوته مكملا:

- انفجار الكنيسة ليلة العيد أزمة كبيرة والرأي العام مقلوب ولو الداخلية ما قدرتش تعرف مين اللي فجر في أسرع وقت هتقع... وهيبة الدولة من هيبتنا.... فيه جرايد بتكتب ومعارضة وناس غضبانة وأهل اللي ماتوا ودول أجنبية ما هتصدق تتدخل وتصطاد في الميه العكرة والناس اللي جوه اللي ما بيصدقوا هما كمان ينفخوا في النار علشان تولع زيادة والوضع المسيحي في

obeikandi.com

مصر... عمر ده إرهابي وكان ميت ميت ما لوش دية... إحنا بننقذ حاجات أهم حتى ولو بكدبة مؤقتة... أهم حاجة في الحاجات اللي بننقذها دي هي البلد نفسها واستقرارها... على العموم أنا مقدر الحالة اللي انت فيها يا سامح وعارف إن الظروف اللي انت مريت بيها في القضية دي كانت صعبة ومتعبة... يا ريت لو تاخد لك أجازة كام يوم تهدي فيهم أعصابك وتفسح مراتك وبنتك هما كمان محتاجين للأجازة دي بعد التجربة الصعبة اللي مروا بيها.... تقدر تتفضل على مكتبك دلوقت وأنا همضي لك على أجازة تبتدي من بكرة... اتفضل...

أدى سامح التحية العسكرية ببطء وهو ينظر للفرماوي بحنق وحزن وانصرف عائدا إلى مكتبه وأغلق باب المكتب وراءه وهو يتذكر كلمات عمر له (تحب أقولك أسماء ومعلومات ما ينفعش أكون عارفها إلا لو كنت شغال معاكم؟؟) و(يا باشا إحنا الاتنين مغفلين)... شعر سامح بضيق وحزن ونظر لمرآة كبيرة بجواره وسرح بأفكاره ليرى نفسه في المرآة طفلا صغيرا ووالده بملابسه العسكرية الرسمية يعنفه... كان دوما يعامله منذ نعومة أظافره على أنه ضابط قليلا ما كان حتى ينادي عليه باسمه بل كان يناديه دوما بجملة (يا حضرة الضابط)... كم كان يكره تلك الجملة والتي سمعها عدة مرات من الفرماوي... تذكر أيضا وهو صغير يلعب مع أقرانه وينهره أبوه بشدة لأنه لم يذهب لتمرين التايكوندو والرماية اللذين كانا يكرههما... وضربه له أحيانا عندما كان يعترض وثورته عليه عندما كان يخرج مع ابنة خالته التي كان يحبها في أيام مراهقته ويتذكر جيدا كلامه:

- البت دي ما تشوفهاش تاني... أبوها بيغير مننا... لازم دايما تاخد بالك إنك ابن ظابط وهتبقى ظابط مش أي واحدة تحبها ولا أي واحد

تمشي معاه ولا أي حد تتكلم معاه بسهولة كده... لازم تبقى ناشف وعارف قيمة نفسك...

لا يتذكر أنه شعر يوما بحنان أبوته بل كان قاسيا أغلب الوقت يشعره وكأنه يعيش في معسكر لا ينتهي.... مواعيد للاستيقاظ والنوم مقدسة وطول للشعر محدد لا يتغير أبدا... كل الأشياء محسوبة بالسنتيمتر... سجن كبير من القيود... لم يكن حتى يريد أن يدخل كلية الشرطة ولم يجرؤ يوما في أن يقول له ذلك وحتى عندما استسلم لمصيره وأصبح ضابطا وبعد وفاته حاول مع مرور السنين أن يصدق ما يفعله وأن دوره في الحياة أن يحمي البلد ويحفظ أمنها وأن ما يذكره الناس عن أمن الدولة محض كلام مرسل فهم لا يعرفون شيئا ولن يعرفوا أن هناك نوعيات من البشر إن لم تعتقل وتعذب وتعامل بتلك الطريقة لسقطت البلد... لا يعلمون أنهم يحملونها على أكتافهم ويتحملون كل هذا الهراء الذي يتبادله الناس ويسمونه بحقوق الإنسان وهم لا يعلمون شيئا... لولا جهودهم لما كانوا يعيشون في أمن وأمان ولا كانوا استطاعوا حتى أن يتشدقوا بكل تلك الشعارات المثالية التي لا تمت للواقع بصلة.... حتى قابل عمر... واهتزت كل مفاهيمه التي بناها بداخله كل تلك السنين هزة عنيفة... المفاهيم التي تعب كثيرا في تكوينها لإقناع نفسه بشكل حياته ومصيره وأن يتأقلم... إحساس بغيض ومؤلم ويا ليته لم يقابل عمر ولم يكن ضابطا من الأساس ويا ليت أباه لم يكن أباه.... لم يتحمل رؤية وجه والده في المرآة فقذف الوجه بمطفأة السجائر لتتحطم المرآة ويفتح باب المكتب ليدخل منه الأمين مجدي مسرعا وهو ينظر للمرآة المحطمة ويتساءل:

- سامح باشا؟؟ فيه إيه سعادتك؟؟

obeikandi.com

أدار سامح وجهه نحو مجدي بحدة وقال له بصوت عال وصارم:

- اطلع بره واقفل الباب وراك

انتبه مجدي في خوف وتوتر وانصرف فورا مغلقا باب المكتب وراءه كما قال سامح ليجلس الأخير وراء مكتبه ببطء ليفتح درج المكتب ويمسك بالكتافات التي تحتوي على نسر واحد على رتبته... الرائد سامح زيدان... فيعتصر الكتافات بيده بقوة ثم يعود ليخرج من درج آخر ملفا ويشعل سيجارة ويفتح الملف ببطء وهو ينظر لصورة صاحب الملف... صورة أبي بكر....

* * *

توقفت السيارة التي يقودها سيف وتجلس بجانبه ريم في الجراج المقابل لصالة السفر بالمطار... نظر سيف إلى ريم وابتسم ابتسامة هادئة فنظرت له ريم بنفس الابتسامة قائلة:

- أنا متوترة كده شوية وقلقانة.. بس...

- بس إيه؟

- عايزة أشكرك على كل حاجة عملتها معايا.... بجد... مفيش كلام ممكن أقوله يكفي...

- أنا ما عملتش حاجة.. إنتي اللي قلبك من جوه طيب وقوي في نفس الوقت وربنا بيحبك...

- الفلوس وتذكرة الطيارة و...

أشار لها سيف بأن لا تكمل وقال:

obeikandl.com

- على فكرة سوزي دفعت معايا وما كانتش عايزاني أقول لك وصاحب الشقة اللي انتي كنتي مأجراها كمان... سوزي قالت لي إن هشام صاحب الجيم هو كمان دفع فلوس وما حدش فيهم عايز منك الفلوس دي تاني ولا حتى كان عايزك تعرفي إنه دفع... أنا بقول لك الكلام ده بس علشان تاخدي بالك كويس إن فيه ناس كتير بتحبك من غير سبب ومن غير غرض...

اتسعت عينا ريم من الدهشة وترقرقت الدموع في عينيها فأكمل سيف:

- شوفتي بقى إن ربنا بيحبك علشان كده كلنا بنحبك...

صمت لحظة وألقى نظرة على ساعته وقال وهو يفتح باب السيارة:

- يلا بينا علشان ما تتأخريش على معاد الطيارة

نزلا من السيارة وأخرج لها حقيبتها وتوجها نحو باب صالة السفر ليلمحا سوزي واقفة بجانب الباب فابتسمت ريم فور رؤيتها واندفعت نحوها لتحضنها وسقطت من عينيها دمعة رغما عنها وهي تقول لها:

- أنا عرفت من دكتور سيف إنك دفعتي

وضعت سوزي إصبعها على شفتيها أن لا تكمل ثم قالت:

- خلي بالك من نفسك

نظرت لها ريم نظرة كلها دفء ثم استدارت لسيف الذي قال لها وهو يعطيها حقيبتها:

- اوعي تكوني لسه شايله الموس في بوقك أحسن يصفر في بوابة التفتيش وتتمسكي

ضحكت ريم وضحكوا جميعا وهي تقول له:

obeikandi.com

- خلاص يا دكتور... ما بقاش فيه موس... بس وقت اللزوم هيطلع برضه عادي

ضحكوا مرة أخرى ونظرت هي لهم نظرات وداع أخيرة ثم توجهت لداخل صالة السفر ولوحت لهم بيدها من الداخل لتختفي عن أنظارهم.... ما أن وصلت لتلك البلد الأوروبي التي ولدت فيها حتى اتجهت بسيارة أجرة إلى أقرب محل لبيع الورد وأكملت إلى مدافن عائلتها وتوجهت نحو شاهد قبر أمها ووقفت أمامه تنظر إلى الشاهد في صمت وتخيلت كأن وجه أمها ينظر لها من الشاهد متلهفا لرؤيتها ثم تتشكل في هيئة جسد وتنهض لتمد يدها وتربت بكفها على خد ريم التي بكت فجأة لشعورها بلمسة يدها بالفعل واختفت الروح مرة أخرى فانحنت ريم لتضع الزهور على القبر قائلة بصوت منخفض... (أنا مسامحاكي... وبحبك)...

* * *

اقترب نادر من البار... كان مترددا من مواجهة لينا فهو لم يرها منذ أقلع عن المخدرات وأيضا خائف من دخول البار فالمكان ممتلىء بزجاجات الخمر وهو يعاني من حساسية شديدة لأي شيء يغيب العقل ويجب أن يكون في شدة الحرص عندما يتعامل مع الأشياء أو الأماكن التي تتعلق بالمخدرات أو المسكرات والأفضل تجنبها تماما... ولكن من أجل لينا قد يكسر قاعدة ما لبعض الوقت... ازدادت دقات قلبه فور رؤيتها بالداخل تعزف... الفراشة الرقيقة التي طالما أحبها داخل عقله وقلبه... السحر الذي يخرج من وجهها وهي مغمضة العينين تعزف على كمانها... اقترب منه النادل ليساعده في اختيار

المجلس مرحبا به فأشار له نادر نحو لينا فهز النادل رأسه وأشار له أن يتفضل فاتجه نحوها وعندما فتحت هي عينيها أثناء العزف وجدته مقتربا منها وبدا في عينيها أنها تحاول التعرف عليه فقد تغير شكله كثيرا عن أيام التعاطي وعرفته فجأة فابتسمت وابتسم هو أيضا لها فأشار إلى منضدتها يستأذنها فأشارت له أن يجلس... نظر حوله شاعرا بالتوتر والخجل وذهبت عيناه رغما عنه نحو زجاجات الخمر والكؤوس المليئة بالويسكي والكونياك... لم يكن يحب الخمر وعندما كان يشرب كان يفضل الكونياك والسخونة التي يسببها عند نزوله في المعدة بعد ابتلاعه كان له متعة لطيفة والترنح البسيط وانقسام الرؤية بعد زيادة الجرعة والنوم السريع فور أن تضع رأسك على الوسادة وكأن الوسادة والسرير قد ابتلعاك داخلهما... أدار وجهه فجأة ليخرج من تلك الذكريات التي تجعله يتوتر أكثر وكي لا يسمح لعقله بالتلاعب به ونظر نحو لينا وركز تفكيره عليها وأغمض عينيه ليسمح لنغماتها بأن تتسرب إلى داخل كيانه فتصفي ذهنه وروحه.... أنهت لينا عزفها وصفق لها الجميع وهو أيضا ثم توجهت نحوه وهي مبتسمة ابتسامة كبيرة مرحبة به وتقول:

إزيك... أنا آسفة ما عرفتكش أول ما شفتك.. شكلك اتغير واضح إنك...

لم تكمل لينا ما كانت ستقوله وشعرت أن كلامها قد يجرحه إلا أنه ابتسم في هدوء قائلا ليحمل عنها الحرج:

- مبطل... أنا فعلا مبطل داخل في التلات سنين

- كويس قوي قوي... ربنا بيحبك... اللي أعرفه إن الناس بتموت من الحكاية دي... بس إنت بطل والله

obeikandi.com

- كنت عايز أستأذنك لو اتكلم معاكي شوية
- طبعا.. أنا خلصت شغل خلاص ممكن نمشي من هنا نروح نقعد في أي مكان نشرب حاجة ونتكلم... أوكي؟
- أوكي

طوال النصف ساعة التي تفصل البار عن المقهى المتجهين إليه ظل نادر يصارع خوفه الذي يحاول منعه بكل الطرق من أن يصرح لها بحبه الذي يحمله في قلبه منذ سنين طويلة... ويحاول ترتيب الكلمات ويتخيل السيناريو الذي سيدور بينهما ويعدل فيه وردود فعلها كي يتوقعها ويتمكن من التعامل معها بشكل سليم حتى وصلا.. جلسا وطلبا قهوتين وظل نادر صامتا لدقائق لا يعرف ماذا يقول وكأن كل ما كان يفكر فيه طوال الطريق قد تبخر تماما.... بدأ يشعر بالإحراج ويتصبب عرقا من ظهره فقالت لينا وهي مبتسمة لتكسر حاجز الصمت والخجل الواضح على ملامحه واحمرار أذنيه:

- لسه ساكن عندنا؟
- أيوه... أبويا مات من كام شهر وعايش في البيت لوحدي دلوقت...
- أنا آسفة الله يرحمه.. طب ووالدتك؟
- ماتت من زمان
- أنا آسفة ما اقصدش أفكرك بحاجة تضايقك
- متشكر ولا يهمك مفيش حاجة
- متأكدة من طريقة كلامك إنهم كانوا حنينين قوي عليك

لم يجب نادر فقط أومأ برأسه فقد كان يظن أحيانا أنها تعرف بظروفه أيضا كما يعرف هو كل شيء عنها وكل تفصيلة في حياتها ولكن يبدو أنها

obeikandi.com

لا تعرف عنه سوى أنه جارهم وكان مشهورا في المنطقة بإدمانه وسلوكه السيء فقط... قال لها ليغير الموضوع ولكي يخفي ما يدور في تفكيره فهو يتخيل معظم الوقت أن ما يفكر فيه يظهر على وجهه:

- إنتي عاملة إيه في حياتك؟

ظهر الحزن في عينيها قليلا ثم بدأت تحكي له عن ظروفها وكأنه لا يعرف وملامح من حياتها وبيتها وبعض الأحداث الأخيرة التي لا يلم بها وموت أصدقائها الواحد تلو الآخر في ظروف عجيبة وكان يشعر جيدا بشعورها فقد مات أيضا معظم أصدقائه خلال رحلة التعاطي وحتى لو كان موتهم مختلفا في ظروفه ولكنه يدرك جيدا هذا الشعور المؤلم بالوحدة وعندما أنهت كلامها بأنها تحاول أن تزيد من فترات عملها والأماكن التي تعمل فيها لتحصل على الأموال التي تحتاجها لمغادرة البيت قاطعها رنين هاتفها وما أن رأت اسم المتصل حتى ابتسمت ابتسامة جعلت نادر يشعر بالفضول... ترى من هو الذي مجرد رؤيتها لاسمه يجعلها تبتسم تلك الابتسامة الخاصة جدا وعندما أجابت الاتصال قالت:

- أيوه.. إزيك انت... وانت كمان وحشتني... ثواني خليك معايا

ونظرت نحو نادر قائلة:

- عندك مانع لو فيه حد جيه قعد معانا؟

أشار لها نادر برأسه وملامح وجهه أن بالطبع لا يوجد مانع وباطنه يمتلئ بالتساؤلات عن هوية المتصل

فأكملت لينا قائلة لمن يكلمها على الهاتف بمكانهما وأنها في انتظاره وأنهت الاتصال لتقول لنادر أن من اتصل بها شخص تعرفت عليه مؤخرا وتشعر

obeikandi.com

نحوه بأحاسيس جميلة ويبدو أنه ظهر في حياتها الآن لسبب ما فلم تكن تتخيل يوما أن أحاسيسها قد تتحرك من الأساس ولم تكن تؤمن بالحب... لم تلاحظ عيون نادر التي قاومت البكاء بصعوبة بالغة ويده التي ارتجفت فأخفاها تحت المنضدة... تحطمت كل توقعاته وآماله وكل ما كان يعيش معه بداخله منذ سنين طويلة لم يكن أكثر من مجرد وهم... شعر فجأة وكأنه تائه في وسط محيط واسع ولا يبدو في الأفق أي أثر لبر أو شاطئ... قاوم ما يشعر به وابتسم قائلا:

- إنتي ربنا بيحبك يا لينا وعلشان كده بعت لك اللي يقف جنب قلبك ويعوضك عن كل التعب اللي عشتي فيه... ربنا يوفقكم ويسعدكم...

- متشكرة قوي يا نادر..

وضحكت وهي تقول له مكملة:

- بس انت طلعت جميل وقلبك طيب خالص غير ما كنا بنشوفك في الشارع وملامحك تخوف وغير ما كنا بنسمع عنك دايما

ابتسم نادر ابتسامة مكسورة وهو ينظر إليها دون أن يجيب وكأنه يشكرها على مجاملتها... وأشار للنادل أن يأتيه بالحساب فاستغربت قائلة:

- بتعمل إيه؟؟إنت هتمشي!!

- معلش أنا آسف بس افتكرت حاجة مهمة لازم أعملها قبل ما اروح والوقت اتأخر عايز ألحق...

- بس انت ما قولتليش لحد دلوقت إنت كنت عايز تتكلم معايا في إيه؟؟

- هتصدقيني لو قلت لك نسيت؟

ابتسمت وهي تعقد حاجبيها حائرة من إجابته وهو يدفع حسابه ويصافحها مستعدا للرحيل وهو يقول:

obeikandl.com

- عموما أنا انبسطت قوي بالخروجة القصيرة دي وأتمنى أسمع عنك دايما كل حاجة كويسة... أشوفك على خير

في اليوم التالي ذهب نادر للبنك صباحا ليسحب مبلغا من المال ووضعه في ظرف وذهب إلى البار الذي تعمل فيه لينا ولكن قبل ميعاد وصولها بكثير ودخل ليتجه نحو مدير المكان قائلا له:

- لو سمحت
- أؤمر يا فندم
- تعرف أستاذة لينا؟
- طبعا أعرفها... بس هي بتيجي بليل مش دلوقت خالص
- أستأذنك أول ما توصل تديها الظرف ده

أخذ المدير منه الظرف ليسأله:

- نقولها مين حضرتك؟

ابتسم نادر وقال له:

- قولها... عماد

وعندما وصلت لينا في ميعاد عملها جاءها المدير ليعطيها الظرف ويخبرها أن عماد قد تركه لها... فاستعجبت قليلا وتساءلت:

- عماد!!!... عماد مين؟؟

ذهبت نحو منضدتها وجلست لتضع كمانها بجوارها وتفتح الظرف لتفاجأ أنه يحتوي على رزمة من الأموال وورقة قصيرة مكتوب عليها (ابتدي حياتك من جديد وابتسمي لبكرة وارمي الماضي وراكي... ربنا يوفقك) ولا يوجد أي

obeikandl.com

إمضاء أو اسم يدل على صاحب الظرف ولا تعرف شخصا يدعى عماد!!... رغم الفرحة التي ظهرت في عينيها إلا أنها ظلت تفكر لدقائق... ترى من بعث لها بتلك الأموال التي تنقصها لتترك البيت وترحل؟!!!... لم تنجح في أن تعرف من... ولم يأت حتى احتمال أن يكون نادر في تفكيرها.... ولن تعرف أبدا أنه هو....

* * *

جلس نادر في غرفته أمام النافذة ينظر إلى القمر الذي كان مكتملا في تلك الليلة ونوره هادئ تقطعه سحابة رفيعة سوداء وكان صوت منير يشدو من ورائه (غيرت يا ما كتير أحوالي وانا كنت عاشق وكان يحلالي)... كان يفكر في كل ما مر من عمره حتى هذه اللحظة وعقله يصنع الكثير من الصور... صورة عن قلبه كأنه بيت أثري مهجور ومظلم يقطع ظلامه عدة خطوط رفيعة من النور تعبر لداخله من فتحات شبابيك قديمة تآكلت أطرها الخشبية بمرور الزمن... خطوط النور تجعل من يدخل يرى أمامه إلى حد ما ولكن تبقى الزوايا والأركان دوما مظلمة تشعره بأنه منبهر وتجذبه للبقاء داخل ذلك البيت أكثر ويشعر بالأرواح الكثيرة التي تطفو حوله ولكن ليس لها وجود حقيقي وكل خطوة يخطوها للداخل دون أن يشعر يزداد إدراكه بأن تلك الأرواح التي تحوم حوله ليست طيبة كما كانت تبدو والصرير الناتج عن خطوات قدميه على أرضية البيت تشعره بالخوف... الحيرة تتملكه هل يحب البيت أم يخشاه وتلك اللحظات هي الأكثر خطورة فإما أن يعود للوراء ويخرج سريعا أو يتقدم فيقرر أن يتقدم وتبدأ الأركان المظلمة تتضح له وحينها ستتلاعب الأرواح به وسينظر وراءه فلن يجد الطريق إلى الباب الذي جاء منه ولن يجد سبيلا للخروج وستتلاشى خطوط الضوء والشبابيك

obeikandi.com

القديمة ويصبح ما وراءه هو مجرد مرآة لما أمامه فيتملك منه الرعب ويبدأ في الصراخ مستغيثا ولكن صراخه لا يخرج بل يعلو بداخله فقط وملامح وجهه تظهر هادئة لا تدل على الشخص الذي أوشك على الموت رعبا وراءها وفقدان العقل أصبح وشيكا... يخرج عقله به من صورة قلبه إلى رحلة أخرى وصورة جديدة عن نفسه يخبره فيها أنه أصبح ثقيلا جدا على الدنيا وعلى البشر وعلى كل من حوله وعلى نفسه.. لن يشعر أحد بفرق ملحوظ إذا كان متواجدا هنا أو لم يكن!!... وحتى إذا شعر أحد بغيابه فلن يتخطى إحساسه بالاشتياق له أسبوعا على الأكثر وسينسى وكأنه لم يكن موجودا منذ البداية!!.... كل ما فات من عمره لم يكن له أهمية أو مبرر للحدوث... مجرد كائن زائد في الحياة يستحوذ على بعض من الهواء قد يكون أولى به أحد غيره سيصنع من هذا الهواء الذي يستنشقه شيئا يستحق المحاولة... تلك الأحاسيس تأكل من جسده قطعا صغيرة يوميا بانتظام شديد لا ينقص ولا يزيد... كل يوم ينقص جزء صغير من داخله فيتحول شيئا فشيئا بمرور الوقت لإطار خارجي لجسد فارغ من الداخل!!... الحياة بالنسبة له أصبحت كالساعة الرملية البطيئة وهو جالس يشاهد كل حبة رمل تهبط من أعلى لأسفل... يقول له عقله بوضوح أنه لا يوجد هناك شيء يفوق أي توقعات يا عزيزي كما كنا نتخيل معا في يوم من الأيام... لا شيء في الغد مبهر كما كنا نرسمه مع بعض صغارا... كل ما هنالك أنك يوما بعد يوم ترى الأمور على حقيقتها أكثر فأكثر ويتبدد الوهم تدريجيا ويؤسفني أن أخبرك يا صديقي العزيز أن هذا ليس شيئا مبهجا على الإطلاق... وإنما هو ألم يتزايد ببطء صامت.... مجرد مراحل متأخرة من الألم أكثر نضجا!... نصيحة يا صديقي

obeikandi.com

من القلب إن لم تأت بعد فلا تأت فلا يوجد هنا وسيلة للرجوع.... يحاول نادر التخلص من عقله ومرضه الذي يستمر في الكلام معه رغما عنه ويتخيل وكأنه محيط كتفه بذراعه ليجبره على الإنصات وهو يكمل لقد استنفدت كروتك جميعا ولم يتبق لك في اللعبة سوى كارت واحد وفرصة واحدة فقط لتحافظ عليها بكل قدراتك للبقاء داخل اللعبة وهي بقاؤك على قيد الحياة فلا تطالب الآن بأشياء أخرى وقد تخليت عنها مبكرا بكامل إرادتك وارتضيت أن تضحي بها بأرخص العروض والأسعار فلم تعد ملكا لك وانتقلت لحوزة آخرين كانوا أكثر منك ذكاء وادخروا كروتهم لوقت الحاجة ولم يبدأوا بها اللعبة... فلتعترف بغبائك يا صديقي المسكين وارتضي المصير واستمتع بكارتك الأخير إذا استطعت أو راهن عليه وارحل وفي كل الأحوال أقول لك بإخلاص الحياة لا تستحق كل هذا العناء والأمر ليس جديرا بالمحاولة فالق بكارتك الأخير وكن صاحب قرارك لآخر نفس... فزع نادر ونهض من مكانه يحاول أن يقاوم صوت المرض ويدافع عن نفسه وكأنه أمام هيئة محكمة قاضيها عقله ومستشاريها قلبه وروحه والمحلفين جميعهم لهم نفس الوجه!! وجه المرض ولكنه يرتدي ملابس مختلفة... يبدأ نادر في الكلام ويقول متأثرا أنه عاش لسنين طويلة في مناطق كثيرة من الوهم والأحلام غير منطقية والصداقات الزائفة والوجوه البلاستيكية وعاشر كثيرا جدا من الشخصيات المريضة في ثوب العقلاء وكثيرا من الحكماء داخل مستشفيات الأمراض العقلية ورأى كل متناقضات الحياة... قاتلا ولكنه يرفع عنه الظلم في أحلك المواقف وشيخا بجلباب قصير ولحية وعلامة الصلاة في جبينه يبيع المخدرات وراهبا يشتهي الأطفال ومنتقبة بائعة هوى وعاهرة

obeikandl.com

تعطيه كل ما تملك من مال لكي يتعالج به من مرض كاد أن يودي بحياته يوما ما... أثرياء يعبدون المال ويقدسونه وفقراء لا تعني لهم الأموال شيئا ورجال قانون يتقاضون من تجار المخدرات أجرا ومجرمين يفدونك بحياتهم من أجل رد الجميل ويكرهون الخيانة!! يستمر نادر في المرافعة مدافعا عن نفسه موجها كلامه نحو عقله القاضي قائلا: وطأت أقدامي قلب البلد وأحشاءه من الداخل وشوارعه الخلفية ومناطقها المظلمة والغيطان التي يسكنها المسلحون والصحارى التي يقف في منتصفها البدو الملثمون ومات العديد من أصدقائي بجانبي وأمام عيني.. في لحظات قليلة سكنت حركة ذلك الشخص الذي كان يضحك ويبكي ويتكلم منذ قليل وأصبح جثة هامدة... تجمدت نظرات عينيه واختفى منها البريق... رأيت الموت أكثر من مرة وفارقت رصاصة طائشة رأسي لتستقر في رقبة شخص آخر بجانبي لم يكن يدري شيئا عن أوانه الأخير وحتى الآن لست أدري لِمَ انحرفت تلك الرصاصة عن طريقها نحوي!!.... ولدت وتربيت في حي راق من أحياء القاهرة القديمة ولكنني لم أكن أشعر يوما بالانتماء له اجتماعيا أو ماديا وضاع مني أكثر من خمسة عشر عاما أبحث داخل كل المناطق العشوائية والراقية عن نفسي وعن وجداني فوجدت أنني لا أنتمي إليها أيضا... ذهب مني عقلي في محاولات مستميتة لأفهم أي شيء مما يدور في حياتي وفي عقلي ولم أصل لأي شيء سوى أنني حتى الآن لم أستطع أن أفهم شيئا ولست أدري بالتحديد من أنا؟؟!!!... لقد تمردت في حياتي على كل شيء فى سبيل الفهم... على منظومة التعليم والأسرة والأخلاق والدين والقانون والتقاليد ونظرة المجتمع ومفهوم الصواب والخطأ وحتى الموت... واستدار بجسده مشيرا إلى هيئة المحلفين ليقول: وحتى المرض

obeikandi.com

تحديته سواء كان نفسيا أو عقليا أو جسمانيا... الشيء الوحيد الذي فشلت في أن أتمرد عليه هو الزمن وحركة السنين للأمام.... رغما عني كبرت ورغما عني تغيرت ورغما عني لم أعد أتمكن من فعل نفس الأشياء التي تعودت أن أفعلها ولم أعد أستمتع بنفس الأشياء التي كنت أستمتع بها ولم يبق شيء كما هو... إلا الطفل الصغير الساكن في ثنايا روحي وينغص علي أحاسيسي فهو لا يقتنع بأن السنين قد مرت وأن كل شيء تغير بالفعل... كل من كانوا يحبونه صغيرا ويحملونه على أيديهم قد رحلوا عنا... مسكين هو غير قادر على الاقتناع بذلك ويعاتبني دوما وكأنني أنا السبب في ذلك ولا أملك من أمري سوى أن أتركه يلومني كي لا أكسر قلبه الصغير ولا أطلعه على واقع الأمور فالواقع أقبح من أن يتحمله... أنا لست خارج اللعبة ولكن لم يعد يعنيني أمر اللعبة التي تحدثونني عنها فالرحلة هي المقصد بكل ما كان فيها وما زال من حلو ومر وجنون وأخطاء وضعف وقوة وحزن... الحزن الذي أصبحت أشعر وكأنه له أياد وأرجلا وصوتا!!!... وبعد كل معركة تدور بينس وبينه تترك المعركة بعض الآثار على ملامحي يطلق عليها الناس تجاعيد.... أقاومه عادة بالضحك الذي تشوبه العصبية في معظم الأحيان... بعض المحاولات البائسة مني لتجنب آثار المعركة.... تجنب تجاعيد الوجه التي ما زال على أوانها عشر سنين على الأقل.... وعلى الرغم من إصرارها على القدوم مبكرة استطعت أن أمنعها بكل ما أملك من أعذار ومبررات واهية أصبحت على وشك النفاذ... ولكنني لم أنجح في محو بعض من آثار المعركة... وهي تجاعيد القلب والحيرة... تجاعيد القلب قد تمكنت منه ودخلت إليه في غيابي دون إذن مني ورفضت الرحيل... فهل للقلوب أن تضحك كذبا مثلما تفعل الوجوه؟؟؟!!...

obeikandl.com

أما الحيرة فقد اعتدتها وأصبحت رفيق دربي... سأظل أبحث عن شيء ما لا أدري ما هو ولكنه بالتأكيد ليس في المخدرات ولا في أجساد النساء ولا في قلوبهم ولا في الحب... لم أحب لينا ولم أحب رشا ولم أحب المخدرات ولم أحب نفسي... لم أنجح في تجربة الحب إنسانيا كان أو إلهيا... ما أبحث عنه لم أجده بعد وقد لا أجده أبدا... كانت هيئة المحلفين قد امتزجت ببعضها البعض لتصبح جسدا واحدا لكائن خرافي مخيف وهو المرض الذي ظل ينظر لنادر بغضب شديد وانصرف ليترك القاعة راحلا حتى يأتي ميعاد جلسة أخرى فالقضية ستظل معلقة أبد الدهر ولن تحسم حتى نهاية الحياة... نهض نادر من مكانه ليمسك بريشته ويقرر أن يبدأ في الرسم لأول مرة منذ سنين طويلة لينظر نحو صورة أمه وأبيه ويخيل إليه أن وجوههم تبتسم له في طيبة فيبتسم لهما هو الآخر ويستدير ليرسم أول خط في لوحته التي لا يعرف ماذا ستكون... لعل هذا الخط المرسوم هو بداية ما كان يبحث عنه طوال حياته....

* * *

تمت بحمد الله رواية (بطن البلد)

القاهرة... مصر الجديدة

٣٠ / ٦ / ٢٠١٧

عبد المنعم هلال

obeikandl.com